الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب -قسم التاريخ والآثار



السجون في مصر وبلاد الشام في الدولتين الأيوبية والمملوكية

567-923هـ / 1171-1517م

إعداد:
عبد الرؤوف جبر القططي

إشراف الأستاذ الدكتور:
رياض مصطفى شاهين

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ من الجامعة الإسلامية بغزة

1433هـ/2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"

سورة هود: آية 88.

إهـــــداء

أهدي هذه الرسالة إلى:

- § أمي الغالية حفظها الله التي بفضل دعوتها وفقني الله عز وجل
- § أبي العزيز رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى
- § زوجتي الحبيبة التي ساعدتني ووقفت بجانبي.
- § أبنائي الأحبة حفظهم الله جميعاً.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات وجعل رسالة سيدنا محمد **r** خاتمة الرسالات، صلى الله عليه وعلى أتباعه الذين ختم لهم بكمال الحسنات ورفعة الدرجات، رضي الله عنهم وعن أتباعهم إلى يوم الدين. وبعد:

فإنني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة لإتمام هذه الرسالة، وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور/ رياض مصطفى شاهين، الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وأمدني بتوجيهاته.

كما أتوجه بالشكر للأخ الأستاذ/ عبد اللطيف زكي أبو هاشم الذي فتح لي مكتبته العامرة وأمدني بما أحتاجه من المصادر والمراجع.

آملاً من المولى عز وجل أن يوفقهم ويسدد خطاهم.

الفهرس

ملخص الرسالة

تناولت هذه الرسالة السجون في مصر والشام في الدولتين الأيوبية والمملوكية، وجاءت في ثلاثة فصول:

الفصل الأول تناول أنواع السجون وأسماءها، حيث انقسمت السجون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: سجون المدن حيث تناولت أولاً سجون مصر سواء في القاهرة أو الأقاليم، وثانياً سجون مدن الشام سواء في دمشق وباقي المدن، والقسم الثاني: سجون القلاع والتي انتشرت في مصر ومنها قلعة القاهرة وقلاع ثغر الإسكندرية وغيرها، وكذلك القلاع التي انتشرت في مدن الشام، والقسم الثالث: سجون الجباب وهي الآبار التي كانت تحفر في الأرض لوضع السجناء السياسيين والأسرى، وكانت من أشنع وأصعب السجون، وفصلت في كل قسم منها أسماء السجون ومواقعها وأسماء بعض من سجن فيها.

والفصل الثاني وعنوانه "إدارة السجون"، قدم فيه الباحث تفصيلاً عن إدارة السجون حيث قسمت السجون حسب إدارتها إلى ثلاثة أقسام: سجون تحت إدارة السلطان، وسجون تحت إدارة الوالي، وسجون تحت إدارة القضاة، ثم تحدثت عن مسميات موظفي السجن وطبيعة عملهم، ثم ضريبة السجن والمصادرات، وأحوال المساجين من حيث الطعام والشراب والملابس والرعاية الصحية وتواصلهم مع المجتمع الخارجي، وأحوالهم وقت المجاعات، وكيفية قضاء أوقاتهم سواء بالعبادة أو اللعب والتسلية، أو التأليف والكتابة، والشعر، وتحدثت أيضاً عن استخدام إدارة السجون للمساجين في الأعمال الشاقة، وكيفية نقلهم من مكان إلى آخر، وجهود الأمراء لتحسين أحوال السجون، وأخيراً تصنيف المساجين إلى أصناف: الصنف الأول الجنائيون الذين ارتكبوا جرائم مثل القتل والسرقة وقطع الطريق والاحتيال والتزوير والاغتصاب والزنى والتجسس، والصنف الثاني المساجين السياسيين، والصنف الثالث سجناء الخلافات المذهبية ومن اتهم بالزندقة والكفر، والصنف الرابع والأخير: الأسرى.

والفصل الثالث تناول العقوبات التي مورست في السجن، وكيفية الخروج من السجن، حيث تطرق إلى أنواع العقوبات وأولها الإعدام وأنواعه ومنها قطع الرأس والتوسيط والتسمير والتغريق والخنق والتجويع والشنق والشنكلة، والنوع الآخر من العقوبات وهو التعذيب

وأنواعه ومنها الضرب بالمقارع والعصي والتقييد والتكحيل والعصر والتشهير وقطع الأعضاء والسلخ. وأخيراً كيفية الخروج من السجن أو الإفراج سواء بالعفو أو الهروب أو إخراج المساجين عنوة من قبل الثوار أو اللصوص، وأخيراً الاحتفالات التي صاحبت خروج المساجين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على هديه واتبع أثره بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن السجون وسيلة من وسائل معاقبة الجناة وتأديبهم، وكف أذاهم عن المجتمع، وكذلك فهي مكان للحفاظ على الأسرى حتى يتم الفصل في أمرهم باستبدالهم مقابل تحرير أسرى مسلمين من سجون الأعداء، ولا يخلو الأمر من الظلم في بعض الدول التي اتخذت السجون لتعذيب المعارضين السياسيين وإهانتهم في نطاق الصراع السياسي على المنصب.

وقد عرفت السجون في الدول الإسلامية المختلفة ومنها الدولتين الأيوبية والمملوكية، واشتهرت مجموعة من السجون في مصر والشام، لهذا كان هذا البحث لدراسة أوضاع وتنظيم السجون في تلك الحقبة، وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول: تناول الفصل الأول تعريف أنواع السجون في مصر والشام، والفصل الثاني تعرض إلى إدارة السجون وأحوال المساجين وتصنيفهم، أما الفصل الثالث فقد احتوى على العقوبات التي مورست على المساجين وطرق الخروج من السجن.

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع هو الرغبة في دراسة العصرين الأيوبي والمملوكي من زاوية مختلفة، ودراسة أحوال فئة كانت مهمشة في ذلك العصر ألا وهي فئة المساجين، وكيف كانت أوضاعهم وحالة السجون التي كانوا يقبعون فيها، وهي فرصة للدارسين لعقد المقارنات بين كيفية معاملة السجناء والأسرى في الإسلام وكيفية معاملتهم في ذلك العصر، هذا من جهة ومن جهة أخرى الاستفادة من السلبيات التي كانت موجودة في ذلك العصر حتى نتفادها في عصرنا الحالي خاصة مع توقيع غالبية الدول في العالم على اتفاقية جنيف الراعية لحقوق الإنسان.

وتأتي أهمية الموضوع عندما نرى أن غالبية المصادر عالجت القضايا السياسية وتاريخ الدول والملوك وقليل منها عالجت القضايا الاجتماعية والعمرانية، حيث إن المعلومات التي نستقيها من المصادر تنتهي عند وفاة أحد الأشخاص أو اعتقاله، ولا نستطيع أن نحصل على معلومات عن السجين داخل سجنه إلا من خلال معلومات قليلة هنا وهناك نحاول أن نربط بينها حتى نصل إلى نتائج عن حالة السجن.

كما أن دراسة هذا الموضوع يظهر لنا بعض الأمراض الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وكيف عالجتها الدول وتعاملت معها.

وقد واجهت الباحث صعوبات في هذا البحث منها: قلة المعلومات التي تتكلم عن السجون في العهد الأيوبي مقارنة بالمعلومات الغزيرة في العهد المملوكي وذلك يرجع للأسباب التالية:

- قلة مصادر العهد الأيوبي خاصة تلك التي تتناول الأوضاع الداخلية والأحوال الاجتماعية، بينما نجد في العهد المملوكي هناك مصادر كثيرة في الجانب التاريخي والجغرافيا التاريخية وخطط المدن مثل كتاب الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار) الذي فصل فيه خطط مدينة القاهرة وشوارعها ومبانيها ومنها السجون التي كانت فيها.

- قصر زمن الدولة الأيوبية 567-648هـ/1171-1250م، أي منذ وفاة العاضد آخر ملوك الفاطميين وتحويل صلاح الدين الأيوبي الخطبة للخليفة العباسي، حتى مقتل تورانشاه آخر ملوك الأيوبيين، وكانت هذه المدة حافلة بمحاولات توحيد مصر والشام والجهاد ضد الصليبيين، مما جعل تركيز المؤرخين ينصب على الأوضاع الخارجية على حساب الشئون الداخلية ومنها السجون.

- كانت الأوضاع الداخلية في الزمن الأيوبي من الناحية الدينية والخلقية أفضل حالاً من الزمن المملوكي، وركَّز السلاطين الأيوبيين على إصلاح أحوال الرعية والعدل بينهم، ومنهم السلطان صلاح الدين الأيوبي وأخيه العادل حيث منعوا الخمور والقيان، وحاولوا قدر الإمكان تطبيق الشريعة الإسلامية التي تحد من استخدام السجون فيما تركز في نظام العقوبات على تطبيق الحدود.

على العموم فقد هدفت الرسالة إلى دراسة:

- أنواع السجون في الدولتين والأيوبية والمملوكية وأسماء أشهر السجون ومنها سجون القلاع والحصون والسجون الداخلية في المدن وسجون الجباب.

- طرق إدارة السجون وكيفية معاملة السجناء.

- كيف كان يشغل المساجين أوقاتهم داخل جدران السجن.

- طرق الإعدام والتعذيب السائدة في ذلك الوقت.
- الجرائم الموجبة للسجن ومسببات الاعتقال.

وسيعتمد الباحث على منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي لمعالجة كافة المحاور التي تناولتها الدراسة، ودراسة كافة المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع.

أما عن حدود الموضوع فهو يشمل دراسة السجون في مصر وبلاد الشام في الدولتين الأيوبية والمملوكية منذ سيطرة صلاح الدين على مصر بعد وفاة آخر خلفاء الدولة الفاطمية العاضد سنة 567هـ/1171م حتى إعدام آخر سلطان مملوكي وهو طومان باي سنة 923هـ/1517م ونهاية الدولة المملوكية وسيطرة العثمانيين على مصر والشام.

دراسة تحليلية لأهم مصادر الرسالة

تعتبر المصادر التاريخية من أهم الأدوات التي يمكن أن نستخلص منها معلومات عن موضوع الدراسة ومنها كتب التاريخ والحوليات وكتب الجغرافيا والرحلات وكتب التراجم والطبقات وغيرها من الكتب، وأستعرض هنا أهم المصادر التاريخية التي رجعت إليها في هذه الدراسة:

1- ابن شداد (613-684هـ/1217-1285م)، محمد بن علي بن إبراهيم، أبو عبد الله، عز الدين بن شداد الأنصاري الحلبي: مؤرخ، من رؤساء الكتاب. ولد بحلب وقام برحلة إلى حرَّان ومصر. وناب عن الملك السعيد بركة خان في مأتم الملك الظاهر بيبرس، في دمشق، سنة 676هـ/1277م وكان معظماً عند الأمراء محبوباً لديهم. تولَّى ديوان الرسائل عند هولاكو وغيره من الملوك، واستوطن الديار المصرية بعد استيلاء التتار على حلب. وتوفي بالقاهرة[1]. واستفاد الباحث من كتبه:

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: كتاب نفيس، وتعتبر مادة ابن شداد في تاريخ دمشق وخططها من أكمل ما قدمه عصره، ويكاد يكون الممثل الأخير للجغرافية التاريخية على الأساس الإقليمي الذي درس الشام في وحدة عضوية مع أرض الجزيرة، وقد استفاد الباحث منه عما أورده عن العهد الأيوبي، خاصة ما أورده عن حبس الدلبة في حلب.

2- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت 665هـ/1267م) [2]:

عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: واستفاد الباحث من المعلومات التي أوردها بخصوص معاملة صلاح الدين الأيوبي للأسرى من حيث اعتقالهم أو العفو عنها أو عقوبتهم أو استخدامهم في أعمال البناء والحفر.

الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري): واستفاد منه الباحث بالحوادث التي حدثت خلال السنوات من 600هـ-612هـ خاصة أحداث السرقة والقتل والخلافات المذهبية في دمشق والقاهرة والتي لم يعثر عليها الباحث في أي مصادر أخرى.

3- اليونيني (640-726هـ/1242-1326م)، موسى بن محمد بن أبي الحسين أحمد اليونيني البعلبكي، قطب الدين، أبو الفتح: مؤرخ، أصله من بعلبك ولد وتوفى بدمشق. وصار

---

1 - الزركلي: الأعلام، ج6، ص283.

2 - المرجع نفسه، ج3، ص299.

شيخ بعلبك بعد وفاة أخيه على. وكان فاضلا مليح المحاضرة[1]، معظما جليلاً، وقـد اسـتفاد الباحث من كتابه:

ذيل مرأة الزمان: من نوادر كتب التاريخ والتراجم الجليلة، (4 مجلدات)، تشتمل على وقـائع ووفيات، آخرها سنة 686هـ/1287م وأولها: حوادث سنة 654هـ/1256م وهي السنة التي انقطع إليها سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان ذلك الكتاب الضخم، الذي ذكر اليونيني أنه رآه بخط مؤلفه في سبعة وثلاثين مجلداً. وقد استفاد الباحث من كتابه فيمـا يتعلـق بأحـداث الاعتقال في قلاع مصر والشام في العصر الأيوبي وأوائل العـصر المملـوكي وقـد أورد معلومات قيمة خاصة بالاعتقال في المطامير والجباب خاصة اعتقال الأميـر حـسام الـدين الهذباني.

4- صلاح الدين الصفدي (696-764هـ/1296-1363م)، خليل بن أيبـك بـن عبـد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد في صفد بفلسطين وإليها نسبته، وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولّى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها[2]. واستفاد الباحث من كتبه:

أعيان العصر وأعوان النصر: كتاب نفيس، ترجم فيه الصلاح الـصفدي لأعيـان عـصره، واقتصر فيه على من أدركوا سنة ولادته منهم، وهي سنة 696هـ/1296م ، وشرع في تأليفه بعد الفراغ من كتابه الضخم (الوافي بالوفيات) فنقل منه معظم من ينطبق عليهم شرطه، وزاد في الكثير منها زيادات يسمح بها تخصص الكتاب. فكان مجموع من ترجم لهم فيـه (2017) ترجمة، منها بضع تراجم مكررة. وبقي يعمل في تأليفه حتى آخر أيام حياته، فقد وُجـد فيـه تراجم لأناس توفوا قبله بأيام، مثل علي بن إسماعيل بن جعفر الذي توفي قبله بعشرة أيـام، وأحمد بن بلبان الذي توفي قبله بشهر واحد. وقد كان لهذا الكتاب فائدة كبيرة للباحث حيـث ذكر سيرة عشرات الشخصيات التى اعتقلت في السجون وما جرى لهم بها.

الوافي بالوفيات: أجل تآليف الصلاح الصفدي، وأوفى الكتب المؤلفة في الإسلام في تـراجم الرجال، وضعه الصفدي في 30 مجلد، وقد استفاد الباحث من سيرة الأعلام التي وردت فـي هذا الكتاب ومنهم من اعتُقل ومات في السجن.

5- ابن كثير، القرشي (700-774هـ/1301-1373م) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بـن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفـسير ابـن كثيـر. ولـد

---

1 - الزركلي: الأعلام، ج7، ص328.

2 - المرجع نفسه، ج2، ص315.

بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة 706هـ/1305م بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الآمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها. كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالمًا محققًا ثقة متقنًا، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إمامًا في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها:

البداية والنهاية: وهو من أشهر كتب التاريخ ويعتمد نظام الحوليات[1]، وقد أفاد منه الباحث من الأحداث التي جرت في زمن الدولتين الأيوبية والمملوكية مما يتعلق بالسجون.

6- ابن الفُرَات، (735-807هـ/1335-1405م) محمد بن عبد الرحيم بن علي بن محمد، ناصر الدين الحنفي، المعروف بابن الفرات: مؤرخ مصري. ولي خطابة (المدرسة المعزية) بالقاهرة، ومولده ووفاته بها. له[2]:

تاريخ ابن الفرات: وقد استفاد الباحث من الجزء الأول من المجلد الخامس منه والذي يتناول حوادث من 600-615هـ أي جزء من الدولة الأيوبية، حيث وجد فيها الباحث بعض حوادث السجن في الكرك، والخلافات التي كانت في البيت الأيوبي التي نتج عنها أحداث اعتقال.

7- **المقريزي**، تقي الدين، أحمد بن علي (766-845هـ/1364-1441م)، الشيخ الإمام البارع، عمدة المؤرخين، وعين المحدثين، البعلبكي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة. نشأ بالقاهرة، وتفقه على مذهب الحنفية، ثم تحول شافعياً بعد مدة طويلة، وولي عدة وظائف دينية، وكان إماماً مفنناً، كتب الكثير بخطه، وانتقى أشياء، وحصل الفوائد، واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره، حتى صار به يضرب المثل، وكان له محاسن شتى، ومحاضرة جيدة إلى الغاية لا سيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك، وكان منقطعاً في داره، ملازماً للعبادة والخلوة، قل أن يتردد إلى أحد إلا لضرورة[3]. وقد اعتمد الباحث على عدة كتب للمؤلف وهي:

السلوك لمعرفة دول الملوك (4 أجزاء): وهو كتاب ضخم، يعتبر من أهم المصادر في تاريخ الدولتين: الأيوبية والمملوكية، انتهى فيه إلى أواخر سنة 844هـ/1440م وهي السنة التي توفي فيها، بنى المقريزي كتابه السلوك على نظام الحوليات الشاملة لعهد كل سلطان من السلاطين، مدوناً حوادث كل عام تدويناً مستقلاً، وختم الحوادث بذكر وفيات العام، من غير

---

1 - ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص92.

2 - الزركلي: الأعلام، ج6، ص200.

3 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص416.

أن يربط بين سنة وأخرى بأي رابط، ما عدا أنه يذكر أحياناً الوظائف الكبرى ويسمَّي من عليها. سيما إذا جاءت فاتحة السنة موافقة لقيام سلطان جديد، أو حدوث أمر جليل. فجاء في أربعة مجلدات ضخمة. وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب في جميع فصول الرسالة.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية (7 أجزاء)، وهو كتاب يعنى بالتاريخ والجغرافيا التاريخية. قام المقريزي في كتابه هذا بدراسة تاريخ مصر خلال الفترة الممتدة من سنة 20هـ/642م حتى سنة وفاته. متعرضاً فيه لآثارها الباقية، وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد وما بمدينة القاهرة من آثار القصور والخطط والأصقاع والمباني البديعة[1]، وقد استفاد الباحث مما ذكره المقريزي من أسماء السجون في مدينة القاهرة مبيناً مكانها والحدود التي تحدها.

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، وهو كتاب يؤرخ للدولة الفاطمية في مصر والمغرب. وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب لمعرفة أوضاع السجون التي كانت في زمن الدولة الفاطمية والتي بقي جزء منها حتى الزمن الأيوبي والمملوكي.

8- أحمد بن علي بن أحمد الفزاريّ القلقشندي ثم القاهري (756-821هـ/1355-1418م): المؤرخ الأديب البحاثة. ولد في قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة، سماها ياقوت قرقشندة) ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة. وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء، أهم مؤلفاته[2]:

صبح الأعشى في صناعة الإنشا (14 جزءاً)، وقد شغل القلقشندي مناصب في الدولة المملوكية مكنته من الاطلاع على الدواوين، الأمر الذي أعطى قيمة للدراسة فيما يتعلق بأنظمة الدولة والتعريف بالمناصب والمصطلحات والوظائف ذات العلاقة بموضوع البحث.

9- ابن حجر العسقلاني، (773هـ-852هـ/1372م-1448م). شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي. صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. عالم محدِّث فقيه أديب ولع بالأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير، رحل إلى اليمن، والحجاز، وغيرهما لسماع الشيوخ، وصارت له شهرة كبيرة. قصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره. فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار

1 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص3.

2 - الزركلي: الأعلام، ج1، ص177.

المتأخرين، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جداً منها: فتح الباري في شرح صحيح البخاري؛ الإصابة في تمييز أسماء الصحابة؛ تهذيب التهذيب؛ تقريب التهـذيب في أسماء رجال الحديث؛ لسان الميزان؛ أسباب النزول؛ تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة؛ بلوغ المرام من أدلة الأحكام؛ تبصير المنتبه في تحرير المشتبه؛ إتحـاف المهـرة بـأطراف العشرة؛ طبقات المدلسين؛ القول المسدّد في الذَّب عن مسند الإمام أحمد وغيرها كثير[1].

وقد استفاد الباحث بكتابين من كتبه وهما:

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: وهو أول كتاب استوعب تراجم قرن بكامله، بما لـم يسبق إليه أحد، وأتبعه بذيل سماه (تاريخ المائة التاسعة) ألفه بعد ما دخل من المائة التاسـعة أكثر من الثلث، ووصل فيه إلى وفيات سنة 832هـ/1429م اشتمل على (604) تراجم، منها في كتابه (الإنباء) 594 ترجمة. فرغ ابن حجر من كتابة الدرر سنة 830هـ/1427م ثم رجع إليه مضيفاً ومكملاً إلى سنة 837هـ/1434م[2].

إنباء الغمر بأبناء العمر: من أثمن كتب الحوليات في العصر المملوكي. وموضوعه ظاهر في عنوانه، وهو سجل ضخم، في تسعة مجلدات، في (3283) صـفحة. أرخ فيـه ابـن حجـر للحوادث الواقعة منذ مولده سنة 773هـ/1372م حتى عام 850هـ/1446م واشتملت بعض حولياته على يوميات مفصلة[3].

10- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسـن، جمال الدين (813-874هـ/1410-1470م)، مؤرخ بحاثة. من أهل القاهرة، مولدا ووفـاة. كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين، ومات بدمشق سنة 815هـ. ونشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني (المتوفي سنة 824هـ) وتأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية وامتاز في علم النغم والإيقاع[4]. وقـد استفاد الباحث من أربعة كتب للمؤلف وهي:

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: كتاب كبير جمّ الفائدة في تاريخ مصر مرتب على السنين وهو من أهم كتب ابن تغري بردي، ابتدأ فيه مؤلفه بفتح عمرو بن العاص من سـنة 20هـ/641م إلى أثناء سنة 872هـ/1367م، وقد ذكر فيه من ولي مـصر مـن الملـوك

---

1 - الزركلي: الأعلام، ج1، ص178.

2 - موقع الوراق الالكتروني.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص3.

4 - الزركلي: الأعلام، ج8، ص222.

والسلاطين والنوّاب ذكراً وافياً مع ذكر ملوك الأطراف بطريق إجمالي، آتياً في كل سنيه على ما وقع من الحوادث المهمة[1]، وهذا أفاد الباحث بشكل كبير، حيث ذكر الأحداث اليومية التي كانت في ذلك العصر ومنها حوادث الحبس والتعذيب وغيرها مما كان لــه علاقــة وطيــدة بموضوع البحث.

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: كتاب ضخم. جعله يوسف بن تغري بردي ذيلاً لكتاب (الوافي) للصفدي. واستعار منه ما هو داخل في شرطه. وهو بدء قيام الدولة التركية بمصر، عام 648هــ/1250م.

حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (4 أجزاء)، جعله ذيلا لكتاب الــسلوك للمقريــزي، وهو أجل ذيول كتاب (السلوك) للمقريزي وأهمها، وكان ابن تغــري بــردي مــن تلاميــذ المقريزي. قال ابن تغري بردي بعدما ترجم لكتاب السلوك: (فأحببت أن أحيي هــذه الــسنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ تقي الدين المقريزي، ورتبته على السنين والشهور والأيــام، وجعلت ابتدائي فيه من افتتاح سنة (845هــ/1441م) لكن لم أســلك فيــه طريــق الــشيخ المقريزي في تطويل الحوادث في السنة وقصر التراجم في الوفيات، بل أطنبتُ في الحــوادث وأوسعت في التراجم، لتكثر الفائدة من الطرفين[2].

مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (جزءان).

11- **ابن قاضي شهبة** (779-851هــ/1377-1448م) أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين: فقيه الشام في عصره ومؤرخها وعالمهــا، مــن أهــل دمشق. اشتهر بابن قاضي شهبة لأن أبا جده نجم الدين عمر الأسدي أقام قاضياً بشهبة (مــن قرى حوران) أربعين سنة[3]. واستفاد الباحث من كتابه المعروف بــ:
تاريخ ابن قاضي شهبة: وهذا الكتاب في التاريخ جعله مؤلفه مختصراً لتاريخه الذي ذيَّل بــه على تواريخ من تقدمه من مؤرخي الشام: الذهبي، والبرزالي، وابن كثير، والحسيني وغيرهم، ويبتدئ من سنة 741هــ/1341م حتى 808هــ/1405م[4].
12- الصيرفي، علي بن داود (900هــ/1495م):

---

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، المقدمة، ج1، ص3.

2 - ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص52.

3 - السيوطي: نظم العقيان، ص94.

4 - ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج1، ص7.

نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان: وقد اتبع المؤلف في تدوين هذا التـاريخ نظـام الحوليات وسار في تدوين الأحداث حسب الشهور والأيام وختم كل سنة بوفياتها سـواء فـي مصر أو الشام وغيرها[1]، مما أتاح للباحث فرصة الحصول على معلومات مفيدة جداً للبحث لحياة بعض الأعلام الذين سجنوا أو قضوا نحبهم في السجن أو نالهم شيء من التعذيب.

13- **ابن إياس**، أبي البركات الناصري محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت930هـ/1524م)[2]، وله كتاب:

بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحدث فيه عن تاريخ مصر، وتطرق فيه لأخبار الـسلاطين في العصر المملوكي، خاصة المماليك الجراكسة، وكان كتابه على نظام الحوليات، وهو كتاب هام جداً لأنه يعتبر المصدر الوحيد الذي تحدث عن أواخر العصر المملوكي، حيث استفاد منه الباحث عن الأحداث المرتبطة بالسجون التي حدثت في تلك المدة، ويعتبر من أهم المـصادر إن لم يكن أهمها في أواخر العصر المملوكي وما جرى فيها من أحداث هامـة وتفـصيلات أفادت البحث.

14- ابن طولون (880-953هـ/1475-1547م) محمد بن علي بن أحمد بـن علـي بـن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي، شمس الدين: مؤرخ، عالم بالتراجم والفقـه. من أهل الصالحية بدمشق، ونسبته إليها. قال الغزي: كانت أوقاته معمورة كلها بالعلم والعبادة، وله مشاركة في سائر العلوم حتى في التعبير والطب[3].

وقد استفاد الباحث من كتابه:

مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وهو كتاب نفيس، أرخ به ابن طولون لحـوادث دمـشق اليومية في أخطر مرحلة من تاريخها، وهي مرحلة الانتقال من العهد المملوكي إلـى العهـد العثماني. إلا أن القطعة الأهم من الكتاب ما تزال في عداد الكتب المفقودة، وأما ما وصلنا من الكتاب فقطعة منه، تغطي الفترة ما بين 884-926هـ، وكان لهذا الكتاب فائدة كبيرة للباحث حيث ركز على منطقة الشام والأحداث التفصيلية التي جرت خلال تلك المـدة، ممـا مكـن الباحث من الاطلاع على أسماء بعض السجون وما يتعلق بها في الشام عامة ودمشق بـشكل خاص.

---

1 - الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص3.

2 - الزركلي: الأعلام، ج6، ص5.

3 - المرجع نفسه، ج6، ص291.

كما استمد الباحث معلومات قيمة من مراجع مهمة ومنها:

- محمود سليم: موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي: والذي قدم تفصيلاً عن الحياة الاجتماعية في العهد المملوكي في مصر وبلاد الشام.
- الشهابي، قتيبة: معجم دمشق التاريخي: وقدم للباحث خدمة كبيرة بإيراده بعض أسماء السجون الموجودة في دمشق والوارد اسمها في كتب التاريخ وأماكن تواجدها.
- العمايرة، محمد عبد الله: المعجم العسكري المملوكي، والذي استفاد الباحث منه في استخراج معاني المصطلحات في ذلك الوقت.

تمهيد

السجون في مصر والشام قبل العهد الأيوبي والمملوكي

تعريف السجن

تعريف السجن لغةً:

سجن: سَجَنَهُ، يَسْجُنُه، سَجْناً: حَبَسَهُ، والسِّجْنُ، بالكسْرِ: المَحْبِسُ [1]، أو البيــت الــذي يُحبس فيه السَّجينُ[2]. والسَّجْنُ بالفتح المصدر سَجَنَه يَسْجُنُه سَجْناً أي حبسه، وفي الحديث: "ما شيءٌ أَحَقَّ بطُولِ سَجْنٍ من لسانٍ" [3]، والسَّجَّانُ: صاحبُ السِّجْنِ، ورجل سَــجِينٌ مَــسْجُون، وكذلك الأُنثى بغير هاء، والجمع: سُجَناء وسَجْنى، وقال اللحياني: امرأَة سَجِينٌ وسَــجِينة، أي مسجونة، من نسوة سَجْنى وسَجائن، ورجل سَجِين، في قوم سَجْنى، وسَجَنَ الهَمَّ يَسْجُنه إذا لم يَبُثَّه وهو مَثَلٌ بذلك قال: ولا تَسْجُنَنَّ الهَمَّ إنَّ لسَجْنِه عَناءً وحَمِّلْهُ المَهاري النَّواجيا

وسِجِّين فِعِّيل من السِّجْن والسِّجِّين السِّجْن[4].

وتعريف السجن اصطلاحاً:

هو حجز الشخص في مكان من الأمكنة، ومنعه من التصرف بنفسه حتى يتبين حاله أو لخوف هربه لاستيفاء العقوبة[5].

ويعرفه ابن قيم الجوزية: "الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق، وإنما هو: تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء سواء كان في بيت أو في مسجد أو كان بتوكيل نفس الخصم أو وكيله عليه وملازمته له" [6].

ويقصد بالسِّجن أو الحبس: تلك المؤسسات المعدة خصيصاً لاستقبال المحكــوم علــيهم بعقوبات مقيدة للحرية [7].

---

1 - الزبيدي: تاج العروس، ج35، ص169. ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص 203.

2 - الفراهيدي: العين، ج6، ص56.

3 - الطبراني: المعجم الكبير، ج9، ص149، ورواه بأسانيد ورجاله ثقات.

4 - ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص 203.

5 - الموسوعة الجنائية، ج1، ص2448.

6 - ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص148.

7 - منصور: الموجز في علم الإجرام، ص163.

ومن الألفاظ المرادفة للسجن: الترسيم: وهو التضييق على الشخص، وتحديد حركتـه، بحيث لا يستطيع أن يذهب من مكان إلى آخر[1]، وهو يعنى الحجر أو التوقيف أو ما يقابل في عصرنا الإقامة الجبرية، أو المراقبة، وكثيراً ما كان يُرسم على الفقهاء أو القضاة في مدرسة من المدارس، ويقال رُسِم على فلان أي وضع تحت المراقبة بعد عزله بـأمر مـن الـسلطة المختصة [2].

وورد لفظ السجن في القرآن الكريم في قصة يوسف –عليه السلام: "قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم"[3]، "ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً مـن الصاغرين . قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"[4] ، "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ..."[5]، "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"[6] ، "يَا صَاحِبَيِ الـسِّجْنِ أَمَّـا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّـذِي فِيـهِ تَسْتَفْتِيَانِ" ، "... فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"[7] ، "وقد أحسن بِي إِذْ أخرجني من السجْن"[8].

وفي سورة الشعراء ورد: "لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين"[9].

---

1 - الموسوعة الفقهية الكويتية، ج11، ص192.

2 - دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص44

3 - سورة يوسف: آية 25.

4 - سورة يوسف: الآيات: 32، 33.

5 - سورة يوسف: آية 36.

6 - سورة يوسف: آية 39.

7 - سورة يوسف: الآيات: 41، 42.

8 - سورة يوسف: آية 100.

9 - سورة الشعراء: آية 29.

السجون قبل العهد الأيوبي والمملوكي

عرفت السجون في الجاهلية عند المناذرة والغساسنة، وفي بعض الحواضر مثل مكة واليمن، أما القبائل العربية فقد كانت بحكم حياة البادية تعتمد على الأَسْر لفترة زمنية محددة، إذ لم تكن لديها سجون. فقد كان للمناذرة (ملوك الحيرة) سجون، منها سجن "الصنين"[1]، وسجن "الثوية"، وهو قريب من الكوفة، وقيل خريبة إلى جانب الحيرة، على ساعة منها، ذكر العلماء أنها كانت سجناً للنعمان بن المنذر، كان يحبس بها من أراد قتله [2].

والغساسنة (ملوك الشام) كانت لهم سجون، فقد اعتُقل اثنان من أهل مكة في الجاهلية في سجن ملك الغساسنة عمرو بن جفنة [3]، وهما: سعيد بن العاص وعثمان بن الحارث[4].

وفي مكة كان سادة القبائل يعاقبون المخالفين والخارجين على الطاعة بحبسهم في بيوتهم، وذلك بربط المحبوس بالسلاسل، فلا يخرج، ولا يغادر مكانه، وفي أول الإسلام، حبس زعماء مكة من أسلم من الشبان عقوبة لهم [5].

كما عرف أبناء اليمن السجون منذ أمد موغل في القدم، فعندما سار "كيكاووس" أحد ملوك الفرس الأولى بجيشه إلى اليمن، خرج إليه ملكها "شمر بن فريقس"، فأسره وحبسه في أضيق محبس أربع سنين، حتى أنقذه "رستم" بعد تغلبه على "شمر" وقتله [6].

---

1 - الأصفهاني، أبو فرج: الأغاني، ج2، ص107.

2 - ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص87.

3 - عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء الأزدي الغساني، من قحطان: أول من لبس التاج من ملوك غسان بالشام. قاتل الروم في أرض البلقاء وهزمهم. ثم التقى بهم في مرج الظباء "يوم حليمة" فتكاثروا عليه، فصالحهم على أن يؤدي الجزية، وعاد فثار على الروم، فصالحه قيصر على أن يكون للأزد ملك بادية الشام، استقلالاً. واستمر نحو 15 عاماً. وترك آثاراً قيل: أكثرها أديرة. وكان في أوائل القرن الثاني للميلاد. الزركلي: الأعلام، ج5، ص75

4 - العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص289.

5 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص72.

6 - المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص97.

ومع مجيء الإسلام اعتمدت العقوبات استناداً القرآن الكريم والسنة النبوية، واجتهادات الفقهاء، فتقوم على مبدأ القصاص تبعاً لنوع الجرم، والسلطة هي التي تنفذ القصاص، أو يكون بأمر منها. وبما أن الشريعة الإسلامية حددت أنواع العقوبات لمخالفات وجرائم كثيرة: السرقة والزنى وغيرهما، فإن تلك العقوبات تنفذ عند ثبوت الإدانة، وغالباً ما تكون فورية. لذلك كانت الحاجة إلى السجن قليلة نوعاً ما، واللجوء إليه كضرورة حتى يستبان أمر المتهم، وربما كان الحبس عقوبة تعزير لإنسان ارتكب مخالفة لم تضع الشريعة لها حداً. والشريعة الإسلامية المطهرة استبعدت السجن تماماً كعقوبة شرعية منصوص عليها، وإنما السجن في الشريعة مجرد إيقاف احتياطي على ذمة التحقيق أو تعزير باجتهاد القاضي لا يتعدى أيام معدودة [1].

وكان الحبس في الإسلام على ضربين: حبس عقوبة، وحبس استظهار، فالعقوبة لا تكون إلا في واجب، وأما ما كان في تهمة فإنما يستظهر بذلك ويكشف به عما وراءه، وروي أن النبي r حبس رجلاً في تهمة ساعة من نهار، ثم خلى عنه، ولا يحل أن يحبس رجل بتهمة رجل له، حيث كان النبي r لا يأخذ الناس بالقرف (أي التهمة)، ولكن ينبغي أن يجمع بين المُدعِي والمُدعَى عليه فإن كانت له بينة على ما ادَّعى حكم بها، وإلا أخذ من المُدعَى عليه كفيل وخلى عنه، فإن أوضح المُدعي بعد ذلك شيئاً، وإلا لم يتعرض للمدعى عليه[2].

وقال ابن العربي: "والحبس في البيوت كان في صدر الإسلام قبل أن يكثر الجناة. فلما كثروا وخشي قوتهم اتخذوا لهم سجناً" [3].

وقد اختلف العلماء، هل سجن رسول الله r أحداً أو لا؟ فذكر بعضهم أنه لم يكن له سجن يسجن فيه المخالفين، وإنما كان يحتفظ بالأسرى أو أصحاب القضايا من خلال احتجازهم بالمسجد، فقد بعث النبي r خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال[4]، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي r فقال: "أطلقوا

---

1 - اليوسف: وجوب تطبيق الحدود الشرعية، ص32.

2 - سعيد: المتهم وحقوقه في الشريعة، ص38، 39.

3 - القرطبي، تفسير، ج5، ص84.

4 - ثُمَامَة بن أُثَال بن النعمان اليمامي، توفي سنة 12هـ/633م، من بني حنيفة، أبو أمامة: صحابي، كان سيد أهل اليمامة. له شعر. ولما ارتدَّ أهل اليمامة في فتنة مسيلمة ثبت هو على إسلامه، ولحق بالعلاء بن الحضرميّ، في جمع ممن ثبت معه، فقاتل المرتدين من أهل البحرين. وقتل بعيد ذلك. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج1، ص215. الزركلي: الأعلام، ج2، ص100.

ثمامة" [1]. وروي أن رسول الله r احتجز عدداً من السبايا في حظيرة أو مربد بباب المسجد، ومِمَّن حبس فيه سفانة ابنة حاتم الطائي[2]، ثم خلى عنها[3].

وذكر البعض الآخر أنه سجن في المدينة في تهمة وفي غيرها، فقد ورد أن النبـــي r حبس رجلاً في تهمة ساعة ثم خَلَّى عنه" [4].

وكان النبي r يأمر صاحب الحق أن يحتفظ بغريمه حتى يقضي بينهما، فقــد روي أن رجلاً اسْتَعْدَى رَسُولَ اللَّهِ r عَلَى غَرِيمٍ فَقَالَ :"الْزَمْهُ"، ثُمَّ لَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ :"مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ يَا أَخَا بَنِى الْعَنْبَرِ" [5].

وقد دعا الإسلام إلى احترام كيان الإنسان والإحسان إليه في المعاملة وهو أسير، وكان الأسرى المحتجزون عند الرسول r يعاملون معاملة حسنة، عملاً واستجابة لأمــر الله عــز وجل القائل: "ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً"[6]، فيروى أن عزيز بن عمير أخا مصعب t كان في أسارى بدر فقال: "كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بــي مــن بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصُّوني بالخبز وأكلوا التمر -وكان الخبــز عنــدهم أحسن من التمر- لوصية رسول الله r إياهم بنا"[7].

---

1 - البخاري، الجامع الصحيح،ج1، ص99.

2 - سفانة بنت حاتم الطائي أخت عدي بن حاتم الطائي، سبيت فقدم بها على رسول الله r المدينة في سبايا من طيئ، فحبسها أياما ثم من عليها بالسلم، وأعطاها نفقة وكسوة وردها إلى مأمنها، وأشارت إلى أخيها عدي بن حاتم بالقدوم على رسول الله r. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج6، ص3362.

3 - الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، ج1، ص322.

4 - ابن الجارود: المنتقى من السنن المسندة، ج1، ص251.

5 - البيهقي: السنن الكبرى، ج6، ص53.

6 - سورة الإنسان: آية 8.

7 - الطبراني: المعجم الكبير، ج22، ص383.

وكان الحال الحبس في عهد أبي بكر الصديق كحاله على عهد النبي **r** إذ لم يكن لـــه محبس معد لحبس الخصوم [1]. ولكن لما كثر الناس في عهد عمر بن الخطاب اشترى نـــافع بن عبد الحرث عامل عمر على مكة داراً للسجن من صفوان بن أمية [2]. ولكنه **t** كـــان لا يسجن إلا بالحق فقد روي عنه أنه قال: "والله لَا يُؤْسَرُ رَجُلٌ في الإسلام بغير الْعُدُولِ"[3].

ويروى أن عمر بن الخطاب كان يسجن السارق إن سرق في المرة الثالثة، فقـــال: "لا يزاد السارق في القطع على قطع يده ورجله، وإن سرق بعد ذلك استودع السجن"، وقال: "إني لأستحي من الله ألا أدع له يداً يستنجي بها ويتوضأ بها للصلاة" [4].

وفي زمن عثمان بن عفان **t** ذُكر أن "ضابئ بن الحارث البرجمي كان شاعراً كثيـــر الشر، فحبسه عثمان أكثر من مرة ومات في سجنه [5]، وهجا الشاعر عبد الرحمن بن حنبـــل الخليفة عثمان، فأمر عثمان بحبسه، فحبس في حصن القموص بخيبر[6]. وكان عمال الخليفة عثمان في الأمصار يحبسون أيضاً، فقد ورد أن جندب بن كعب، قتل رجلاً ساحراً، فحبـــسه الوليد بن عقبة عامل عثمان على الكوفة [7].

وبنى الخليفة علي بن أبي طالب **t** سجناً بالكوفة يسمى يافعاً، أو نافعـــاً[8] لـــم يكـــن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه فهدمه، وبنى سجناً آخر أســـماه مخيـــساً [9]. وكان عليّ **t** إذا كان في القبيلة رجل داعر حبسه فإن كان له مال أنفق عليه من مالـــه، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين وقال: يحبس عنهم شره وينفق عليه من بيت مالهم [10].

---

1 - الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ج8، ص109.

2 - المبرد: محض الصواب، ج3، ص975.

3 - مالك: الموطأ، ج2، ص720.

4 - ابن حيان: أخبار القضاة، ج3، ص211.

5 - الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج1، ص173.

6 - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج34، ص322.

7 - المزي: تهذيب الكمال، ج5، ص147.

8 - الزمخشري: الفائق: ج1، ص405.

9 - الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، ج1، ص324.

10 - أبو يوسف: الخراج، ص163.

وفي عهد الدولة الأموية انتشر الحبس وقد استخدمه الأمويون وسيلة لردع المجـرمين وكذلك في حربهم ضد الخارجين عليهم من الخوارج والشيعة وغيرهم. وذكر أن هدبـة بـن خشرم[1] قتل رجلاً وهرب، فأمر معاوية بحبس عمه وأهله، فلما علم هدبة بذلك سلَّم نفـسه، وحبس في السجن ثلاثة سنين حتى بلغ ابن المقتول الحلم وأخذ القصاص منه [2].

ومن أشهر السجون في زمن الأمويين: **سجن الـديماس**: وهو سجن للحجاج بن يوسف بناه في واسط [3]، ويعتقد الباحث أن الديماس كان يحوي مكانين للاعتقال الأول تحت الأرض حيث غلب اسم الديماس عليه لظلمته [4]، والمكان الآخر كان فوق الأرض، ولم يكن له ظـل من الشمس ولا من البرد، وكان يوضع فيه كل اثنين من المساجين في سلسلة [5]. ومن سجون الأمويين الأخري **سجن الخضراء**: وهو سجن في دمشق كان في زمن الخليفة الأموي يزيد بن الوليد [6]. **وسجن دوَّار**: وهو سجن باليمامة[7]. و**سجن اللد**: وحبس فيه معاوية مجموعة من قتلة الخليفة عثمان بن عفان **t** سنة 36هـ/657م[8]. و**سجن الأهواز**[9].

---

1 - هدبة بن خشرم بن كرز، من بني عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم، من قضاعة: شاعر، فصيح، راويـة، من أهل بادية الحجاز بين تبوك والمدينة، قُتل حوالي سنة 50هـ/670م. الزركلـي: الأعـلام، ج8، ص78.

2 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج27، ص196.

3 - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص8. وواسط هي مدينة الحجاج وسماها بذلك لأنها متوسـطة بـين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً. ياقوت : معجم البلدان، ج5، ص347.

4 - الزبيدي: تاج العروس، ج16، ص89.

5 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج6، ص285 . الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص62. ابـن الجـوزي: صفة الصفوة، ج3، ص92.

6 - الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ج4، ص254.

7 - اليمامة: ناحية بين الحجاز واليمن، أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً ونخلاً وشجراً. كانت في قديم الزمـان منازل طسم وجديس. القزويني: آثار البلاد، ص134.

8 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص93.

9 - القاضي التنوخي: نشوار المحاضرة، ص369. و الأهواز: مدينة متصلة بالجبل، فتحها حرقـوص بـن زهير السعدي في خلافة عمر بن الخطاب **t** ، والأهواز هي خوزستان وهي رام هرمز، وبين الأهواز وأصبهان خمسة وأربعون فرسخاً. الحميري: الروض المعطار، ص61

وفي الدولة العباسية وجد العباسيون أنه من الضروري إنشاء السجون لتثبيت الاستقرار، وردع العابثين، وقد أدرك أبو جعفر المنصور ذلك منذ أول تخطيطه لمدينة بغداد، فقد ذكـر اليعقوبي عند تعداده سكك المدينة مكان وجود سجن المطبق بين باب البصرة وبـاب الكوفـة فقال: "سكة المطبق وفيها الحبس الأعظم الذي يسمى المطبق وثيق البناء محكم السور"[1].

ونذكر بعض حالات السجن في تلك الحقبة ومنها على سبيل المثال: سجن البرامكة في عصر هارون الرشيد ونكبتهم[2]، وسجن الإمام أحمد بن حنبل في أيام فتنة خلق القـرآن[3]، وسجن رافع بن ليث بن نصر بن يسار في سجن سمرقند[4] في عهد الرشيد [5]، وسجن عبـد الله بن مروان بن محمد الأموي من بقايا بني أمية في سجن المطبق حتـى تـوفي[6]. ومـن السجون المعروفة: الحبس الجديد[7]، وحبس باب الشام، وسجن نصر بن مالـك[8]، وسـجن الرقة [9]، وسجن النساء[10].

أما عن السجون في الدولة الطولونيـة (254-292هـ/868-905م) فقـد ذكـرت المصادر أن أحمد بن طولون[11] سجن عدداً من الشخصيات والأمراء، ومنهم الأمير خيثمـة وكان من كبار زهاد مصر، ومات في سجنه[12]، وممَّن توفي في سجن أحمد بن طولون أيضاً أحد عمال الخراج ويسمى أبا أيوب سنة 266هـ/880م [13]، وكذلك توفي أحد عمال خـراج دمشق ويدعى أحمد بن مدبر بعد اعتقال دام خمس سنوات من سنة 265هـ/879م وتـوفي

1 - اليعقوبي: البلدان، ص28.
2 - الذهبي: العبر، ج1، ص238.
3 - ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج1، ص164.
4 - سمرقند: مدينة من خراسان، بناها شمر بن إفريقش. الحميري: الروض المعطار، ص322.
5 - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص319.
6 - الزركلي: الأعلام، ج4، ص137.
7 - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج10، ص34.
8 - المصدر نفسه، ج9، ص262، ص400.
9 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص264. والرقة: مدينة مشهورة على الفرات من جانبها الشرقيّ، بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، من بلاد الجزيرة. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، ج2، ص626.
10 - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص363.
11 - أحمد بن طولون: مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام، ت270هـ. الذهبي: سير أعلام النـبلاء، ج10، ص269.
12 - مرشد الزوار، ج1، ص456.
13 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص12.

سنة 270هـ/884م[1]، واعتقل شخص يدعى كنيزاً بعد اتهامه بالتجسس، وبقي في السجن مدة سبع سنوات[2].

واعتقل أحمد بن طولون القاضي بكار بن قتيبة[3]، وكان بكار يغتسل في كل يوم جمعة ويلبس ثيابه، ويجيء باب السجن فيرده السَّجَّان ويقول: اعذرني أيها القاضي، فما أقدر على إخراجك، فيقول: الله أشهد، وأذن له ابن طولون أن يعلم تلاميذه، فكان يحدثهم من طاق في السجن[4].

وفي الدولة الفاطمية (297-567هـ/910-1171م): اتخذت خزانة البنود سجناً، وكانت هذه الخزانة من جملة خزائن القصر، يُصنع ويُخزَّن فيها السلاح، بناها الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله [5]، ولكنها احترقت سنة 461هـ/1067م، فاتخذت سجناً للأمراء والأعيان[6].

ولكنها اتخذت سجناً قبل ذلك التاريخ ففي سنة 438هـ/1045م قام الوزير أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي باعتقال أبي علي بن الأنباري وقتله ودفنه بها، ولم تطل أيام هذا الوزير، ففي سنة 440هـ/1047م نُفِّذ فيه نفس الحكم ودفن في نفس المكان الذي دفن فيه الأنباري[7].

---

1 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج20، ص55. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج5، ص394.

2 - ابن ناصر الدين: توضيح المشتبه، ج7، ص298.

3 - القاضي أبو بكرة بكار بن قتيبة الثقفي. حنفي المذهب، وتولَّى القضاء بمصر سنة 248هـ، وظهر حسن سيرته وكان أحمد بن طولون يدفع له كل سنة ألف دينار، فيتركها بختمها ولا يتصرف فيها، فلما غضب عليه، واعتقله طالبه بالمبلغ الذي كان يأخذه كل سنة، فحمله إليه بختمه، وكان 18 كيساً، فاستحيا أحمد منه، وبقي مسجوناً مدة سنين، وكان يحدث في السجن من طاق فيه لأن أصحاب الحديث شكوا إلى ابن طولون انقطاع إسماع الحديث من بكار. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص279.

4 - العسقلاني: رفع الإصر، ص107.

5 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص37. والظاهر لإعزاز دين الله، أبو الحسن علي بن الحاكم منصور بن العزيز نزار بن المعز، العبيدي المصري. صاحب مصر، بويع وهو صبي لما قتل أبوه في شوال سنة 411هـ/1021م. وكانت دولته على مصر والشام والمغرب، ومات سنة 427هـ/1036م. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج15، ص 184.

6 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص374.

7 - ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1، ص136. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص194.

وفي سنة 482هـ/1088م توفي مقتولاً فيها الحسن بن أحمد بن عبد الواحد السُّلَمي[1]، واعتقل فيها –أيضاً- القاضي المهذب بن الزبير[2].

ومن سجون الفاطميين –أيضاً- حبس المعونة، والذي اعتُقِل فيه جعفر بن عبد المنعم بن أبي قيراط، وأبو يعقوب إبراهيم السامري، ثم أُخرجا من السجن ميتين في سنة 524هـ/1128م[3].

وكان الخلفاء الفاطميون يطلبون من ولاتهم على الأقاليم بإطلاعهم على أسماء المساجين وأسباب اعتقالهم في مستهل كل شهر، وسبب ذلك أنه رفع إلى الخليفة المأمون أن بعض الولاة يعتقل بعض من لا يجب عليه اعتقال، لطلب رشوة، فتطول مدته[4].

وبينما شهدت الشام حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، فقد ظهر دور القلاع كمراكز انطلاق أعمال الجهاد والتصدي للصليبيين، وكذلك اتخذت أبراجها سجوناً للأسرى، فقد اعتقل عدد من الصليبيين في تلك الفترة ومنهم الملك بلدوين الثاني سنة 518هـ/1124م، والذي مكث في سجن قلعة حلب حوالي سنة في قبضة الأمير بلك[5]، وكذلك الأمير الصليبي جوسلين الذي اعتقل في جبٍّ بقلعة خرتبرت [6].

وفي رمضان سنة 559هـ/1164م فتح نور الدين محمود قلعة حارم، وأخذها من الإفرنج وقتل وأسر عالماً كثيراً، وكان من جملة الأسرى البرنس صاحب أنطاكية، والقومص صاحب طرابلس[7]، والبرنس أرناط "رينودي شاتيون" الذي اعتقل في قلعة حلب[8].

---

1 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج33، ص82.

2 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج12، ص84.

3 - المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص141.

4 - المصدر نفسه، ج3، ص101.

5 - ابن العديم: زبدة الحلب، ج1، ص290.

6 - ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1، ص332.

7 - ابن شداد: النوادر السلطانية، ص367.

8 - ابن العديم: زبدة الحلب، ص375.

الفصل الأول

أنواع السجون في العهد الأيوبي والمملوكي

- أولاً: سجون المدن.
- ثانياً: سجون القلاع.
- ثالثاً: سجون الجباب.

أنواع السجون:

أولاً: سجون المدن:

وكانت هذه السجون مخصصة لأصحاب الجرائم والجنايات من العوام، ونقسمها إلـــى قسمين حسب مكان وجودها:

سجون المدن المصرية:

سجون المدن الشامية:

القسم الأول: سجون المدن المصرية

1- سجون مدينة القاهرة:

القاهرة هي عاصمة الدولتين الأيوبية والمملوكية، فهي قاعدة الملوك المــصريين ودار ملكهم، بناها الفاطميون[1] سنة 359هـ/969م[2]، وتملكها السلطان الناصر صـــلاح الــدين الأيوبي سنة 567هـ/1171م ففتحها للجمهور وأسكنهم فيها، فــصارت خططـــاً وحـــارات وشوارع ومسالك وأزِّقة، ونزل السلطان منها في دار الوزارة الكبــرى حتـــى بنيــت قلعـــة الجبل[3]. وذكرت لنا المصادر التاريخية سجوناً التي كانت موجودة في القاهرة، وهي:

خزانة البنود [4]:

وكان مكانها في زقاق يسمى خط خزانة البنود، على يمين من سلك رحبة بـــاب العيــد يريد درب ملوخيا[5]. وكانت هذه الخزانة في زمن الدولة الفاطمية إحــدى خــزائن القــصر، يُصنع ويُخزَّن فيها السلاح، بناها الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله علي بـــن الحـــاكم

---

1 - الحميري: الروض المعطار، 450.

2 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص204.

3 - المصدر نفسه، ج2، ص210.

4 - البنود هي الرايات والأعلام. المقريزي: المواعظ والاعتبار ج2، ص37.

5 - درب ملوخية: منسوب لأمير كان اسمه ملوخية وكان وظيفته صاحب ركاب الخليفة الفــاطمي الحـــاكم، وكان قد أتى أمراً عظيماً فباشر الحاكم قتله بنفسه. ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص48.

لأمر الله [1]، ولكنها احترقت في سنة 461هـ/1068م، فاتخذت سجناً يُسجن فيه الأمراء والأعيان[2].

وبقيت الخزانة تستخدم سجناً حتى حوّلها الملك الناصر محمد بن قلاوون[3] منزلاً للأمراء من الفرنج يسكنون فيها هم وأهلوهم وأولادهم، وأُبطل السجن بها، ولكن الفرنج استخدموها مكاناً للفواحش من صناعة وبيع الخمور، والزنى، واللواط، وحماية الهاربين من المجرمين، فضاق الناس بهم ذرعاً، فقام الأمير الحاج آل ملك الجوكندار[4] نائب السلطنة بديار مصر بهدمها في سنة 744هـ/1343م[5].

ونستدل من شعر القاضي المهذب بن الزبير[6] أن هذا السجن كان مظلماً سيئة التهوية، فقد كتب إلى الكامل بن شاور وزير الفاطميين يستعطفه:

1 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص37.

2 - ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1، ص116. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص194.

3 - مُحَمَّد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى الْملك النَّاصِر ابْن المنصور: ولد سنة 684هـ/1285م وتسلطن المرة الأولى سنة 693هـ/1294م وعمره 9 سِنِين وَغلب على الْأَمر كتبغا سنة 694هـ/1295م ثم عاد الناصر للسلطنة للمرة الثانية سنة 698هـ/1299م واستبد بالأمر سلار وبيبرس وفي سنة 708هـ/1307م أظهر النَّاصِر أَنه يُرِيد الْحَج فَتوجه إِلَى الكرك وَأعْرض عَن المملكة ولكنه عاد للسلطنة للمرة الثالثة سنة 709هـ/1308م ولَما استَقر قدمه قبض على أَكثر الأمراء وَلم يبْق لَهُ منازع وَكَانَ مطاعاً مهيبا عَارِفًا بالأمور يعظم أهل الْعلم وَكَانَ عَظِيم المكر طَوِيل الصبر، وتوفي سنة 741هـ/1341م. الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج2، ص236.

4 - آل ملك: الأمير سيف الدين أصله أسيراً جيء به سنة 676هـ/1277م، وصار إلى الأمير سيف الدين قلاون، ترقى في الخدم إلى أن صار من كبار الأمراء في أيام الملك الناصر محمد، وفي عهد الصالح اسماعيل، أصبح نائب السلطنة بمصر، فشدّد في الخمر، وهدم خزانة البنود وأراق خمورها، وبنى بها مسجدا، وأمسك الزمام زمانا، وكان يجلس للحكم بدار النيابة من قلعة الجبل طول نهاره لا يملّ ذلك، وكان له في قلوب الناس مهابة وحرمة، وفي عهد الكامل شعبان، أخرجه إلى دمشق نائبا بها ثم توجه إلى صفد نائبا بها سنة 747هـ/1346م، ثم أمسكه نائب غزة ووجهه إلى الاسكندرية سنة 747هـ/1346م ، فخنق بها. وكان خيرا فيه دين وعبادة يميل إلى أهل الخير والصلاح. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص113.

5 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص374.

6 - المهذب بن الزبير(561 هـ/1166م) الحسن بن عليّ بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني، أبو محمد، الملقب بالمهذب. شاعر من أهل أسوان، وفاته بالقاهرة، قال العماد الأصبهاني: لم يكن بمصر في زمن المهذب أشعر منه، واشتغل في علوم القرآن، فصنف (تفسيراً في 50 جزءاً) ، وله (ديوان شعر)

أيا صاحبي سجن الخزانـــة خليـــا　　　نسيم الصَّبَا ترسل إِلَى كَبِـــدِي نفحـــا
وقولا لضوء الصُّبْح هَل أَنْت عائـــدٌ　　　إِلَى ناظري أم لا أرى بعْدهَا صبحا[1]

وقد ابتدئ بالحبس بها سنة 438هـ/1046م في زمن الدولة الفاطميـــة عنـــدما كانـــت خزانة للسلاح [2]، واستمرت سجناً في العهد الأيوبي، ثم المملوكي، وقد اعتقل فيهـــا ســـنقر الأقرع [3] سنة 663هـ/1264م [4]، واعتقل فيها الملك الأشرف بن صاحب ميافارقين شهاب الدين غازي وسُمِّر مع مجموعة من المحبوسين في الخزانة لأنهم اتفقوا على خطة للهـــروب من السجن في سنة 665هـ/1266م [5]، كما سُمِّر الأمير أقوش القفجاقي الذي ادَّعى النبـــوة وكان بصحبتهم في خزانة البنود[6]، وتوفي فيها الأمير أبو الفتح فتح الدين بن الملـــك الفـــائز سابق الدين بن الملك العادل الأيوبي سنة 671هـ/1273م[7]، وفي ســـنة 692هـــــ/1293م وبعد مقتل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون[8] قُبِضَ على مجموعة من الأمراء واعتقلوا فيها أياماً ثم قطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا على الجمال وطِيفَ بهم وأيديهم معلقة في أعناقهم[9].

وقال ابن شاكر: اختص بالصالح بن رزيك، ويقال إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو مـــن شعر المهذب. معجم شعراء العرب: ص846.

1 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج12، ص84.

2 - ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1، ص136. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص194.

3 - سنقر الأقرع، شمس الدين: أحد مماليك المظفر غازي ابن العادل صاحب ميافاقين، من كبار الأمراء في مصر فأمسكه الظاهر وحبسه توفي سنة 670هـ/1272م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج15، ص297.

4 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص324.

5 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج49، ص30.

6 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص188.

7 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج3، ص19. العيني: عقد الجمان، ج1، ص136.

8 - الملك الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون ثامن سلاطين مصر والشام من المماليك البحرية، ولـــد سنة 666هـ/1268م وتولَّى سنة 689هـ/1290م وقتل سنة 639هـ/1293م وهو الذي استرد ساحل بلاد الشام من الفرنجة. الشهابي: معجم ألقاب أرباب السلطان، ص119.

9 - أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج4، ص30.

دار المظفر:

دار المظفر[1] استخدمها السلطان صلاح الدين الأيوبي لحبس الأمراء الفـاطميين بعـد وفاة العاضد آخر ملوك الفاطميين، وتحويل الخطبة في القاهرة للخليفة العباسي، فقـد قـبض على داود بن العاضد وإخوانه وأقاربه في سنة 569هـ/1174م، ونقلهم إلى دار المظفر من حارة برجوان، وأغلقت قصورهم، وفُرِّقت أملاكهم على خواص صلاح الدين وبيع بعـضها، وأعطى القصر الكبير لأمرائه فسكنوا فيه، ثم نُقِلَ الأمراء المُعتقلون إلى قلعة الجبل، وهم 63 نفراً، في سنة 608هـ/1211م، وقد مات منهم إلى سنة 624هـ/1227م ثلاثة وعـشرون، وكان الذي يتولَّى وضع القيود في أرجلهم والي القاهرة الأمير فخر الدين الطبنا أبو شعرة بن الدويك [2].

وربما استخدمت هذه الدار لسجن آخرين، ومنهم الشيخ ابن الجبـاس[3] الـذي سُـجن بالقصر مع زميل له على دَيْن، وكان ابن الجباس يصلى بالليل، فقرأ في بعض الليالي سـورة الرعد، فسمعه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب، فأمر بالإفراج عنه وعن صاحبه[4].

قاعة سهم الدين:

وكان مكانها في شـارع يـسمى درب الأسـواني بالقـاهرة، واعتقـل فيهـا سـنة 622هـ/1225م تاج الدين وعز الدين ابني صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر وزير الملك الكامل الأيوبي[5].

---

1 - بناها أمير الجيوش بدر الجماليّ، وكانت داراً عظيمة، فلما مات، سكنها أبو محمد جعفر المظفر ابن أمير الجيوش فعرفت: بدار المظفر، ولما مات المظفر اتخذت داره دار ضيافة إلى أن انقرضت الدولة، فأنزل بها صلاح الدين أولاد العاضد. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص383.

2 - المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص347.

3 - الصالح المقري أبو الحسن عليّ بن أحمد بن جوشن المعروف بابن الجباس، ولد سنة 561هـ/1161م، وتوفي سنة638هـ/1434م. المقريزي: المواعظ، ج4، ص356.

4 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص356.

5 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص13.

خزانة شمائل:

كانت بجوار باب زويلة على يسار من دخل منه بجوار السور، وعرفت –أيضاً- باسم "سجن متولي القاهرة" [1]، وسجن أرباب الجرائم [2]. وتنسب إلى الأمير علم الدين شمائل الذي كان والي القاهرة في زمن الملك الكامل بن العادل الأيوبي، الذي أنشأها في حدود سنة 615هـ/1218م[3]، وبقيت سجناً حتى هدمها السلطان المؤيد شيخ سنة 818هـ/1416م، وبنى مكانها مدرسة ومسجداً أسماه مسجد المؤيد، وذلك بسبب أنه سجن فيها في دولة الناصر فرج بن برقوق (801-815هـ/1399- 1412م)، وقاسى بها شدائد عظيمة من البق والبراغيث [4]، فنذر في نفسه إن خلص من هذه الشدة، وصار سلطاناً أن يهدم هذا السجن ويبنى مكانه جامعاً، فلما تولَّى السلطنة هدمه وبنى هذا الجامع والمدرسة، وتم البناء في سنة 822هـ/1419م[5].

وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظراً، يحبس فيها من وجب عليه القطع أو القتل من اللصوص وقُطَّاع الطرق والمماليك الذين غضب عليهم السلطان [6]، ويظهر أنه كان يُدفن فيها من قُتل أو مات في السجن، فعندما هُدمت ونقض أساسها وُجد تحتها عدد كبير من جثث القتلى ورؤوسهم[7].

وقد قام ولاة القاهرة أكثر من مرة في العهد المملوكي بإرهاب الناس عند حدوث فتنة في القاهرة عن طريق إخراج المساجين من خزانة شمائل وإعدامهم وإيهام الناس أنهم من الثوار حتى تسكن الفتنة، ففي سنة 779هـ/1377م حدثت فتنة في القاهرة فأمر والي القاهرة حسين بن الكوراني بقتل جماعة لإرهاب العامة، فأخرج عدة من خزانة شمائل قد وجب عليهم القتل ونحرهم، ونادى عليهم "هذا جزاء من يكثر فضوله، ويتكلم فيما لا يعنيه" ثم وسَّطَهم تحت القلعة[8].

---

1 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص473.

2 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص142

3 - ابن أيبك: الدر المطلوب، ص201.

4 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص63.

5 - ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص6.

6 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص374.

7 - المصدر نفسه، ج3، ص63.

8 - المقريزي: السلوك، ج5، ص29.

وفي سنة 802هـ/1400م كَثُر النهب داخل القاهرة فعمد أحمد بن الزين[1] والي القاهرة إلى جماعة من المحبوسين في خزانة شمائل فقطع أيدي بعضهم، وضرب بعضهم بالمقارع، وأشهرهم، ونادى عليهم "هذا جزاء من ينهب بيوت الناس"[2].

كما استخدم مساجينها رهائن لدى الفرنجة، وذلك عندما وصل رسل ملك قبرص إلى الإسكندرية يطلبون تجديد الهدنة في سنة 764هـ/1363م، وطلبوا رهائن عندهم حتى ينزلوا من مراكبهم ويسلموا رسالتهم للسلطان، فلم تؤمن مكيدتهم، فأخرج من سجن شمائل مجموعة من المساجين مِمَّن وجب عليهم القتل، وغُسِّلوا بالحمام، وألبسوا ثياباً جميلة، وسُفِّروا إلى الإسكندرية، فاستقبلهم نائب الإسكندرية وأشاع أنهم من الرؤساء وبعث بهم إلى الفرنجة، وأرسل خلفهم نساءً وصبياناً يبكون كأنهم عيالهم، حتى تنطلي الحيلة على الفرنجة[3].

وقد شهدت أحداث قتل وإعدام وكذلك وفاة سجناء داخل جدرانها ونذكر بعض الأمثلة:

في سنة 731هـ/1330م: اعتقل فيها رجل يدعى يوسف الكيماوي بتهمة الاحتيال، وعوقب بالضرب، فمات فيها، ثم سُمِّر وهو ميت وطِيفَ به القاهرة على جمل [4].

وسنة 782هـ/1380م: اعتقل فيها صلاح الدين بن عرام نائب الإسكندرية، وأمر السلطان برقوق بتسميره، فسُلم لوالي القاهرة حسين بن الكوراني[5] فضرب بالمقارع وعذب ثم قتل[6]، ثم عادت الكرة على ابن الكوراني نفسه في سنة 793هـ/1391م فقُتل فيها [7]

---

1 - ابن الزين والي القاهرة (توفي 803هـ-1400م): أحمد بن عمر، الأمير شهاب الدين. كان من الظلمة، وباشر عدة وظائف في دولة الظاهر برقوق، ولما ولي القاهرة شدد عَلَى الناس، وأجرى على أرباب الجرائم أنواع العذاب، ومنع النساء من المتنزهات وزيارة القبور، وصار من ظفر بها منهن يضربها ضرباً مبرحاً، وله أشياء من هذا النمط في العسف. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص48.

2 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص97.

3 - المقريزي: السلوك، ج4، ص291.

4 - المصدر نفسه، ج3، ص145.

5- الأمير حسام الدين بن الكوراني والي القاهرة قبض عليه الأمير بَطَا سنة 792هـ/1390م وضربه بالمقارع وسجنه وقيد بقيد ثقيل ونهبت داره وعُصر ثم أعيد إلى وظيفته بناء على طلب الناس، وأضيفت إليه ولاية الفسطاط، ثم مات مخنوقاً بوتر في سجن شمائل في سنة 793هـ/1390م، وكان ظالماً، غير أنه كان ماهراً في وظيفته. وله وقائع مشهورة مع زعر القاهرة. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج5، ص163. كمال: أطلس تاريخ القاهرة، ص256.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص215. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص184.

7 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص417.

خنقاً[1] فكان الجزاء من جنس العمل. وفي نفس السنة ضُرب القاضي شهاب الدين أحمد بـــن عمر القرشي قاضي قضاة دمشق بخزانة شمائل حتى مات تحت العقوبة[2]، وكذلك القاضـــي ابن الشهيد كاتب سر دمشق[3]. وفي نفس السنة -أيضاً- أخرج سائر المسجونين منهـــا إلـــى الريدانية وعرضوا على السلطان برقوق، فأمر بثلاثة منهم فأغرقوا في النيل، وســـمَّر مـــنهم سبعة، ثم قتل من بقي منهم في السجن[4].

وفي سنة 799هـ/1397م: سجن محمد الأستادار[5] فيها حتى مات من التعذيب، وقيل قتل خنقاً[6].

حبس المعونة بالقاهرة:

وكان موقعه بالقاهرة بجوار الصاغة القديمة، مقابل عقبة الصباغين، وسوق القـــشاشين أو "الخراطين"، وبجواره -أيضاً- دكة الحسبة، ودار العيار [7]، ومكسر الحطب بجوار سوق القصارين والفحامين [8]. والمعونة هي الشرطة، حيث تسمى في بغداد وفي مصر الفاطميـــة باسم الشحنة أو المعونة، وكانت مكان هذا السجن مقراً لصاحب الشرطة [9].

---

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص123.

2 - المصدر نفسه، ج12، ص25.

3 - المصدر نفسه، ج12، ص125.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص28.

5 - الاستادار: هو من يتكلم في أمور الأمير مع الدواوين والفلاحين. السبكي: معيد النعم، ص27.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص522.

7 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص208.

8 - المصدر نفسه، ج2، ص388.

9 - انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص28 يقول: "دخل أحمد بن جميل صاحب المعونة"، وفي ابن الأثير: "دخل أحمد بن جميل وهو صاحب الشرطة"، ويقول في ص 309: "صاحب المعونة ضرب رجلاً من العامة فمات"، وأيضاً: ج12، ص33: "وضعفت رجال المعونة عن مقاومة العيارين".

وابتدئ ببنائه سنة 517هـ/1122م بأمر الخليفة الفاطمي المأمون، ولم يزل هذا الموضع سجناً طوال مدة الدولة الفاطمية والأيوبية والمملوكية حتى زمن الملك المنصور قلاوون الذي هدمه، وبنى مكانه قيسارية[1] العنبر في سنة 680هـ/1281م [2].

وكان شنيع المنظر، يشم من يمر بجواره رائحة كريهة، وكان المنصور قلاوون يمر بجواره في طريقه من بيته إلى قلعة الجبل في زمن دولة الظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م)، وكان يشم رائحة كريهة ويسمع صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعري والقمل، فجعل على نفسه نذراً إن جعل الله له من الأمر شيئاً أن يبني مكان هذا الحبس مكاناً طيباً، فلما تولَّى السلطنة هدم حبس المعونة وبنى سوقاً لبائعي العنبر [3].

وقد كان في زمن الدولة الفاطمية حبس يسمى "المعونة"، ولكن موقعه كان في الفسطاط إلى الجنوب من جامع عمرو بن العاص، وبدأ الحبس فيه في سنة 381هـ/990م [4]، وكان يسجن فيه أرباب الجرائم من اللصوص وقُطَّاع الطرق، وكان حبساً ضيقاً شنيعاً يشم من قربه رائحة كريهة [5]. وبقي كذلك حتى عهد صلاح الدين الأيوبي الذي جعله مدرسة تعرف بالمدرسة الشريفية سنة 566هـ/1170م [6].

حبس الصيار:

وقد اتخذه ولاة مصر في العهد الأيوبي بعد هدم سجن المعونة بالفسطاط سنة 566هـ/1170م، وسبب تسميته أنه كان بأول الزقاق الذي فيه الحبس حانوت لشخص يقال له "منصور الطويل" ويلقب بالصيار، لأنه كان يبيع الصير[7] المعروف بالملوحة [8].

---

1 - القيسارية: وجمعها قياسر: السوق المسقوفة، وأطلقت أيضاً على الخان أو الوكالة، أي البناء الذي يحتوي على غرف ومخازن التجار، ويعلوه طباق للسكنى بارتفاع دورين أو ثلاثة. عاشور: العصر المماليكي، ص463.

2 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص387.

3 - المصدر نفسه، ج3، ص186.

4 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص110، 328.

5 - المصدر نفسه، ج2، ص374.

6 - أبو شامة: عيون الروضتين، ج2، ص180. ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص77.

7 - الصير: السميكات المملوحة. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج12، ص372.

8 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص329.

سجن المقشرة:

كان يقع بين باب الفتوح والجامع الحاكمي، وكان يتكون من برج من أبراج سور القاهرة وبجواره مقشرة كان يقشر فيها القمح، فلما هدمت خزانة شمائل، أمر طوغان نائب الغيبة بأمر السلطان بتحويل البرج والمقشرة إلى سجن لأرباب الجرائم، وسمي بسجن المقشرة [1] وذلك في شهر ربيع الأول سنة 828هـ/1425م، وهو من أشنع السجون وأضيقها، يقاسي فيه المسجونون من الغم والكرب ما لا يوصف [2]. وكان من سوء سمعته يُستخدم لحبس من أرادوا إهانته واحتقاره من الأمراء والأعيان فيوصم من يُسجن فيه بلقب "مقشراوي"، فيحدثنا ابن تغري بردي بحادثة حبس القاضي ولي الدين السفطي سنة 852هـ/1448م في سجن المقشرة مع أرباب الجرائم لإهانته: "ومن لطيف ما وقع للسفطى، أنه لما حبس بسجن المقشرة، دخل إليه بعض الناس، ليسأله مسألة، وخاطبه الرجل المذكور بيا مولانا قاضي القضاة، فصاح السفطى بأعلى صوته: تقول لي قاضى القضاة! أما تقول: يا لص يا حرامي يا مقشراوى [3].

ويقول ابن تغري بردي متهكماً على هذه الحادثة: "سألني بعض الأعيان فيما بيني وبينه إذ ذاك: أسمعتم أن قاضي القضاة نُفِي إلى طرسوس، فقلت:ما نعلم إلا أنهم يحبسون بالمقشرة مع أرباب الجرائم، وعنيت السفطي بذلك، فضحك الحاضرون"[4].

واعتقل فيها عدد من القضاة والأمراء وذلك زيادة في احتقارهم وتعذيبهم: ففي سنة 848هـ/1444م اعتُقل فيها أحد الأعيان من النواب الشافعية وهو المحب أبو البركات الهيتمي فضرب ضرباً مبرحاً وتسلمه الوالي وأعوانه وساروا به نحو سجن المقشرة وهو مكشوف الرأس[5].

---

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص46.

2 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص374.

3 - النجوم الزاهرة، ج15، ص385.

4 - حوادث الدهور، ج1، ص214.

5 - السخاوي: التبر المسبوك، ج1، ص90.

وفي سنة 854هـ/1450م اعتقل فيها عبد قاسم الكاشف [1]، وسعدان بن قاسم بسبب اعتقاد الناس فيه بالصلاح وتبركهم به[2]، ومجموعة من مماليك الأمير تنم بن عبد الرازق المؤيدي وعددهم عشرة[3]، وقوام الدين حسين العجمي الحنفي بتهمة ضرب الزغل[4]، ومحمود بن عبيد الله الأردبيلي أحد نواب الحنفية والشهاب أحمد بن العريف وجماعة آخرون بسبب قضية شهادة على وقفية بيت[5]، وفي سنة 855هـ/1451م حبس فيها أمراء عربان الشرقية بيبرس بن بقر وابن شعبان[6].

وسنة 856هـ/1452م حبس قاضي قضاة الشافعية بطرابلس تقي الدين بن عبد الرحمن بن حجي بن عز الدين بتهمة تزوير المحاضر[7]، وعبد الرحمن بن الدبري وهو من سكان القدس وقد اعتقل بتهمة إحداث فتنة في القدس[8].

واستخدمت الخزانة أحياناً لحبس الأسرى، فقد حبس فيها الفرنج الذين أُسروا من جزيرة رودس سنة 856هـ/1452م [9].

كما سُجلت حالات وفاة وإعدام وقتل تحت التعذيب داخل الخزانة وممَّن مات أو قتل فيها: سنة 866هـ/1462م: توفي ابن الزفيك معمار السلطان بعد ضربه بالعصي والمقارع[10]. وفي نفس السنة توفي حمزة بن غيث بن نصير الدين، بعدما أُخرج من المقشرة وسُلِخ وطِيفَ به على جمل، وحُمل إلى بلاد الريف وطِيفَ به القُرى والبلاد، وذلك بتهمة الفسق والتعدي على الأموال والممتلكات والمجاهرة بالمحرمات وضرب الفضة الزغل[11].

---

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص407.

2 - المصدر نفسه، ج1، ص251.

3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص410.

4 - ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، 264. والزغل: هي النقود المزيفة. عاشور: العصر المماليكي، ص445.

5 - المصدر نفسه، ج1، ص264.

6 - المصدر نفسه، ج2، ص340.

7 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص447.

8 - ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص200.

9 - المصدر نفسه، ج1، ص89.

10 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص42.

11 - السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص166.

وفي سنة 880هـ/1475م: توفي أحد أئمة القصر ويدعى إسماعيل بعد أن نُسب إليه التعرض لسرقة جواري الناس وبيعهن في قرى الأرياف[1].

وفي سنة 894هـ/1489م: توفي محمد بن البدر الجوجري من أثر الضرب والتعذيب[2]. وفي سنة 895هـ/1490م: توفي محمد شمس الدين البحيري، أحد قراء قاعة الدهيشة[3] بعد أن ضرب لجريمة ارتكبها[4].

وفي سنة 911هـ/1505م: توفي شاب صوفي يدعى محمد بن سلامة الهمذاني بسبب تزوجه بامرأة خنثى ادَّعى البعض عليه أنها صبي وأنه يمارس معه اللواط، فضرب حتى الموت وأشهر وجُرِّس[5] على ثور وأرسل إلى خزانة شمايل ليحبس فمات فيها من أثر التعذيب[6].

سجن الديلم:

كان موقعه بحارة الديلم[7] غربي الجامع الأزهر[8]، وممَّن حُبس فيه: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية سنة 704هـ/1303م [9]، وشهاب الدين أحمد العبادي من فقهاء الحنفية سنة 797هـ [10]، وأبو الخير النحاس [11]، والشهاب أحمد المدني وضرب مائة سوط وجعل في

---

1 - السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص311.

2 - المصدر نفسه، ج10، ص103.

3 - الدهيشة: قاعة في قلعة القاهرة عمّرها السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون، في سنة 745هـ/1344م. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص409.

4 - السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص110.

5 - التجريس: هو أن يُشهر المذنب في طرقات المدينة، ويضرب الجرس على رأسه ليجتمع الناس حوله، ثم يضرب أو يوسط علناً في نهاية المطاف. عاشور: العصر المماليكي، ص421.

6 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج10، ص79.

7 - حارة الديلم: سميت باسم جماعة الديلم سكنوها بعد قدومهم إلى القاهرة سنة 368هـ/979م. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص16.

8 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص207.

9 - المقريزي: السلوك، ج2، ص401.

10 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص493.

11 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص420.

رقبته جنزير ثم وضع بسجن الديلم، والشمس الديسطي وأُفرج عنه سنة 854هـ/1450م، وتوفي فيه حسن الدمياطي سنة 882هـ/1477م [1].

وكان سجن الديلم يتبع لإدارة القضاة، فقد ذكر الألوسي أن شيخ الإسلام ابن تيمية اعتقل في "حبس القضاة بحارة الديلم" [2].

وبقي سجن الديلم مأهولاً بالمساجين حتى نهاية دولة المماليك، حتى أن السلطان سليم الأول[3] حينما دخل مصر قبض على مجموعة من المماليك وأودعهم فيه[4].

حبس رحبة باب العيد:

وكان يقع في رحبة باب العيد [5]، بالقرب من درب قراصيا، ودرب السلامي الذي يؤدي إلى باب العيد [6]، وكان يجاوره حانوت يسمى حانوت الزفتاوي [7].

وسمي برحبة باب العيد نسبة إلى هذا الرحبة التي كانت في غاية الاتساع، وكان الجنود الخيالة والراجلة يصطفون يومي العيد من كل عام حيث يخرج عليهم الخليفة الفاطمي من باب العيد [8].

---

1 - السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، ص133.

2 - غاية الأماني، ج2، ص238.

3 - السلطان العثماني سليم الأول: تربع السلطان سليم الأول على العرش العثماني في عام (918-926هـ/1512-1520م). الصلابي: الدولة العثمانية، ص231.

4 - ابن أجا، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك الدوادار، ص288.

5 - وهي رحبة واسعة كانت أمام الباب الشرقي للقصر الفاطمي الكبير وهي الآن متفرعة من شارع قصر الشوق بالغورية بالأزهر. محمود توفيق سعد: الإمام البقاعي ومنهاجه، ص17.

6 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص231.

7 - السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص170.

8 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص94.

وكان هذا السجن يتبع لإدارة القضاة كما تتطرق كتب التاريخ إلى ذكر "سجن القـضاة" أو "سجن الحُكم" ففي سنة 690هـ/1291م أُفرج عن تقي الدين بن بنت الأعز[1] من "سـجن الحكم" [2]، وكذلك في أحداث سنة 726هـ/1325م أمر قاضي القضاة الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ ابن تيمية في "حبس الحكم" [3]. وفي سنة 802هـ/1400م ، كسر الزعر حبسي القضاة وأخرجوا من كان فيهما [4] ولم يذكر اسمي السجنين.

ويذكر المقريزي نوعين من السجون في أحداث سنة 741هـ/1341م: "وأُفرج عـن المسجونين بسجن القضاة والولاة بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال" [5].

ونستنتج أن السجنين هما سجني الرحبة والـديلم، مـن خـلال مـا ورد فـي سـنة 784هـ/1382م، رسم الأمير الكبير بإطلاق من في سجني الديلم والرحبة مـن المـديونين، فأُفرج عنهم جميعهم، وأغلق باب السجنين، ومنع القضاة من سجن أحد علـى ديـن، وذلـك لانتشار الغلاء وفقد الخبز من السوق [6].

وقد بقي السجن معمولاً به حتى أواخر العصر المملـوكي، فقـد اعتقـل فيـه سـنة 895هـ/1490م رجلان أحدهما يدعى أحمد بن يوسف معلم المقشرة والآخر علي المرجوشي بتهمة ضرب نقود الزغل[7].

---

1 - ابن بنت الأعز (ت 695هـ/1295م): عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن بدو العلامي نسبة إلى قبيلة من لخم، قاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة تاج الدين، الشافعي المصري. ابـن تغـري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص101.

2 - المقريزي: السلوك، ج2، ص241.

3 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص122.

4 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص96.

5 - السلوك، ج3، ص298.

6 - المقريزي: السلوك، ج2، ص360.

7 - السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص1122.

سجن الجيزة:

تقع مدينة الجيزة الصغيرة مقابل مصر القديمة، ويفصلهما النيل الذي يزداد عرضه في هذه المنطقة، وهي مسورة من ناحية الغرب حيث توجد الأهرامات، وأطول امتداد لها يكـــون بمحاذاة النيل حيث يبلغ 1500 متراً [1]. ولم ترد أية معلومات عن هذا السجن سوى أنه فـــي سنة 879هــ/1475م هجم عرب عزالة[2] على ضواحي الجيزة، ونهبوا خيـــول المماليـــك، وقتلوا جماعة من الغلمان، وأطلقوا من كان في السجن [3].

سجن الحجرة للنساء:

وكان هذا الحبس مخصص للنساء، ففي سنة 724هــ/1324م رسم السلطان الناصـــر محمد بإبطال الملاهي بالديار المصرية وحبس جماعة من النساء الزواني [4]، وذكر أنه فـــي سنة 740هــ/1340م تم مصادرة المُغنيات بمبلغ يتراوح ما بين ألف درهم إلى ثلاثـــة آلاف درهم[5]، وحُبسن بسجن الحجرة أياماً حتى تاب بعضهن عن الغناء وتزوج بقيتهن [6]، وفـــي سنة 813هــ/1411م، بأمر من السلطان المؤيد شيخ كسرت أبواب السجون ومنهـــا ســـجن الحجرة للنساء، وأطلق من فيها من المحابيس [7]. وبقي سجن الحجرة معمولاً به حتى أواخر العهد المملوكي، ففي عصر السلطان الغوري حدثت قضية زنى اعتقـــل بموجبهـــا الزانـــي وحبست الزانية في سجن الحجرة ثم أعدما [8].

---

1 - علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ج10، ص341.

2 - عرب العزالة: سكنوا الجيزة، ثاروا سنة 904هــ/1498م على كاشـــف البحيـــرة، وتوجهـــوا للقـــاهرة واشتبكوا مع المماليك في المعيصرة فقتلوا 50 مملوكياً، وانسحبوا للصعيد، فهاجمهم المماليك واعتقلـــوا منهم 300 أنزلوا بهم أشد العقاب، واستمرت المناوشات بينهما لأواخر العصر المملوكي. السيد: تـــاريخ القبائل، ص50.

3 - ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص456.

4 - السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص301.

5 - الدرهم: وُجد منها أربعة أنواع، أجودها قيمة ما عرف باسم النقرة، ويتكون من فضة ونحاس ووزنه 16 قيراطاً أي ينقص عن المثقال، وقدر كل سبعة مثاقيل بعشرة دراهم وزناً، وقيمة هذه الدراهم 24 فلـــساً، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص439.

6 - المقريزي: السلوك، ج3، ص279.

7 - الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص269.

8 - ابن إياس: بدائع، ج2، ص154.

2- سجون خارج القاهرة:

سجن قوص:

وهي مدينة كبيرة في صعيد مصر، تقع على الساحل الشرقي من النيل [1]، وتبعد مسافة 645كم جنوب القاهرة، وقد اختيرت عاصمة للصعيد منذ عهد الدولة الفاطمية حتى نهاية دولة المماليك [2]. فهي عاصمة الوجه القبلي من أسوان حتى عيذاب على شاطئ البحر الأحمر[3]. وقد استخدمت سجناً ومنفى للمعارضين، لحصانتها وبُعدها عن القاهرة، فقد قال ناصر خسرو في وصفها: "رأيت فيها أبنية عظيمة من الحجارة تبعث على العجب في نفس من يراها وهي مدينة قديمة محاطة بسور من الْحجر وأكثر أبنيتها من الحجارة الكبيرة" [4].

ولم يعثر الباحث عن معلومات لهذا السجن في العصر الأيوبي، ولكن في العصر المملوكي اعتقل فيها سيف الدين بشتك الناصري سنة 742هـ/1341م [5]، وفي السنة نفسها اعتقل فيها السلطان أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون[6] بعد خلعه وبقي في السجن حتى قُتل بعد خمسة أشهر من اعتقاله [7]، واعتقل فيها الوزير ابن زنبور [8]، وبقي فيها حتى وفاته سنة 755هـ/1354م[9].

سجن الفيوم:

الفيوم قال عنها ياقوت الحموي: "ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهي في منخفض الأرض" [10].

---

1 - ياقوت : معجم البلدان، ج4، ص414.

2 - الحجاجي: قوص، ص35.

3 - العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ج174.

4 - سفر نامه: ص116.

5 - ابن طولون: إعلام الورى، ص41.

6 - السلطان الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون: تولى السلطنة بعد أبيه سنة 741هـ/1341م. المقريزي: السلوك، ج2، ص56.

7 - ابن طولون: إعلام الورى، ص41.

8 - عبد الله بن أحمد بن إبراهيم، الوزير الصاحب علم الدين ابن تاج الدين الشهير بابن زنبور، القبطي المصري، كان وزيراً بالديار المصرية، ثم ولي نظر جيشها أيضاً والخاص، اجتمعت له هذه الوظائف الثلاثة معاً ولم تجتمع لأحد قبله. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج7، ص71.

9 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج7، ص71

10 - معجم البلدان: ج4، ص286.

استخدمه منطاش في سنة 792هـ- 1389م لسجن الأمراء أتباع الظاهر برقوق، عندما وصله خبر خروج برقوق من سجن الكرك متوجهاً إلى القاهرة لاسترجاع ملكه من يد منطاش، وحينها أصدر منطاش أمراً لوالي الفيوم بقتل الأمراء المحبوسين في سجن الفيوم، ثم بعد أيام أرسل والي الفيوم محضراً مفتعلاً إلى القاهرة فحواه: "أنه لمّا كان يوم الجمعة حادي عشرين جمادى الآخرة سقط على الأمراء المسجونين حائط سجنهم فماتوا جميعاً". والأمراء المقتولين هم: تنكز العثماني اليلبغاوى[1]، وتمان تمر الأشرفي[2]، وتمرباى الحسنى الأشرفي[3]، وجمق الكمشبغاوى، وتمر الجركتمرىّ، وقطلوبغا الأحمدي اليلبغاوىّ، وعيسى التّركماني، وقرابغا البو بكرى، وقرقماش الطّشتمرىّ، ويونس الإسعردى [4].

وممَّن نُفِي إليها الخليفة العباسي المستكفي بالله الأول [5]، في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقد أجرى له الناصر محمد ما يتقوت به، وبقي في قوص من سنة 737هـ/1337م [6] حتى وفاته سنة 740هـ/1340م [7]، ونُفِي إليها الملك المنصور بن

1 - تنكز بن عبد الله العثماني، الأمير سيف الدين: أحد أمراء الطبلخانات في دولة الملك الظاهر برقوق، قتل في وقعة الملك الظاهر برقوق بعد خروجه من سجن الكرك مع منطاش في سنة 792هـ-1390م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص352.

2 - تمان تمر بن عبد الله الأشرفي، الأمير سيف الدين، نائب بهسنا. 792هـ-1390م: أصله من مماليك الملك الأشرف شعبان بن حسين، ثم أخرج بعد قتل أستاذه إلى نيابة بهسنا. توفي سنة 792هـ-1390م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص332.

3 - تمرباى بن عبد الله الحسنى، الأمير سيف الدين، حاجب الحجاب بالديار المصرية. من أمراء دمشق، تنقل في عدة وظائف إلى أن وافق الأمير يلبغا الناصري ومنطاش ضد الظاهر برقوق، ولما خلع برقوق استقر تمرباي في حجوبية الحجاب بمصر، إلى أن قبض منطاش على الناصري، قبض على تمرباى وحبس وورد المحضر المفتعل بسقوط جدار السجن عليه. ابن تغري بردي: المنهل الصافي: ج1، ص333.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص121.

5 - المستكفي بالله الأول: أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله، ولي الخلافة سنة 701هـ/1302م، بقي على علاقة طيبة مع السلطان الناصر محمد حتى غضب عليه سنة 736هـ/1336م فنفاه إلى قوص، وبقي فيها حتى توفي سنة 741هـ/1341م. سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص26.

6 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص423.

7 - العمري: مسالك الأبصار، ج27، ص555.

قلاوون بعد خلعه سنة 742هـ/1341م ، ثم تآمر الأمير قوصون[1] مع عبد المؤمن متولي قوص على قتله، فقتله وحمل رأسه إلى قوصون سراً [2].

سجن أسوان[3]:

أسوان مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه[4]. اتخذها المماليك سجناً ومنفى، ولكن في حالات نادرة، فقد مات مخنوقاً فيها الصاحب الكبير كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله القبطي المسلماني[5] سنة 724هـ/1324م، وكان قد نُفِي إلى الشوبك، ثم إلى القدس، ثم إلى أسوان [6] وفيها وُجد مشنوقاً بعمامته [7].

سجن دار ابن لقمان بالمنصورة:

وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الدار التي كان نازلاً بها فخر الدين إبراهيم ابن لقمان كاتب الإنشاء، وقد اعتقل فيها لويس التاسع بعد هزيمته في المنصورة، ثم إطلاق سراحه سنة 648هـ/1251م، وكان قد رُتُب لهم راتباً يحمل إليهم كل يوم[8]، ووكل به الطواشي جمال الدين صبيح المعظمي حارساً عليه[9].

---

1 - قوصون: الأمير الكبير النائب سيف الدين الساقي الناصري. كان من كبار الأمراء أواخر الدولة الناصرية، نهض بخلع أبي بكر المنصور، وزوجه الملك الناصر محمد ابنته، واعتقل بثغر الإسكندرية إلى أن خنق في شوال سنة 742هـ/1342م.

2 - ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج2، ص69.

3 - تقع أسوان على بعد 879كم جنوب القاهرة، ولم يكن مكانها في العصور الوسطى هو الحالي، بل كانت تشغل الجنوبي الغربي من محلها الآن على ربوة عالية الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص7.

4 - ياقوت : معجم البلدان، ج1، ص191.

5 - تسمى أيضاً لما أسلم عبد الكريم، من كبار الدولة التركية أفرط في الإنعام على الأمراء فأزعج الناصر لما يعطيه لهم بغير مشورته فقبض عليه سنة 723هـ وأحيط بأمواله الكثيرة ثم أفرج عنه بعد 10 أيام ونفاه وولده إلى الشوبك ثم القدس ثم حضر إليه في سنة 724هـ قطلوبغا المعزي وأوقع الحوطة عليه وأحضره وولده إلى مصر فحبسا بالقلعة ثم نفى إلى أسوان فوجد مشنوقا. العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1، ص480.

6 - الذهبي: العبر، ج4، ص71.

7 -ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص134. ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص267.

8 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص38.

9 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص212.

القسم الثاني: سجون المدن الشامية

استخدم عدد من الأماكن للاعتقال في عدة مدن شامية، وخاصة في العاصمة دمــشق، ونقسم هذه السجون إلى قسمين: القسم الأول: سجون مدينة دمشق، والقسم الثاني: سجون أقاليم الشام:

1- سجون مدينة دمشق:

كان في مدينة دمشق عدة سجون، وقد جرت بعض الأحــداث تظهــر اســتخدام هــذه السجون ومنها: حدثت فتنة بدمشق بين أهــل حــي الــشاغور وحــي العقيبــة فــي ســنة 613هــ/1217م حيث حملوا السلاح وتقاتلوا بمنطقة الرحبة والصيارف، فتــدخل العــسكر وحضر الملك المعظم لتسكين الفتنة وقبض على جماعة من مقدمي الحــارات مــنهم رئــيس الشاغور وأودعوا السجن[1].

واعتقل الشيخ عز الدين بن عبد السلام والــشيخ أبــي عمــرو بــن الحاجــب ســنة 638هــ/1240م، بعدما اعترضا على الصالح إسماعيل صاحب دمشق عندما ســلَّم حــصن شقيف أرنون لصاحب صيدا الفرنجي، فاعتقلهما مدة ثم أطلقهما وألزمهما منازلهمــا[2]، ولــم تذكر المصادر مكان السجن الذي اعتقلا فيه هل هو القلعة أم سجن من سجون المدينة، ونذكر بعض أسماء سجون المدينة:

سجن باب البريد:

سجن كان بمحلة باب البريد، وهي محلة كانت تشمل سوق المسكية والنهاية الــشرقية لسوق الحميدية، وسوق الحرير، وسوق باب البريد اليوم، وتشكل هذه الأسواق تقاطعاً عرف قديماً باسم "مربعة باب البريد"، ولا زالت إلى اليوم تحمل اسم باب البريد [3]، ويبدو أن هــذا السجن قد افتتح في عصر المماليك، فلم يطلع الباحث على ذكر له في العصر الأيوبي.

---

1 - أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص47.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص181.

3 - الشهابي: معجم دمشق التاريخي، ج1، ص19.

ويعرف -أيضاً- بحبس الدم فقد ظهرت هذه التسمية في حوادث سنة 886هـ/1481م: "وسقط حبس الدم بباب البريد على المحابيس فمات بعضهم وسلم بعضهم" [1]، وورد في أحداث سنة 887هـ/1482م "حَبَسَ القضاة رجل بتهمة التلفظ بألفاظ كفر صريح في حبس الدم حتى عقد له مجلس قضاء وحكم بإسلامه" [2].

وفي سنة 890هـ/1485م اعتقل فيه "الشيخ زين الدين خضر الحسباني، تعرض للمساءلة من قبل ورثة الواقف ابن المزلق، وجرت محاسبة أدت إلى سجنه" [3]. وفي سنة 895هـ/1490م "عزّر قاضي الحنفية العمادي شخص يدعى محمد الكازوني وأهانه، وسجنه بسجن باب البريد"[4].

وفي سنة 899هـ/1494م "أتى جماعة من القابون[5] إلى حبس البريد، فكسروه وأخرجوا منه جماعة من المحابيس" [6]. وبقي حبس البريد مستخدماً حتى أواخر العهد المملوكي ففي سنة 916هـ/1510م ذكر ابن طولون عن وفاة أحد المساجين فيه [7].

وبقي السجن معمولاً بعد نهاية الدولة المملوكية ففي سنة 923هـ/1517م حبس القاضي مجموعة من شهود الزور في قضية بحبس باب البريد بعدما ضربهم ضرباً مبرحاً [8]. وفي سنة 926هـ/1520م شنق النائب رجلاً كان محبوساً في حبس باب البريد، فلعب مع رفيقه لعبة الطاب والدك [9]، فتخاصما، فضربه بالقصب فمات، فرسم النائب بشنقه" [10].

---

1 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص44.

2 - المصدر نفسه، ص48.

3 - أبو الشعر: واقع الأوقاف في نيابة دمشق، ص4.

4 - ابن طولون: مفاكهة الخلان: ص101.

5 - القابون: تقع في الطرف الشمالي من دمشق والشرقي من برزة. الشهابي: معجم دمشق، ص101.

6 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص130. الحنبلي: شذرات الذهب: ج10، ص367.

7 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص279.

8 - المصدر نفسه، ص366.

9 - الطاب والدك: لعبة للتسلية وهي لوحة مقسمة إلى 21 بيتاً على أربعة أسطر، ولها أحجار سود وبيض، يصف كل من اللاعبين أحجاره في أول صف ثم ينقلها حسب ما يأتي به الرشق، الذي يكون بأربع فلقات قصب تدل برشقها على قنينة على عدة ظهور. راسل: تاريخ حلب، ص407.

10 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص395.

وفي نفس السنة خنق النائب بحبس باب البريد ترجمان الإفرنج الجعبري بتهمة إرسال بعض آلات الحرب إلى إسماعيل شاه الصوفي، وقتل معه في الحبس خنقاً خمسة أروام قيـــل أنهم قبض عليهم في رمضان مع بنت خطأ [1] وهم يشربون الخمر [2].

سجن باب الصغير:

ويتضح من التسمية أنه يقع في منطقة باب الصغير بجوار مسجد واثلة بن الأسقع [3]، في الجهة الجنوبية الغربية من دمشق عند حي الشاغور، وباب الصغير من أبـــواب دمـــشق الأصلية السبعة، التي اختطها اليونان الهيلينيون، وأطلق عليه بعد الفتح الإسلامي لدمشق سنة 14هـــ/635م اسم الصغير لكونه أصغر أبواب المدينة، وجدَّده الملك المعظـــم عيـــسى ســـنة 623هـــ/1226م، وله أسماء أخرى منها الباب القبلي، وباب الحديد [4].

ونذكر أسماء بعض من اعتقل فيه ومنهم: القاضي عز الدين بن الحموي الذي اعتقـــل لمدة يومين وذلك سنة 682هـــ/1283م[5]، وفي سنة 699هـــ/1300م اعتقل فيه الشريف زين الدين بن عدنان، بعدما أرسل من القاهرة مقيداً [6]. واعتقل فيه حمزة شمس الدين التركمـــاني دوادار نائب السلطنة في عهد الأمير سيف الدين تنكز نائـــب الـــسلطنة بالـــشام، فـــي ســـنة 735هـــ/1335م [7]. وفي سنة 761هـــ/1360م اعتقل فيه شخص يـــدعى الـــسراج عمـــر القفطي المصري، بعدما قطعت يده، بتهمة تزوير المراسيم [8].

---

1 - بنات الخطأ: تسمية للعواهر والزانيات وكان لهن حارات وأماكن يعملن فيها في بعض المدن مثل القاهرة ودمشق. العصامي: سمط النجوم، ج4، 587.

2 - ابن طولون: مفاكهة الخلان ، ص412.

3 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج6، ص217. ومسجد واثلة بن الأسقع: كان جنوبي الزلاقة بمحلـــة الـــدقاقين داخل الباب الصغير، جنوبي البزورية، وكان عند الخبازين في سويقة الباب الصغير، تعددت تـــسميات مواقعه، ولكنها تشير جميعاً إلى رأس درب الزلاقة. الشهابي: معجم دمشق التاريخي، ج2، ص302.

4 - الشهابي: معجم دمشق التاريخي، ج1، ص26.

5 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج4، ص180.

6 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج52، ص96.

7 - الصفدي: أعيان العصر، ج2، ص302. الوافي بالوفيات: ج13، ص115. ابن الوردي: تـــاريخ، ج2، ص299.

8 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص306.

وورد أنه حينما هاجم المغول بقيادة غازان[1] دمشق سنة 699هـــ/1300م، أحـــرق المُعتقلون بسجن باب الصغير باب السجن، وخرجوا منه، وكانوا حوالي 150 سجيناً [2]، في حين ذكر ابن كثير وبدر الدين العيني أنهم كانوا 200 سجيناً [3].

سجن السد:

في سنة 761هـــ/1360م كان محبوساً فيه عدد من المساجين ثم قطعت يد رجل مـــنهم كان يزور المراسيم السلطانية، واسمه السراج عمر القفطي المصري، وحمل في قفص علـــى جمل وهو مقطوع اليد، والدم ينصب منها، وأركب معه رجلان آخران هما الشيخ زين الدين زيد على جمل وهو منكوس وجهه إلى ناحية دبر الجمل، وهو عريان مكشوف الرأس، والبدر الخصمي على جمل آخر، وأركب الوالي شهاب الدين على جمل آخر وعلى تخفيفة صغيرة، وخف وقباء، وطِيفَ بهم دمشق، ونودي عليهم: هذا جزاء من يزور على السلطان، ثم أودعوا حبس الباب الصغير [4]. وفي سنة 767هـــ/1365م هرب منه المـــساجين، وأرســـل الـــولاة صبيحة يومئذ في أثرهم فأمسك كثير منهم، وضربوا وردوا إلى السجن [5].

وذكر ابن قاضي شهبة في تاريخه أن النجم بن السنجاري اعتقل في حبس "الشد" ســـنة 772هـــ/1371م [6]. ومن المعتقد أنه نفس السجن ولكن حدث بعض التحريف من النساخ.

1 - غازان قائد مغول الإلخانات، انتصر على المماليك بقيادة السلطان الناصر محمـــد بـــن قـــلاوون ســـنة 699هــ/1299م في معركة وادي الخزندار واستولى على دمشق وانتهك حرمة الناس والمقدسات وقتلوا العديد من المدنيين. ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص306.

2 - النويري: نهاية الأرب: ج33، ص384.

3 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص7. بدر الدين العيني: عقد الجمان، ج1، ص356.

4 - ابن كثير: البداية والنهاية ، ج14، ص306.

5 - المصدر نفسه ، ج14، ص367.

6 - ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج3، ص383.

سجن دوادار السلطان:

وكان موقعه في حي العقيبية بجوار جامع التوبة [1]، حيث أورده ابن طولون في أحداث سنة 896هـ/1491م وقال: "نقب حبس دوادار السلطان الذي غربي جامع التوبة بشمال، وخرج منه جماعة كثيرة غالبهم مظلومون" [2].

سجن الدير:

أورد ابن طولون اسم هذا السجن في أحداث سنة 885هـ/1480م حيث سُجن فيه شاب شافعي المذهب اسمه موسى العلماوي بسبب كلمة قالها اعتبرها القاضي المالكي لفظاً كفرياً، فأمر بحبسه في سجن الدير والتضييق عليه فبات في السجن في قيد وغل [3].

سجن بالشاغور الجواني:

أورد النعيمي ذكر "طاحون السجن" بالشاغور الجواني، ومكانه بين زقاق الخضيرية، وزقاق الشماعين، وعرفت هذه المحلة قديماً بزقاق السجن، أو زقاق طاحون السجن، وفي هذه الأيام تعرف بنزلة طاحون السجن، ومن خلال التسمية نستدل على وجود سجناً بجوار الطاحون في تلك الأيام [4].

المدرسة العذراوية:

وموقعها في حارة الغرباء داخل باب النصر المسمى باب السعادة، وهي وقف على الشافعية والحنفية، أنشأتها الست عذراء بنت أخي صلاح الدين الأيوبي سنة 580هـ/1184م[5]. ولم ينقطع التدريس بالمدرسة، رغم أنها استخدمت في بعض الأحيان سجناً، ينفذ فيه حكم الترسيم[6] على بعض العلماء وموظفي الدولة مثل الولاة والقضاة

1 - جامع التوبة بالعقيبية بدمشق، أنشأه الملك الأشرف موسى بن العادل سنة 632هـ/1335م. (النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص328).

2 - مفاكهة الخلان، ص114.

3 - المصدر نفسه، ص30.

4 - الدارس في تاريخ المدارس: ج2، ص235.

5 - النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص283.

6 - الترسيم: يعنى الحجر أو التوقيف أو ما يقابل في عصرنا الإقامة الجبرية، أو المراقبة، وكثيراً ما كان يُرسم على الفقهاء أو القضاة في مدرسة من المدارس، ويقال رُسِم على فلان أي وضع تحت المراقبة بعد عزله بأمر من السلطة المختصة. (دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص44).

والمحتسبين وموظفي الأوقاف ممن تثبت عليه تهمة، ففي سنة 713هـ/1313م اعتقل فيها عز الدين محمد بن العدل شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوي، وكان يباشر استيفاء الأوقاف، ومات بالمدرسة معتقلاً وهو ابن 35 سنة [1].

وفي سنة 723هـ/1323م أقام بالترسيم معتقلاً فيها القطب ابن شيخ السلامية لمدة 20 يوماً بعد عزله من نظر الجيوش، ثم أذن له بالانصراف إلى بيته [2].

وفي سنة 734هـ/1333م رُسم على القاضي جمال الدين يوسف بن جملة الحجي الشافعي بالاعتقال بالعذراوية وعُزل من قضاء دمشق، لأنه عزّر الشيخ ظهير الرومي فجاوز الحد في تعزيره، ومكث فيها مدة ثم نقل إلى سجن قلعة دمشق [3].

ورُسم فيها على القاضي علم الدين بن القطب لمدة 100 يوم، بعد عزله عن كتابة السر[4] وضربه ومصادرة شيء من ماله وذلك في سنة 738هـ/1338م [5]. وفي سنة 743هـ/1343م رُسم على المحتسب[6] عماد الدين الشيرازي بالعذراوية، فاستأذن أن يُحوّل إلى دار الحديث الأشرفية فحُوّل إليها [7].

---

1 - الصفدي: أعيان العصر، ج4، ص303.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص121.

3 - أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ج4، ص112.

4 - كاتب السر: وظيفة اختصاصها قراءة الكتب الواردة على السلطان، وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، والجلوس بدار العدل لقراءة الطلبات، والاستدعاءات والتوقيع عليها، ومشاركة الوزير في بعض الأمور، ومشاركة الدوادار في أكثر الأمور السلطانية. دهمان: معجم الألفاظ ، ص128.

5 - ابن طولون: مفاكهة الخلان: ص44.ج14، 210.

6 - الحسبة: نظام من النظم الإدارية الإسلامية يطلق بالمعنى الواسع على وظيفة المحافظة على النظام العام والمراقبة لما يجري بين الناس من معاملات والفصل الفوري بين المنازعات مما لا يدخل في اختصاص القاضي، وفي العهد المملوكي كانت حسبة القاهرة وظيفة يتولى شاغلها الأمر والنهي فيما يتصل بالمعايش والصنايع والتصرف بالحكم والتولية بالوجه البحري بكامله ما عدا الإسكندرية ومن اختصاصه حفظ ومراقبة الأسعار والنظر في المقاييس والمكاييل والموازين. (دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص61).

7 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص338.

وفي سنة 761هـ/1360م احتيط على والي البر[1] ابن بهادر الشيرجي، ورُسم عليه بالعذراوية [2]. وفي سنة 762هـ/1361م اعتقل فيها الأمير جاريك تمر سيف الدين المارداني مدة، ثم أرسل إلى سجن الإسكندرية [3]. وفي سنة 782هـ/1380م أُمر بالترسيم على شهاب الدين أحمد بن نجم الدين بن شهاب الدين بن فضل الله حتى يوفي ما التزم به من مال على وظيفة كتابة السر [4]. وفي سنة 784هـ/1382م رُسم على فتح الدين بن الشهيد بالمدرسة العذراوية ثم نقل إلى المدرسة الدماغية، وفي نفس العام رُسم على صدر الدين بن العز الحنفي بالاعتقال في العذراوية، ثم نُقل إلى القلعة [5]. وفي سنة 892هـ/1488م اعتقل فيها يوسف بن جلبان، بعد قدومه من مصر حيث كان معتقلاً بسجن المقشرة وشفع فيه النائب على أن يدفع ستة آلاف دينار[6]، وبقي مرسماً عليه في العذراوية حتى باع غالبية أملاكه ليُسَدِّد المبلغ [7]. ورُسم فيها على الشيخ شهاب الدين بن المحوجب والي البر [8].

الحبس الجديد:

ذكر ابن عساكر "قناة عند السجن الجديد والفنادق أنشأها الملك العادل" [9]، وفي موضع آخر ذكر كنيسة اليعقوبيين، وأنها كانت "خلف الحبس الجديد" [10].

---

1 - والي البر: هو والٍ يحكم على عدة مدن صغيرة تكون تابعة لمدينة كبيرة كدمشق ويسمونه في عصرنا محافظ. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص154.

2 - المصدر نفسه، ج14، ص306.

3 - الصفدي: أعيان العصر، ج2، ص148.

4 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص220.

5 - المصدر نفسه، ج1، ص256.

6 - الدينار: هو العملة الذهبية، تعرض كغيره من أنواع العملة إلى التعديل في وزنه، والعادة أن يكون مثقالاً، لكن بعض السلاطين ضرب دنانير تقل عن المثقال أو تزيد، مثل السلطان فرج إذ تراوحت أوزان الدنانير التي ضربها بين مثقالين ومثقال ونصف مثقال وربع مثقال، وتبعاً لاختلاف الأوزان ونسبة ما فيها من معادن أخرى غير الذهب اختلفت قيم الدينار من الدراهم التي يقدر بها قدر دينار بيبرس بـ28 درهماً ودينار الناصر بـ25 درهماً. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص337، المقريزي: السلوك: ج2، ص320. عطا الله: نيابة غزة، ص103.

7 - ابن طولون: مفاكهة الخلان: ص65.

8 - المصدر نفسه، ص165.

9 - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج2، ص378. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص65.

10 - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج2، ص356.

2- سجون أقاليم الشام

سجن الدلبة بحلب:

ذكره سبط ابن العجمي حيث قال: "درب الدلبة: وكان به حبس وبه شجرة دلب [1] فسمي بذلك [2]"، وكان بجواره حمام العفيف بن زريق [3]، ومسجد [4].

ومن المحتمل أنه نفس السجن الذي اعتقل فيه صدر الدين بن النويري والذي اعتقل في سجن قلعة حلب ثم أنزل من القلعة بسبب الإسهال الذي حصل له إلى السجن في المدينة فأقام في السجن والإسهال قد زاد عليه حتى توفي بعد عدة أيام [5].

سجن الشرطة بالقدس:

ذكره مجير الدين الحنبلي وهو يصف مكان مسجد الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي: "الكائن علو سجن الشرطة تجاه قمامة من جِهَة الْقبْلَة" [6]، ونستنتج من ذلك، أن سجن الشرطة بالقدس يقع جنوبي كنيسة القيامة، وكان يعلوه مسجد الأفضل.

وقد تحول هذا السجن فيما بعد إلى مسجد يعرف الآن بمسجد عمر بن الخطاب، فقد أخطأ الناس حول الموقع الذي صلى فيه عمر بن الخطاب t بجوار كنيسة القيامة، حتى أصبح الناس يعتقدون بأن المكان الذي صلى فيه هو المسجد القائم جنوبي كنيسة القيامة. ولكن الحقيقة أن المسجد الذي صلى فيه أمير المؤمنين عمر يقع "بحارة النصارى بالقدس الشريف بجوار كنيسة القمامة من جهة الغرب عن يمنة السالك من درج القمامة الخانقاه الصلاحية" كما ذكر مجير الدين الحنبلي وأطلق عليه اسم مسجد الحيات [7]. وأكد في موضع آخر "مسجد

---

1 - الدلب: شجر الصنار، شجر يعظم ويتسع، ولا نوْر له ولا ثمر، وهو مفرض الورق واسعه، شبيه بورق الكرم، واحدته دلبة. (ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص377)

2 - كنوز الذهب، ج1، ص455.

3 - سبط ابن العجمي: كنوز الذهب، ج1، ص584. الغزي: نهر الذهب، ج1، ص63.

4 - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص26.

5 - سبط ابن العجمي: كنوز الذهب، ج2، ص215.

6 - الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص49.

7 - المصدر نفسه، ج1، ص126.

الحيات هو الذي كان به طلسم الحيات، وتقدم ذكره وهو بغرب كنيسة قمامة وهو مسجد عظيم من المساجد العمرية منسوب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t "[1].

سجن دار النيابة بالقدس:

استخدم نائب القدس دار النيابة لحبس العصاة والمساجين، ونسجل عدد من الحوادث في هذا الصدد ومنها: في سنة 838هـ/1435م: قام حسن قجا نائب السلطنة في بيت المقدس وناظر الحرم الشريف بضرب جماعة من خدام الحرم بالمقارع في دار النيابة، وحبس شيخ الحرم، وذلك بعد سرقة مال الوقف الموضوع بصندوق الصخرة الشريفة، واتهام الخدام بسرقته[2]. وفي سنة 894هـ/1489م حضر الأمير أقبردي الدوادار الكبير إلى جبل نابلس للقبض على بني إسماعيل مشايخ جبل نابلس بسبب تقصيرهم وعودتهم من التجريدة [3] المتوجهة إلى بلاد الروم بغير إذن، وأحضر نائب القدس دقماق كل من أخذ مال التجريدة واسترجعه منه بالضرب والحبس[4].

كما قام دقماق نائب القدس سنة 896هـ/1491م بإجبار أهل القدس على شراء الزيت المتحصل من نابلس بأضعاف ثمنه بما يفوق طاقة الناس، وحصل للناس ضيق شديد بسبب ذلك، وصار يحبس النساء حتى يجبر رجالهن على دفع ثمن الزيت، والبالغ 15 ديناراً ذهب لكل قنطار[5].

ويظهر أن دار النيابة كانت تستخدم لتنفيذ أحكام الإعدام في المجرمين وقُطَّاع الطرق، ففي حدود سنة 830هـ/1427م قام نائب السلطنة بالقدس الأمير شاهين المشهور بالذباح بذبح جماعة من العرب عند باب النيابة، فجرى الدم إلى مسافة بعيدة لكثرة المذبوحين [6].

---

1 - الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص47.

2 - المصدر نفسه، ج2، ص49.

3 - التجريدة: جمعها تجاريد، وهو مصطلح يطلق على فرقة من الجيش لا رجالة فيها تقوم بمهمة سريعة وتكون بدون أثقال أو حشد أو تزين، ويرد المصطلح أيضاً بمعنى الحملة العسكرية وترسل التجاريد إما على شكل غزوات أو على شكل حملات لتأديب وإخضاع الخارجين عن السلطة من الأمراء والولاة. العمايرة: المعجم العسكري المملوكي، ص73.

4 - الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص345.

5 - المصدر نفسه، ج2، ص357.

6 - المصدر نفسه، ج2، ص274.

وفي سنة 880هـ/1475م وقعت حادثة بالقدس الشريف وهي ان شخصاً نصرانياً وقع في حق سيدنا علي بن أبي طالب t والسيدة فاطمة ابنة رسول الله r بقذف ورفع أمره للقاضي علاء الدين بن المزوار المالكي، وعقد له مجلس بدار النيابة بحضور الأمير جارقطلي نائب السلطنة، وحضر بالمجلس شيخ الاسلام الكمالي ابن أبي شريف، وثبت ما نسب إلى النصراني عند القاضي المالكي، وحكم بسفك دمه وضرب عنقه بحضور الجماعة بديار النيابة[1].

سجن مدينة صفد:

ذكر نجم الدين الغزي في قصة الشيخ نعمة الصفدي المجذوب أن نائب صفد "كان جائراً جباراً، فقبض على جماعة ظلماً، وأودعهم الحبس، فمر عليهم الشيخ نعمة يوماً، فاستغاثوا، به. قيل: كان بيده خيارة، وقيل: عقب خيارة، فرمى بها إلى باب الحبس، وكان عليه قفل كبير، فانكسر وانفتح باب السجن، فخرج المحبوسون، وفروا منهزمين إلى بلدانهم"[2]. ومن هذه القصة ورغم غرابتها نستدل على وجود سجن كان في صفد، مخصص للعامة.

سجن طرابلس:

وقد كان في طرابلس عدد من السجون، ولكن لم يصلنا سوى اسمين منها وهما سجن طرابلس، وسجن الأقصاب، وقد وردا في مرسوم للسلطان محمد بن قلاوون سنة 737هـ/1337م، ويقضي هذا المرسوم بإبطال السجون الموجودة بطرابلس الشام، عدا سجن طرابلس الذي أُبطل بمرسوم سابق، كما أبطل سجن يسمى سجن الأقصاب[3]، ويظهر أنها كانت تستخدم في ظلم الناس ومصادرة أموالهم حتى ذاع صيت الظلم فيها، فقد ورد في المرسوم سبب إبطالها وهو "أن المسجون إذا سجن بها أُخذ بجميع ما عليه بين السجن وبين الطلب، وإذا أُفرج عنه ولو في يومه انقلب إلى أهله في الخسارة بشرٍّ منقلب، فهو لا يجد سروراً بفرجه، ولا يحمد عقبى مخرجه"[4].

---

1 - الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص317.

2 - الغزي: الكواكب السائرة، ج1، ص312.

3 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج13، ص35.

4 - المصدر نفسه، ج13، ص33-34.

ثانياً: سجون القلاع والأبراج

سجون قلاع مصر

1- سجون قلعة صلاح الدين بجبل المقطم:

كانت قلعة الجبل في العصر الأيوبي والمملوكي دار الملك ومركز السلطنة، وهي بناء عظيم مرتفع يحيط بها سور ضخم به عدة أبواب، وبداخل السور، توجد ديار وقصور عديدة وحمامات وأحواش، كما توجد طباق[1] واسعة للمماليك السلطانية[2] هي اثنتا عشر طبقة، كل طبقة منها بقدر حارة تشتمل على عدة مساكن، بحيث تتسع كل طبقة لألف مملوك، وبالقلعة عدا ذلك دور الخواص الأمراء ونسائهم وأولادهم ومماليكهم ودواوينهم، فضلاً عن دار الوزارة التي اشتملت على دار الإنشاء وديوان الجيش وبيت المال وخزانة الخاص، واحتوت القلعة كذلك على الاصطبلات الشريفة التي بها الخيول السلطانية، وساحة الأغنام والطيور والحيوانات الغريبة، من زراف وفيلة وغزلان وأسود، يتخلل كل ذلك البساتين والأشجار والمياه الجارية التي ترفعها السواقي من النيل إلى القلعة برغم ارتفاعها ما يقرب من خمسمائة ذراع[3]، وكانت القلعة وضع عناية السلاطين دائماً، فأضافوا إليها إضافات كثيرة، وشيدوا بها عمائر جديدة من قصور ومساجد وأبراج وأحواش وقاعات وغيرها، مثل القصر الأبلق ومسجد القلعة وقد شيده الناصر محمد، وقاعة البيسرية التي أنشأها الناصر حسن [4].

وقد اعتقل فيها المئات من الأمراء، ونذكر بعض الأمراء الذين قتلوا أو توفوا محبوسين فيها: ففي سنة 635هـ/1237م: توفي فيها الملك الناصر قلج أرسلان بن الملك المنصور محمد بن عمر الأيوبي صاحب حماة، حبسه الملك الكامل[5]. وفي سنة 648هـ/1250م شُنق

---

1 - الطباق: جمع طبقة وهي ثكنات جيوش المماليك بالقلعة، وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص105.

2 - المماليك السلطانية: هم أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً وأوفرهم إقطاعاً، ومنهم تؤمَّر الأمراء رتبة بعد رتبة، وهم المماليك الذين يشتريهم السلطان أو يبقيهم من مماليك السلطان السابق. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص145.

3 - الذراع نوعان: ذراع يستعمل لقياس المسافات من الدور وغيرها، وذراع يستعمل في قياس الأقمشة، أما الأول فقد كان يطلق عليه اسم "ذراع العمل" وطوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل، أما الذراع الثاني فكان يساوي ذراعاً بذراع اليد، وأربعة أصابع مطبوقة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص442.

4 - عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص67-68.

5 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج46، ص252.

فيها ناصر الدين بن يغمور استادار الملك الصالح إسماعيل، وأمين الدولة أبي الحسن غـزال وزيره، بعد أن اعتقلهما الصالح أيوب في دمشق ثم أرسلهما للاعتقال بقلعة القـاهرة مـدة 5 سنوات[1]. وفي سنة 840هـ/1436م: مات مسجوناً فيها الأمير حمزة بك بن علي بك بـن ناصر الدين ابن دلغادر[2]. وفي سنة 916هـ/1510م: توفي مسجوناً فيها القاضي بدر الدين حسن بن زين الدين بن أبي بكر بن مزهر كاتب أسرار القاهرة بعد تعذيب شديد[3].

واحتوت القلعة على عدد من السجون، فقد استخدمت أغلب الأبراج بغرض الاعتقـال، ولم يكن السجن في مكان واحد، فقد قال المقريزي عند ذكره القلعة: "وبها عدّة أبراج يحـبس بها الأمراء والمماليك"[4] ونذكر منها:

البرج الجواني:

فقد ورد في أحداث سنة 693هـ/1294م أن الأمراء التابعين للناصر محمـد قبـضوا على الشجاعي[5] وأخرجوه إلى مكان ليسجن فيه فتوجه به أحد الأمراء إلى البرج الجواني، ثم قتله في الطريق، وأرسل رأسه إلى الناصر محمد، الذي كان خارج أسوار القلعة [6].

برج باب السلسلة:

عُرف مِمَّن سُجن فيه الأمير اسكندر بن النحال سنة 895هـ/1490م [7]، الأمير الكبير ممتاز، سجنه مماليك السلطان قانصوه حينما أراد تولية السلطنة لابن الـسلطان محمـد بـن قانصوه سنة 901هـ/1496م[8].

---

1 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج12، ص65.

2 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج4، ص57 . السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص165..

3 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج10 ، ص106.

4 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص358.

5 - الشجاعي: الأمير سنجر بن عبد الله الشجاعي المنصوري، علم الدين، وزير الديار المـصرية، ومـشد دواوينها، ثم نائب سلطنة دمشق، عصى وانحاز في القلعة إلى أن عجز وطلب الأمان في 24 صفر سنة 693هـ/1294م فلم يعطوه أماناً، فضربه واحد طير يده، ثم ضربه آخر طير رأسه، وعلق رأسه فـي الحال على سور القلعة. وطافت المشاعلية برأسه على بيوت كتاب القبط، فبلغت اللطمة علـى وجهـه بالمداس نصفا، والبولة عليه درهما. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ص474.

6 - المقريزي: السلوك، ج2، ص253.

7 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص559.

8 - المقريزي: السلوك، ج3، ص73.

برج العافية:

وفيه قُتل الملك العادل أبو بكر بن الكامل[1] خنقاً في سنة 645هـ/1247م بأمرٍ من أخيه الملك الصالح أيوب [2].

برج باب القرافة:

وكان مخصصاً لاعتقال من تمت عليه المصادرة وطُولب بأموال للسلطان[3]، اعتُقل فيه كريم الدّين أكْرم الصَّغِير بعد قدومه على خيل البريد من صفد إِلَى قلعه الجبل وذلك سنة 723هـ/1323م، ومكث في السجن 18 يوماً[4].

برج الزاوية:

وهو مجاور لباب القلعة، قام بإنشائه السلطان الظاهر بيبرس سنة 658هـ/1260م[5]. وفيه قام السلطان المؤيد شيخ باعتقال الخليفة المستعين بالله [6] سنة 819هـ/1417م [7].

برج السباع:

اعتُقل فيه الأمراء: طوغان نائب البيرة وَعلم الدّين سنجر البرواني وبيبرس المجنون وفخر الدّين أياز نائب قلعة الروم والحاج بيليك وَسيف الدين طاجا والشيخ على مملوك سلار،

1 - الملك العادل محمد الثاني سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل بن الملك العادل الأيوبي سادس ملوك الدولة الايوبية في مصر، ولد سنة 617هـ/1220م وبويع سنة 635هـ/1238م، وخلع سنة 637هـ/1239م وتوفي في السجن بمصر سنة 645هـ/1247م. الشهابي: معجم ألقاب ، ص140.

2 - المقريزي: السلوك، ج1، ص429.

3 - المصدر نفسه، ج3، ص62.

4 - المصدر نفسه، ج3، ص90.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص190.

6 - المستعين بالله: أبو الفضل العباس بن المتوكل على الله، تولَّى الخلافة سنة 808هـ/1405م في عهد السلطان فرج، وفي سنة 815هـ/1413م قُتل السلطان فرج واستولى على السلطنة الأميران شيخ ونوروز، وقررا مبايعته للسلطنة والخلافة معاً، وبعد 6 شهور خلعه شيخ وسجنه بالقلعة، ثم بالإسكندرية وبقي سجيناً 10 سنين فأخرجه الأشرف برسباي سنة 825هـ/1423م وبقي في الإسكندرية حتى توفي سنة 833هـ/1430م. سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص33-35.

7 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص102.

وتم التشديد عليهم ومنع حريمهم من الإقامة عندهم، وذلك سنة 718هـ/1318م [1]. واعتقل فيه الأمير دمرداش سنة 728هـ/1327م[2].

اعتُقل فيه الخليفة المستكفي بالله العباسي في زمن السلطان الناصر محمد سنة 736هـ/1336م ، ورسم على الباب جاندار[3] بالنّوبة، واعتقل ابن عمّه إبراهيم في برج بجواره، ورسم عليه جاندار آخر ومنعا عن الاجتماع بالناس [4].

برج الحية:

اعتُقل فيه الخليفة العباسي المتوكل على الله في زمن الملك الظاهر برقوق، سنة 785هـ/1383م، ومكث فيه نحو 6 سنين، ثم أخرج سنة 791هـ/1389م [5].

خزانة الخاص:

في سنة 791هـ/1389م قام منطاش بإخلاء خزانة الخاص بالقلعة، وسُدَّت شبابيكها وبابها وفتح من سقفها طاقة وعملت سجناً مثل الجب وسجن فيها المماليك الظاهرية أتباع الظاهر برقوق [6] وكانوا حوالي 500 معتقل[7].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج3، ص5.

2 - المصدر نفسه، ج3، ص109.

3 - جاندار: جندي، وكان من مهام الجاندارية تسلم الأمراء المقبوض عليهم وإيداعهم في السجن. العمايرة: المعجم العسكري المملوكي، ص85.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص115.

5 - المتوكل على الله: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعتضد بالله، بويع بالخلافة عام 763هـ/1362م في عهد الملك المنصور محمد بن المظفر ابن الناصر بن قلاوون، ومكث خليفة مدة 45 سنة غير أنه خلع مرتين ثم أعيد إلى الخلافة. سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص29-32.

6 - المقريزي: السلوك، ج5، ص264. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص265.

7 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص278.

سجن العرقانة بالقلعة:

ويقع داخل الحوش السلطاني في القلعة [1]، وبــدأ العمــل بهــذا الــسجن قبــل عــام 895هـ/1490م في زمن السلطان قايتباي، وأنــشأه الطواشــي[2] ســرور شــاد الحــوش السلطاني[3]، وكان يحبس فيه أصحاب الجرائم [4]، وقد وصفه جاستون فييت نقلاً عن الرَّحالة الأوروبيين الذين زاروا القلعة بأن هناك سجناً لا يقل سوءاً عن سجن الجب الذي كان بالقلعة وهو سجن العرقانة أي بركة الوحل، وكان يستخدم للمسجونين السياسيين أو التجــار الــذين خالفوا القانون، بعض هؤلاء المسجونين وضعوا في الحديد، وتركوا هنــاك ســنين طويلــة، وبطبيعة الحال كان الهروب ممكناً، ولكن تحت خطر كبير" [5].

ونذكر بعض من سجن فيه:

سنة 895هـ/1490م اعتقل فيها شخص يدعى عبد القادر بن النقيب[6]، وفــي ســنة 908هـ/1503م قبض السلطان على محمد بن يوسف ناظر الأوقاف وسجنه بالعرقانة بسبب مال قد انكسر عليه ولم يقم به [7]. وفي سنة 909هـ/1503م رُسم بحبس أحد المماليك يسمى عنبر، وفي سنة 915هـ/1509م قبض السلطان على الشهابي أحمد بن الجيعان ووكــل بــه وقرر عليه خمسة آلاف دينار، وفيه أفرج السلطان عن شرف الدين يونس النابلسي الأستادار، وقرر عليه عشرة آلاف دينار، وقد قاسى شدائد ومحناً، وأقام في السجن بالعرقانة نحواً مــن عشرة أشهر وهو في زنجير[8] وقيد مخشب اليدين [9].

---

1 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص831.

2 - الطواشية: هم المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمــه. (دهمــان: معجــم الألفــاظ التاريخية، ص109).

3 - شاد: هو مفتش وتضاف الكلمة لاسم الوظيفة مثل شاد الزكاة، وشاد الأوقــاف أي نــاظر الأوقــاف أو مديرها. (دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص95). وشاد الحوش السلطاني: المشرف أو المسئول عــن الحوش السلطاني، وتنظيف المجارى والمسالك، والعناية بأمر النظافة. وافي: ألفاظ الحضارة، ص456.

4 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص583.

5 - فييت، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ص236.

6 - السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص1117.

7 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص709.

8 - الزنجير: السلسلة. عاشور: العصر المماليكي، ص446.

9 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص780.

الزردخانة:

وهي في الأصل الزرَّاد خانه وتعنى مصنع ومخزن السلاح، واستخدمت بعد ذلك سجناً[1]، وهي أرفع قدراً في الاعتقالات من السجن المطلق، ولا تطول مدة المُعتقل بها، فإما يخلى سبيله أو يُقتل[2].

واعتقل فيها القاضي سعد الدين بن غراب وأخاه فخر الدين سنة 805هـ/1403م [3].

2- سجون أبراج الإسكندرية:

ثغر الإسكندرية كان مليئاً بالأبراج القوية التي بنيت لصد هجمات الصليبيين من البحر، وكانت تستخدم في أوقات السلم سجوناً للأمراء المغضوب عليهم، فكانت بمثابة سجناً ومنفى للأمراء الذين يخشى السلطان على ملكه منهم، كما كانت تجرى فيها عمليات الإعدام بأمر السلطان. ويظهر ملحق رقم (1) بعض أسماء المُعتقلين الذين تم إعدامهم أو ماتوا في سجن الإسكندرية.

وقد كانت أبراج الإسكندرية تتنوع بين أبراج مظلمة يتعرض فيها المُعتقل لضيق شديد، وبين أبراج متسعة فسيحة، والدليل على ذلك أنه اعتقل أحد التجار ويدعى بدر الدين حسن الإسكندراني في سنة 843هـ/1439م "في هيئة شنيعة فحبس بالبرج وحوسب إلى أن استقر عليه شيء يسير وأطلق"، كما تذكر لنا كتب التاريخ أنه تقرر على أحد التجار مبلغ من المال للسلطان، "وأمر بحبسه في البرج، فحبس في برج مظلم وضيق عليه، فأقام إلى أن قلب الله قلبه، وأمر بإخراجه منه، وتسلمه نائب القلعة، فأنزله في غرفة علية، وهي أعلى بناء في القلعة، فأقام بها أكثر من شهر إلى أن أُفرج عنه" [4].

ومن المرجح أن عمليات الاعتقال في الإسكندرية كانت تتم في الأبراج التالية:

---

1 - هوامش مسالك الأبصار، ج3، ص445.

2 - العمري: مسالك الأبصار، ج3، ص445.

3 - ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص164.

4 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج4، ص133.

برج شرقي:

ذكر ابن حجر أن تقي الدين أحمد بن تيمية عندما اعتقله المماليك بالإسكندرية في صفر سنة 709هـ/1310م، "نزل في برج شرقي، وكان موضعه فسيحاً، فأصبح الناس يدخلون إليه ويقرؤون عليه، ويبحثون معه دون أن يمنعهم أحد" [1].

وأورد ابن كثير أن ابن تيمية أقام بالإسكندرية في "برج واسع فسيح متسع الأكناف نظيف له شباكان أحدهما يطل ناحية البحر، والآخر جهة المدينة" [2].

ومن المحتمل أن يكون هذا البرج المذكور قريباً من باب شرقي، ولعله أحد البرجين الكبيرين المتبقيان حالياً في الشلالات في المنطقة الواقعة شمالي موضع باب رشيد أو باب شرقي، وهما برجان يشرف المرء منهما على البحر من جهة وعلى المدينة من جهة ثانية [3].

برج ضرغام:

هذا البرج من بناء الأمير أبي الأشبال ضرغام بن سوار اللخمي، أنشأه بالقرب من باب البحر في سنة 577هـ/1181م [4]. وذكر النويري أنه كان يتقدم سور الإسكندرية الشمالي ابتداءً من ساحل بحر السلسلة والباب الأخضر غرباً إلى قلعة ضرغام شرقاً خندق قديم، ومعنى ذلك أن برج ضرغام كان يقع في السور الممتد ما بين باب البحر والباب الأخضر[5].

وقد تعرض برج ضرغام لاعتداء القبارصة في غزوتهم التي حدثت في سنة 767هـ/1365م فأحرقوه ولكن الأمير ابن عرام أصلحه في حدود سنة 774هـ/1373م[6].

---

1 - الدرر الكامنة، ج1، ص173.

2 - البداية والنهاية، ج14، ص56.

3 - سالم: تاريخ الإسكندرية، ص454.

4 - المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص256.

5 - سالم: تاريخ الإسكندرية، ص455.

6 - المرجع نفسه، ص455.

برج باب الزهري:

وهو برج ضخم نصف دائري ما زال قائماً بجوار باب الزهري أول أبــواب الــسور القبلي من جهة الشرق، تتخلل جدرانه منافذ للسهام، وتعلوه من الداخل قبوات متداخلة[1].

برج السلسلة:

هي المنار التي ذكر ابن بطوطة أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون شرع في بنائه بإزاء منار الإسكندرية القديم المتخرب، فعاقه الموت عن تمامه، ثــم أكملــه الأشــرف شعبان[2] على شكل برج اسطواني الشكل قام ببنائه صلاح الدين بن عرام، على الأساس الذي أسسه السلطان الناصر محمد، وكان يرى من بعيد كأنه مسجد، وقد تعرض البرج المذكور في العصر العثماني لأضرار جسيمة ثم تهدم في الثلث الأول من القرن العشرين [3].

برج يشبك الدوادار:

اكتشف أطلاله سنة 1958م، وكان يستخدم سجناً للأمراء والسلاطين المعزولين [4]، فيه اعتقل الظاهر قانصوه سنة 905هـ/1500م بعد خلعه من السلطنة، وكان مصيره مجهــولاً حتى عام 906هـ/1501م حيث اكتشف الناس أنه ما زال حياً، ويذكر ابن طولون: "بلغني أن الظاهر قانصوه خال الناصر حي باق وهو مقيم ببرج يشبك الدوادار بالإسكندرية" [5].

3- سجن قلعة السلسلة بدمياط:

كان سجن دمياط معمولاً به منذ عهد الدولة الفاطمية، فقد اعتقل فيه ابن أبي كدينة سنة 466هـ/1075م، ثم أمر الوزير بدر الجمالي بقتله في السجن [6].

وكانت دمياط مخصصة لنفي وسجن الأمراء، فقد اعتقل فيها مجموعة من الأمراء سنة 742هـ/1341م منهم آقسنقر الناصري وبَرَسبُغا الحاجب وتلجك ابن أخت قوصون، ومماليك

---

1 - سالم: تاريخ الإسكندرية، ص459.

2 - الملك الأشرف شعبان الثاني بن حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، تولّى سنة 764هـ/1363م وخنق سنة 778هـ/1377م. الشهابي: معجم ألقاب أرباب السلطان، ص119.

3 - سالم: تاريخ الإسكندرية، ص456.

4 - هوامش: كتاب أخبار أهل القرن الثاني عشر لإسماعيل بن سعد الخشاب، ص73.

5 - ابن طولون: إعلام الورى، ص156.

6 - العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص137.

قوصون وكانوا مقيدين مزنجرين[1]. واعتقل فيها الأمير تغري بردي المحمودي حتـــى ســـنة 838هــ/1435م [2]، وفي سنة 840هــ/1436م كان معتقلاً فيه الأمير جرباش قاشـــق [3]، وتوفي فيها الأمير سودون بن عبد الرحمن في نفس العام [4]، وتوفي فيها -أيضاً- أمير مكة علي بن حسن بن عجلان سنة 853هــ/1449م [5].

وكان سجنها أخف وطأة وأفضل حالاً من سجن الإسكندرية، فكان السلطان إذا أراد أن يخفف من سجن أحد الأمراء المسجونين في الإســكندرية ينقلــه إلـــى دميــاط، ففـــي ســـنة 828هــ/1425م شفع في طرباي بأن يطلق من سجن الإسكندرية إلى دمياط فأجيب إلى ذلك [6]. وفي حالة خوف السلطان من هروب الأمراء المسجونين أو المنفيين من دمياط، وإعلانهم العصيان والتمرد كان يأمر بالتضييق عليهم ونقلهم إلـــى ســـجن الإســكندرية، ففـــي ســـنة 802هــ/1400م وأثناء تجهز السلطان لحرب تنم القادم من دمشق أمـــر الـــسلطان الأميـــر سودون المأموري الحاجب[7] بالتوجه إلى دمياط لينقل منها الأمير يلبغا الأحمـــدي المجنـــون الأستادار، والأمير تمربغا المنجكي، وطغنجي، وبـــلاط الـــسعدي، وقراكـــسك إلـــى ســـجن الإسكندرية، ولكنهم تمكنوا من الهرب في الطريق [8].

وقد اتخذت دمياط منفى للأمراء ففي سنة 815هــ/1412م، أُفرج عن كمشبغا الفيـــسي من سجن الإسكندرية، ونُفِي إلى دمياط [9]، وفي سنة 825هــ/1422م أُفرج عـــن الخليفـــة العباسي المستعين بالله الذي ولي السلطنة وكان المؤيد سجنه بالإسكندرية فنقله إلـــى دميـــاط لكونها أبسط له، فلم يوافق واستأذن أن يقيم بالإسكندرية بغير سجن، فأجيب إلـــى ذلـــك [10]، وفي سنة 828هــ/1425م أُفرج عن الأمير بيبغا المظفري ونقل من سجن الإسكندرية إلـــى

---

1 - ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج2، ص223.

2 - المقريزي: السلوك: ج7، ص209.

3 - المصدر نفسه، ج4،ص344.

4 - المصدر نفسه، ج4،ص369.

5 - العصامي: سمط النجوم، ج4، ص283.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص342.

7 - الحاجب: وظيفته أن ينصف بين الأمراء والجند، تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان، وإليه تقـــديم من يعرض ومن يرد، وعرض الجند وما ناسب ذلك. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص19.

8 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج12، ص199.

9 - المصدر نفسه، ج13، ص203.

10 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص273.

دمياط وجهز إليه فرس ليركبه هناك [1]، وفي سنة 842هـ/1438م رسم السلطان الظـاهر جقمق بالإفراج عن الأمير خشقدم الطواشي اليشبكي، ونائبه فيـروز الركنـي مـن سـجن الإسكندرية، ورسم لهم بالتوجه إلى دمياط مقابل خمسة عشر ألـف دينـار [2]، وفـي سـنة 780هـ/1378م أطلق طشتمر من سجن الإسكندرية ونقل إلى دمياط فأقام بهـا بطـالاً [3]، ونُفِي إليها يلبغا الأستادار سنة 800هـ/1398م [4]، وإينال باي بن قجماس [5].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج7، ص121.

2 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، 278.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص175.

4 - المصدر نفسه، ج2، ص19.

5 - المصدر نفسه، ج2، ص317.

قلعة دمشق:

تقع عند الزاوية الشمالية الغربية لسور دمشق، بدأ بناؤها بعد سنة واحدة من دخول الأمير أتسز بن أوق الخوارزمي التركماني إلى دمشق في العهد السلجوقي سنة 469هـ/1075م، بعد أن انتزعها من أيدي الفاطميين، وأكمل البناء في عهد الأمير تتش السلجوقي سنة 471هـ/1078م، وحين قدوم صلاح الدين الأيوبي إلى دمشق قام بتحصين القلعة من جديد، وجعلها مقراً لإقامته[1]، واتخذت القلعة شكلها الحالي حين أعاد الملك العادل الأيوبي بناءها سنة 599هـ/1202م [2]، وتتخذ القلعة شكلاً مستطيلاً تبلغ أبعاده 220 × 150متراً [3]، واستمر البناء فيها حتى وفاته سنة 615هـ/1218م. وتتألف من اثني عشر برجاً، والقلعة لم تبن على هضبة أو مرتفع تشرف منه على المدينة مثل معظم القلاع، بل بنيت على سوية المدينة نفسها [4].

وكان للقلعة في زمن ابن شداد المتوفى سنة 684هـ/1285م أربعة أبواب رئيسية هي: باب الحديد، وهو الباب الشمالي، وباب من جهة المدينة وهو الباب الشرقي الذي يفتح في العصرونية[5]، وباب يخرج منه إلى باب النصر وإلى دار السعادة، وهو الباب الجنوبي، وباب يخرج منه إلى حكر السماق أي شارع النصر اليوم، وهو الباب الغربي، ومنه يركب السلطان، كما كان لها ثلاثة أبواب سر في الخنادق [6].

---

1 - عبد الرحمن: العمارة الإسلامية في دمشق، ص61.

2 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج42، ص48.

3 - العشي: آثارنا، ص49.

4 - عبد الرحمن: العمارة الإسلامية في دمشق، ص61.

5 - المدرسة العصرونية: دَاخل بَابي الْفرج والنصر شَرْقي قلعة دمشق وَغَرْبِيٌّ الْجَامِع الأموي بمحلة حجر الذَّهَب عِنْد سويقة بَاب الْبَرِيد. بدران: منادمة الأطلال، ص131.

6 - الشهابي: معجم دمشق التاريخي، ج2، ص125.

وقد استخدمت سجناً للأسرى الذين أسرهم السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 585هـ/1189م في معركة على الجسر المؤدي إلى صيدا بعد معركة دامية استشهد فيها عدد من المسلمين ووقع سبعة أسرى من الصليبيين في أيدي المسلمين[1].

وتوفي فيها سنة 607هـ/1210م شخص يدعى ابن الدخينة بعد أن عُصر وعُذِّب هو وزوجته وأبنائه لإجباره على الاعتراف عن مكان أموال استولى عليها[2].

وفي سنة 637هـ/1239م وبعد أن استولى الصالح إسماعيل صاحب بعلبك على دمشق اعتقل فيها المغيث عمر بن الصالح نجم الدين أيوب وبقي محبوساً حتى مات في السجن، وكذلك اعتقل الأمراء عز الدين أيبك الكردي وعز الدين قضيب بلبان، وسيف الدين سنقر الدنيسري، وعز الدين بلبان المجاهدي، وبعد مدة قتلهم في الليل ودفنهم في مقابر الصوفية، وكذلك اعتقل فيها نور الدين بن فخر الدين عثمان ومات في الحبس سنة 645هـ/1247م [3].

وفي العصر المملوكي استخدمت سجناً لأمراء المماليك وكذلك للناس العامة، ونذكر على سبيل المثال الأمراء أسماء بعض المُعتقلين الذين توفوا فيها أثناء الاعتقال:

في سنة 711هـ/1312م توفي فيها الأمير نوغاي بن عبد الله المنصوري القبجاقي[4]، وفي سنة 728هـ/1327م توفي فيها الشيخ أحمد بن تيمية [5]، في سنة 783هـ/1381م توفي الأمير سيف الدين بيدمر[6]، وفي سنة 791هـ/1389م توفي فيها الأمير بزلار العمري[7].

كما كان فيها سجن للنساء، فقد سجنت فيها العالمة الفاضلة أمة اللطيف بنت الناصح عبد الرحمن الحنبلي، وكانت صالحة عفيفة، صاحبة أملاك وأموال، وحبست بقلعة دمشق نحو ثلاث سنوات ثم أطلق سراحها[8].

---

1 - أبو شامة: عيون الروضتين، ج4، ص76.

2 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج32، ص43.

3 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص28-29.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص217.

5 - اليونيني: مرآة الجنان، ج4، ص209.

6 - ابن طولون: إعلام الورى، ص53.

7 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص385.

8 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج48، ص145.

وقد استخدم بعض أبراج القلعة ومبانيها سجناً مثل:

برج الخيالة: وسجن فيه الأمير حسام الدين الهذباني في عهد حكم الصالح إسماعيل لدمشق [1]. وفي سنة 806هـ نُقب هذا البرج، وهرب منه السجناء وقُطَّاع الطُّرق إلا واحداً منهم كان ضخم الجسم ولم يستطع الخروج، فقُتل، وتتبع الحاكم آثارهم حتى قبض عليهم في عكا، فوسطوا إلا واحداً منهم استطاع الهرب، كما وُسِّط معهم السَّجَّان [2].

وفي حدود سنة 815هـ/1412م اعتقل فيه القاضي ابن البارزي، اعتقله الملك الناصر فرج وبقي في السجن إلى أن زار السلطان دمشق فأطلقه [3]. وقد قال قصيدة وهو في السجن منها:

مُذ ببرج الخيالة اعتقلوني	صحت والنفس بالجوى سياله
يا لقومي ويا لأنصاري الغر	ويا للرجال للخيالة

وفي عام 824هـ/1421م سجن فيه الأمير سيف الدين جقمق مقيداً ثم قتل [4].

وفي سنة 844هـ/1440م اعتقل فيه الأمير علي إينال، ثم ورد مرسوم السلطان جقمق بقتله فقُتل[5].

سجن الحيات: اعتقل فيه الفلك بن المسيري في زمن الملك الأشرف ثم أطلقه الملك الكامل سنة 626هـ/1229م [6].

قلعة الكرك:

تقع قلعة الكرك عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت، على بعد 121 كيلو متراً جنوبي مدينة عَمَّان [7]، وتعلو القلعة قمة جبل ارتفاعه 960 متراً عن سطح البحر، وتحيط الأودية السحيقة بالقلعة من ثلاث جهات، مما يجعل الوصول إليها صعباً. تأخذ القلعة

---

1 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج1، ص186.

2 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص268.

3 - السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج9، ص137.

4 - النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص376.

5 - ابن طولون: إعلام الورى، ص71.

6 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص173. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص215.

7 - غوانمة: التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، ص259.

شكلاً هندسياً أشبه بالمنحرف، يبلغ طولها من الشرق 220 متراً، ومن الغـــرب 240 متـــراً، ومن الجنوب 90 متراً، أما من الشمال 125 متراً، وهي ذات طابع معماري صليبي[1].

ويحيط بالقلعة خندق عميق نحو 60 ذراعاً، ويدخل إلى فضاء الحصن من حنية طويلة منحوتة في الجبل، كان عليها باب وحراسة [2].

وكان بقلعة الكرك سجن من أشهر السجون في العهد الأيوبي والمملوكي، فقد اعتقل فيها الأمير عز الدين أسامة نائب كوكب وعجلون، بعد أن قبض عليه الملك المعظم بـــن الملـــك العادل صاحب دمشق سنة 608هـــ/1211م واستولى على أملاكه [3]، واعتقل فيهـــا الملـــك الصالح نجم الدين أيوب لمدة سبعة شهور في سنة 637هـــ/1239م، وكانت قلعة الكرك فـــي ذلك الحين بيد الناصر داود ابن عم الصالح أيوب، وكان المتوكل عليه الأمير شـــهاب الـــدين عيسى بن شيخ الإسلام، وكانت والدة الناصر داوود تدخل عليه وتحمل إليه ما يحتاجه[4].

وقد عرف من الأماكن التي استخدمت لسجن الأمراء قاعة النحاس وتقع هذه القاعة في الجهة الغربية من القلعة، ولها شبابيك تطل على القدس والخليل، وهي من بناء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون [5]، وكان قد سجن فيها الملك برقوق سنة 791هـــ/1389م [6].

وقد اعتقل في قلعة الكرك العديد من الأمراء المماليك، ونذكر على سبيل المثال الأمراء الذين قتلوا أو توفوا فيها: ففي سنة 711هـــ/1312م قتل الأميران استدمر وبنخاص[7]، وفـــي سنة 743هـــ/1343م قُتل الأميران طشتمر حمص أخضر وقطلوبغا الفخري بعدما حـــاولوا الفرار من سجن الكرك فألقي القبض عليهما وقُتلا[8]، وفي سنة 843هـــ/1439م توفي الأمير أقبغا التركماني[9].

---

1 - النوايسة: تنمية السياحة في محافظة الكرك، ص24.

2 - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص73.

3 - ابن الفرات، تاريخ، ص117.

4 - ابن العميد: تاريخ الأيوبيين، ص29.

5 - غوانمة: التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، ص271.

6 - المقريزي: السلوك، ج5، ص239.

7 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص73.

8 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص70.

9 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج4، ص147.

قلعة الشوبك:

وفيها اعتُقل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل، حيث قام باعتقالـــه الملـــك المعظم توران شاه الأيوبي لما وصل إلى مصر، وبقي معتقلاً فيها حتى أطلقه الطواشي بـــدر الدين الصوابي الصالحي نائب الكرك والشوبك سنة 648هـ/1250م[1].

قلعة حلب:

تقع القلعة وسط مدينة حلب القديمة، وتشرف عليها، فهي تقع على هـــضبة ترتفـــع 40 متراً تصل أبعادها من الأعلى إلى 375 × 275 متراً، ومن الأسفل حيث الخندق إلى 550 × 350 متراً [2].

وقد زار أحد الرَّحالة الأجانب القلعة بعد نهاية العهد المملوكي ووصف لنا سجون القلعة التي يبدو أنها باقية منذ العهد المملوكي فقال: "البوابة الثالثة يوجد فوقهـــا حجـــرات نظيفـــة لاحتجاز سجناء من طبقة معينة، ثم تسير إلى الأمام في ارتفاع حاد نسبياً، وتنحني عبر ممر عريض ومرتفع مسقوف يبدو من الخارج كأنه حصن صغير قوي، ومن الـــداخل النـــور لا يصلها إلا من بعض الفتحات الضيقة في الجدار، فيمكننا تصور الظلام الرهيب الـــذي يخـــيم عليها بالنسبة للسجين عند اقتياده إلى طريق ضيق مرصوف بشكل سيء، وهو مرتفع ووعر حتى أعلى التلة، وبعد اجتياز البوابة الرابعة وأثناء الصعود إلى الأعلى تظهر بعض المحلات على الجهة اليسرى توجد أمامها حجرات صغيرة ذات قضبان حديدية وإلـــى الأعلـــى ومـــن الناحية اليسرى يوجد عدد قليل من البيوت القديمة الكبيرة، التـــي تـــستخدم بعـــض الأحيـــان للأشخاص الذين يتم احتجازهم" [3].

وقد احتوت القلعة على عدد من الأماكن استخدمت سجوناً ومنها قاعة حبس الدم، وتقع هذه القاعة إلى يمين الصاعد في الشارع الرئيس بالقلعة أمام حمام نور الدين، يدخل المرء في ممر ثم ينزل درجاً يصل إلى قاعة كبيرة تقوم على ركائز كبيرة، ويلاحظ أن جدرانها مبنيـــة بالقرميد الأحمر، ويعتقد أن هذه القاعة استخدمت في أثناء الحكم البيزنطي مستودعات للغلال، ثم خزاناً للمياه، وإذا تجول المرء في القاعة أمكنه أن يصعد درجاً يقع إلى يساره في الزاوية الشمالية الشرقية ليرى حفرة عميقة حفرت في الصخر لتأخذ شكل البئر، وقد استعملت هـــذه

---

1 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج1، ص166.

2 - قراجة: المعالم الأثرية في حلب، ص45.

3 - راسل: تاريخ حلب الطبيعي، ص42.

الحفرة في وقت من الأوقات كسجن، وبعد أن تقطع خطوات تجد قبواً آخر تنزل منه بـــدرج على نحو 10 أمتار إلى قبو شديد الظلمة ليس سوى كوة واحدة يبلغ نحو 20 ذراعاً وعرضه 15 ذراعاً وفيه ثلاث سوار نصفها مبني من الحجر وأعلاه مبني من القرميد [1].

ويعتقد أنها استخدمت معتقلاً لأسرى الفرنجة، ومنهم أرناط "رينودي شاتيون" الذي اعتقل فيها 15 سنة [2]، وسمند صاحب طرابلس منذ أسـره نـور الـدين محمـود فـي حـارم سـنة 559هـ/1164م، وأطلقه كمشتكين أثناء استيلائه على حلب في فترة نزاعه مع صلاح الدين الأيوبي[3].

وسجن فيها الأمير عز الدين جرديك الذي أرسله صلاح الدين إلى صاحبها كمـشتكين للتفاوض بشأن تسليمها لصلاح الدين سنة 570هـ/1174م[4].

واعتقل فيها الفيلسوف السهروردي يحيى بن حبش بن أميـرك[5]، لاتهامـه بـالكفر والزندقة، بأمر من السلطان صلاح الدين لولده الملك الظـاهر، ثـم قُتـل سـنة 586هـ/1190م[6].

قلعة بعلبك:

بعلبك مدينة بالشام بينها وبين دمشق مرحلتان، وهي حصينة في سفح جبـل وعليهـا سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبراً، والماء يشق في وسـطها ويـدخل كثيـراً مـن ديارها[7]، وقد استخدمت قلعتها لسجن بعض الأمراء في العهد الأيوبي والمملوكي، فقد اعتقل فيها اعتقل فيها وكيل بيت المال بالشام إسماعيل بن حامد[8] قبل عام 653هـ/1255م بعد أن

---

1 - قراجة: المعالم الأثرية في حلب، ص45.

2 - ابن العديم: زبدة الحلب، ص375.

3 - ابن خلدون: تاريخ، ج5، ص290.

4 - ابن شداد: النوادر السلطانية، 390.

5 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص290.

6 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج41، ص284.

7 - الحميري: الروض المعطار، ج1، ص109.

8 - إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن بن المرجى بن المؤمـل، الفقيـه القوصـي الـشافعي ولـد سـنة 574هـ/1178م وتوفي سنة 653هـ/1255م قدم القاهرة والشام وسمع من جماعة وخرج لنفسه معجماً هائلاً في 4 مجلدات ضخمة وفيه غلط كثير وعجائب، صنفه وهو في سجن بعلبك في القلعة لأن الصالح إسماعيل غضب عليه وسجنه وصنف بغية الراجي ومنية الآمل في محاسن دولة السلطان الملك الكامـل

غضب عليه الملك الصالح إسماعيل[1]. واعتقل فيها -أيضاً- الأمير حسام الدين الهذباني في حدود سنة 641هـ/1243م[2]، وفي سنة 688هـ/1289م توفي فيها عبد الله البعلبكي المعروف بأخي مهدي، كان في أول أمره مستقيم الحال، ثم خلط في أقواله وأفعاله، وقطع إصبع يده، زعم أنه أمرها فعصته، فقطعها، وكان لجماعة من أهل الضياع فيه عقيدة عظيمة، وقضى أكثر عمره محبوسا في برج قلعة بعلبك، وحبس معه شخص يعرف بقاسم كان يخدمه ويحترمه[3].

قلعة المَرْقَب:

قلعة حصينة تشرف على ساحل البحر المتوسط، وعلى مدينة بانياس، عمرها المسلمون سنة 454هـ/1060م بساحل جبلة، فكانت غاية في التحصين [4] لا يصل إليها سهم ولا حجر منجنيق [5]، ذكرها ابن بطوطة قائلاً: "من الحصون العظيمة يماثل حصن الكرك وبناؤه على جبل شامخ وخارجه ربض ينزله الغرباء ولا يدخلون قلعته وافتتحه من يد الروم الملك المنصور قلاوون" [6]، وقال ابن خلدون: "ولا يرام لعلوه وارتفاعه وامتناعه والطريق في الجبل إلى جبلة عليه فهو عن يمين الطريق والبحر عن يساره في مسلك ضيق إنما يمر به الواحد فالواحد" [7].

وقد اعتقل فيها عدد من المماليك، فقد اعتقل فيها قزدمر وابن أخيه يلك، ثم أُفرج عنهم سنة 780هـ/1378م [8]، واعتقل جنتمر سنة 780هـ/1378م[9]، وعلى الطواشي بهادر الشهابي سنة 791هـ/1389م [10]، وجكم سنة 804هـ/1401م [1]، وسودون الجلب

وله أيضا الدر الثمين في شرح كلمة آمين صنفه للكامل وله قلائد العقائل في ذكر ما ورد في الزلازل وكان فاضلاً أديباً مدرساً إخبارياً حفظة للأشعار فصيحاً مفوهاً. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص65.

1 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص65.

2 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ص186.

3 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج51، ص329.

4 - ياقوت : معجم البلدان، ج5، ص108.

5 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص358.

6 - ابن بطوطة: رحلة، ج1، ص61.

7 - ابن خلدون: تاريخ، ج5، 312.

8 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص176.

9 - المقريزي: السلوك، ج5، ص46.

10 - المصدر نفسه: ج5، ص236.

وشاهين الأباشي وجانبك القري سنة 812هـ/1410م، وأُفرج عنهم في العام التالي [2]، وبرسباي ثم أُفرج عنه سنة 821هـ/1418م [3]، وأُفرج عن برسباي الدقماقي سنة 823هـ/1420م [4]، وجانبك قلق سيز وتتم الساقي[5]، وجكم خال العزيز، ويشبك الفقيه، وأزبك البواب سنة 843هـ/1439م [6]، وشادبك من سنة 852هـ/1448م حتى 853هـ/1449م[7]، وجانبك المحمودي وأُفرج عنه سنة 856هـ/1452م [8]، وأزبك الدوادار[9]، وإينه برسبغا الدوادار[10]، وتغري بردي المحمودي [11].

كما قُتل وتوفي عدد من المماليك أثناء اعتقالهم فيها، فقد اعتقل فيها سيف الدين شيخ بن عبد الله الصفوي سنة 800هـ/1398م، وتوفي في العام التالي [12]، وكذلك اعتقل فيها سودون طاز سنة 805هـ/1403م، وتوفي بعد عام [13]، وطوغان أمير أخور[14] الذي مات مقتولاً فيها [15]، وتوفي محبوساً فيها سيف الدين تمراز بن عبد الله الإينالي سنة 871هـ/1467م [16]، وتوفي فيها -أيضاً- برسبغا[17].

---

1 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص203.

2 - المصدر نفسه، ج2، ص428.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص171.

4 - المصدر نفسه، ج3، ص213.

5 - الساقي: الأمير الذي يتولى سقي السلطان على الموائد، والإشراف على السماط، وتقطيع اللحم، وسقي المشروب بعد رفع السماط. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص454.

6 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، 332.

7 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج6، ص196.

8 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، 447.

9 - الدوادار: الذي يحمل دواة السلطان، ويتولّى أمرها والأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال، والدوادارية: وظيفة موضوعها نقل الرسائل والأمور عن السلطان وعرض البريد وأخذ الخط السلطاني على المناشير. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص77.

10 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج3، ص339.

11 - المصدر نفسه، ج4، ص51.

12 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص19. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج13، ص8.

13 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص232.

14 - أمير آخور: إليه أمر الخيل والاصطبل. السبكي: معيد النعم، ص37.

15 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص355.

16 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، 453.

17 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص399.

قلعة الصبيبة:

من أعمال دمشق [1]، وتسمى -أيضاً- قلعة "النمرود"، وهي قائمة علـــى ذروة جبـــل مشرف على قرية بانياس الجنوبية، وعلى جميع الوديان وبدء غور الأردن، وتعتبر الأجـــزاء السفلية من القلعة من عمل الصليبيين، وأما أقسام القلعة وأبراجها فهي عربية صرفة، وكـــان في موضعها قلعة للإسماعيليين، استولى عليها الصليبيون سنة 525هـ/1130م، ثم اســـتطاع الأتابك[2] عماد الدين زنكي أن يستخلصها من أيديهم سنة 527هـ/1132م، وأقام فيها نائبـــاً عنه، ثم استعاد الصليبيون القلعة مرة أخرى وأقاموا فيها بعض المنشآت [3]، وأخيراً استطاع نور الدين محمود بن زنكي أن يحرره سنة 559هـ/1164م [4].

وقد اعتقل فيها عدد من أمراء المماليك، منهم أقبغا اللكاش سنة 801هـ/1399م [5]، وألجبغا وخضر سنة 802هـ/1400م وأُفرج عنهم في العام نفسه [6]، ونـــوروز الحـــافظي وقانباي وقد هرب قانباي من سجنه سنة 806هـ [7]، وأسن بيه أتابك دمشق، وجقمق حاجب الحجاب بدمشق سنة 805هـ/1402م [8]، وسودون الظريف سنة 808هـ/1405م وأُفـــرج عنه في العام نفسه [9]، وتمراز الأعور وخشكلدي [10]، ونكباي الحاجب سنة 814هـ/1412م [11]، وجانم أمير أخور وبيبرس خال العزيز ويشبك بشقشي سنة 843هـ/1439م [12]، وخير بك سنة 856هـ/1452م [13].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج6، ص88.

2 - الأتابك: مقدم العسكر والقائد العام للجيش. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص18.

3 - العشي: آثارنا، ص58.

4 - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص86.

5 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص46. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص95.

6 - المقريزي: السلوك، ج6، ص4.

7 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص232. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص298. المقريـــزي: السلوك، ج، ص102.

8 - المقريزي: السلوك، ج6، ص83.

9 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص263.

10 - المصدر نفسه، ج2، ص485.

11 - المقريزي: السلوك، ج6، ص298.

12 - المصدر نفسه، ج7، ص433.

13 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص447.

وجميع الذين اعتقلوا في قلعة الصبيبة أُفرج عنهم في السنة نفسها التي اعتقلوا فيها أو في العام التالي، باستثناء تمربغا الظاهري [1] الذي أطلق من حبسه سنة 862هـ/1458م بعد أن أمضى أكثر من 5 سنوات فيها [2]. كما أن الباحث لم يسجل أي حادثة وفاة داخل سجنها.

قلعة صرخد:

تقع شرق بصرى وجنوب السويداء [3]، قال عندها ياقوت الحموي: "بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة" [4].

والقلعة من بناء حسان بن مسمار الكلبي في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي 427-487هـ/1035-1094م [5]. وبنيت القلعة فوق مرتفع صخري يرتفع حوالي 1400 متراً عن سطح البحر، وتشرف على ريف المدينة بالكامل إشرافاً دقيقاً، وتشكل أعلى قمة في المنطقة، ولهذه القلعة شكلاً أقرب ما يكون إلى شكل الدائرة، وتتميز بشكل بناءها الشاقولي المائل قليلاً من الأعلى، ومجهزة بخندق يلتف حولها بعمق يتراوح بين 20-25 متراً وقد بنيت من الحجر البازلتي الأحمر، وتتكون من عدة أبراج وحصون، وفي الداخل تشمل غرف ومستودعات وأقبية تأتي على ثلاث طبقات تربط بينها عدد من الدهاليز والأنفاق والأبواب[6].

لهذا فقد استخدمت سجناً اعتقل فيها العديد من الأمراء ومنهم: عز الدين أيبك التركي الحموي نائب دمشق سنة 695هـ/1295م [7]، والملك العادل كتبغا الذي اعتقل فيها بعد استيلاء حسام الدين لاشين على السلطنة بمصر سنة 696هـ/1296م [8]، وجمال الدين أقوش

---

1 - تمربغا الظاهري جقمق: أصبح سلطاناً في سنة 872هـ/1467م وتوفي سنة 879هـ/1475م. السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص40.

2 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص378.

3 - شراب: المعالم الأثيرة، ج1، ص158.

4 - معجم البلدان، ج3، ص401.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص95.

6 - الشعراني: قلعة صلخد (مقال).

7 - العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1، ص503.

8 - الشوكاني: البدر الطالع، ج2، ص58. الذهبي: العبر، ج3، ص386. الحنبلي: شذرات الذهب، ج7، ص758.

الأشرفي المعروف بنائب الكرك سنة 734هـ/1333م ثم نقل إلى سجن الإسكندرية [1]، وسيف الدين طيدمر الإسماعيلي حاجب دمشق سنة 759هـ/1358م[2] ، ثم نقل ليسجن بقلعة القاهرة [3].

وقام الأمير شيخ نائب السلطنة في دمشق باعتقال ابن عبادة قاضي الحنابلة بدمشق والرشاوى أحد نواب قضاة الشافعية، والأمير شرف الدين يحيى بن لاقي [4] كما اعتقل مجموعة من تجار دمشق وألزمهم بدفع عشرة آلاف دينار، وأودعهم جميعاً في سجن صرخد سنة 812هـ/1410م، وأُفرج عنهم في نفس العام [5].

كما اعتقل فيها أحد الخارجين على الدولة والذي ادَّعى أنه السفياني المنتظر وتجمع حوله عدد من الأتباع في منطقة الشوبك[6]، ثم توجه إليه الأمير غانم الغزاوي وحاربه وقبض عليه وعلى ثلاثة من أتباعه وأرسلهم للاعتقال في قلعة صرخد في سنة 816هـ/1414م[7].

قلعة صفد:

تقع قلعة صفد في الجهة الشمالية الغربية من بحيرة طبرية في منطقة الجليل الأعلى، وترتفع عن سطح البحر حوالي 840 متراً [8]، وهي قلعة منيعة، بناها الصليبيون وأسموها صفت ثم قيل صفد، وهي ذات شكل بيضاوي طولها 95 متراً وعرضها 40 متراً [9].

وقد باعها الملك الصليبي عموري الأول إلى الفرسان الداوية سنة 563هـ/1167م، وبعد معركة حطين استطاع صلاح الدين الأيوبي فتحها بعد عناء شديد وحصار طويل بسبب مناعتها، وفي سنة 616هـ/1219م قام الملك المعظم عيسى بهدمها خوفاً من سيطرة

---

1 - ابن تغري بردي: السلوك، ج3،ص184.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص297. الذهبي: العبر، ج4، ص176.

3 - المصدر نفسه، ج14، ص298.

4 - المقريزي: السلوك، ج6، ص228.

5 - المصدر نفسه، ج6، ص235.

6 - الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمّان وأيلة والقلزم قرب الكرك. ياقوت : معجم البلدان، ج3، ص370.

7 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج9، ص171. العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص10.

8 - زكار: فلسطين في عهد المماليك، الموسوعة الفلسطينية، ج2، ص548.

9 - الصوافي: القلاع والحصون، ص151.

الصليبيون عليها، وفي سنة 638هـ/1240م قام الصالح إسماعيل بتسليمها للصليبيين بموجب معاهدة التحالف معهم، وفي سنة 663هـ/1264م تمكن الظاهر بيبرس من تحريرها وأصبحت في أيدي المسلمين[1]. ونظراً لمناعتها وقوة تحصينها فقد اتخذها المماليك سجناً، فقد سجن فيها يوسف حوك النصراني الزغلي الذي كان يزعم أنه يحوّل النحاس إلى ذهب، وقتل في القاهرة سنة 731هـ/1330م[2].

وسجن فيها الأمير بيدمر سنة 778هـ/1376م[3]. والأمير أسن بيه وأُفرج عنه سنة 807هـ/1404م[4]. وسجن فيها الأمراء: يشبك أنالي المؤيدي الأستادار، وإينال الحكمي، وجلبان أمير أخور وأُفرج عنهم سنة 825هـ/1422م[5]. والأمير أزبك جحا حتى وفاته سنة 847هـ/1443م [6]. والأميرين شاد بك الجكمي، وإينال الأبوبكري الأشرفي سنة 852هـ/1448م [7]. وتوفي وهو محبوس فيها الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله أمير الأشرفي المعروف بالظريف سنة 870هـ/1465م [8]. وسجن فيها قانصوه الألفي سنة 901هـ/1496م[9].

قلعة حمص:

حمص من أوسع مدن الشام، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها[10]، وبها قبر الصحابي خالد بن الوليد، وتقع القلعة في الجهة الجنوبية من المدينة، وصفها ابن جبير قائلاً: "قلعة حصينة منيعة عاصية غير مطيعة"[11]، وتبدو قلعة حمص من الداخل كأنها مدينة ملكية مصغرة فيها دور السكن والمستودعات والمسجد وكل ما يلزم الإقامة والدفاع، وتدل الكتابات المنقوشة على البرج الشمالي أن من بناها هو أسد الدين شيركوه بن محمد سنة

---

1 - الصوافي: القلاع والحصون، ص153-161.

2 - الصفدي: أعيان العصر، ج5، ص673.

3 - المقريزي: السلوك، ج5، ص17.

4 - المصدر نفسه، ج6، ص116.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة. ج14، ص248 . المقريزي: السلوك، ج7، ص60.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج4، ص218.

7 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص380.

8 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص345، السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص53.

9 - البصروي: تاريخ، ج1، ص179.

10 - اليعقوبي: البلدان، ص160.

11 - ابن جبير، رحلة، ص209.

594هـ/1198م، ويبدو أن شيركوه هو أكثر من حصن القلعة واهتم بها بسبب طول حكمه التي امتدت إلى 45 عاماً [1].

استخدمها الأيوبيون سجناً للأمراء المنافسين لهم، فقد اعتقل الملك الجواد صاحب دمشق الوزير صفي الدين بن مرزوق فيها، وأخذ منه أربعمائة ألف درهم، وبقي في سجنها ثلاث سنوات لا يرى النور[2].

وقد ملكها الملك المجاهد [3]، وقد مات في سجنه عدد كبير من الرجال والنساء، فقد كان ملكاً محباً لجمع المال، ظلم رعيته، وجعل على التجار والمترددين إلى بلاده ضرائب لم تجرِ بها العادة، وقد بلغه مرة أن قافلة كبيرة للتجار مالت عن الطريق خوفاً من ظلمه، فركب بنفسه وأخذ القافلة وجميع ما فيها، وحبس التجار مدة طويلة ثم أطلقهم ولم يعطهم من أموالهم شيئاً[4]. واعتقل في القلعة الأمير محمد بن أبي علي الهذباني، والأمير سيف الدين أبي علي وجماعة من الحمويين وأُفرج عنهم سنة 644هـ/1246م [5]، واعتقل الملك الناصر داود بن المعظم [6] الذي كان صاحب الكرك وبقي في سجنها ثلاث سنوات، وأطلق سراحه سنة 656هـ/1258م بعد شفاعة الخليفة المستعصم فيه[7].

قلعة نابلس:

ونابلس مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل، أرضها حجر، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ[8]، استخدمها

1 - وزارة الثقافة السورية: صومعة دمشق.

2 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج46، ص27. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص177.

3 - الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه توفي سنة 637هـ/1240م. ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص29.

4 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص29.

5 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص80.

6 - داود بن الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدين (603-656هـ/1206-1258م)، صاحب الكرك، وأحد الشعراء الأدباء، ولد ونشأ في دمشق، وملكها سنة 626هـ/1229م، وأخذها منه عمه الأشرف، فتحول إلى الكرك فملكها 11 سنة، واستخلف عليها ابنه عيسى سنة 647هـ/1249م، فانتزعها منه الصالح أيوب بن عيسى، فرحل مشرداً في البلاد، وتوفي بقرية البويضاء بظاهر دمشق بالطاعون، معجم الشعراء العرب، ص1245.

7 - أبو الفداء: المختصر، ج3، ص187.

8 - ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص248.

صلاح الدين الأيوبي لسجن ملوك وأمراء الصليبيين الذين أُسروا بعد فتح بيت المقدس سنة 583هـ/1187م، ومنهم ملك وملكة بيت المقدس[1].

قلعة بصرى:

تقع القلعة في الزاوية الجنوبية الغربية من مدينة بصرى التي تبعد عن دمشق مسافة 141 كيلو متراً وسط سهول حوران الفسيحة[2].

وإليها حُمل القاضي الأعز فخر الدين بن شكر من القاهرة بعد أن غضب عليه الملك العادل الأيوبي سنة 612هـ-1216م، بسبب إسرافه في إنفاق الأموال، فاعتقل بها[3]، وفي سنة 635هـ/1237م صادر الملك الصالح عماد الدين جماعة من الدماشقة الذين قيل عنهم إنهم مع الملك الكامل ومنهم المعلم تعاسيف وأولاد مزهر وحبسهم في بصرى[4].

قلعة عزتا:

وهي قلعة قرب دمشق بجوار نهر بردى[5]، وحبس فيه الشيخ علي الحريري وذلك سنة 629هـ/1232م ومكث فيه سنين [6] بعدما اشتهر عنه من الإباحة وقذف الأنبياء والفسق وترك الصلاة[7].وكذلك أمر الملك الصالح إسماعيل بحبس الملك الجواد يونس بن ممدود بن العادل، وبقي في سجنه حتى توفي سنة 641هـ/1243م [8].

واعتقل فيها الملك السعيد بن الملك العزيز عثمان حتى أُفرج عنه سنة 846هـ/1442م[9].

1 - ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص36.

2 - الساطع: حصون وقلاع، ص15.

3 - ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص6.

4 - المقريزي: السلوك، ج1، ص379.

5 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص2.

6 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج3، ص342. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص150.

7 - الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص9.

8 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص191.

9 - النويري: نهاية الأرب، ج29، ص367.

ثالثاً: سجون الجباب

كانت سجون الجباب من أشنع السجون الموجودة في ذلك الوقت، وقد كانت مستخدمة في عدد من الدول، فقد استخدمها العباسيون، وحبسوا بعض المُعتقلين في بئر في سجن المطبق [(1)]. واستخدمت في بلاد الهند، فيذكر الرَّحالة ابن بطوطة عن وجود قلعة هناك تسمى قلعة الدويقير بها جباب يحبس بها أصحاب الجرائم العظيمة وتسكنها فئران ضخمة تؤذي المساجين[(2)].

واستخدمها الصليبيون لحبس الأسرى المسلمين كما ذكر الأمير أسامة بن منقذ في قصة ابن والي الطور الذي أسره الصليبيون وحبسوه في جب في بيت جبريل وبقي في سجنه حتى قام أحد البدو بحفر نفق إلى الجب وأنقذه من الأَسْر [(3)]، وكذلك استخدمه السلاجقة فبعد انتصار الأمير بلك بن أرتق على الصليبيين في سنة 517هـ/1122م أسر ملك بيت المقدس الصليبي بلدوين الثاني والأمير الصليبي جوسلين ووضعهم في جب بقلعة خرتبرت [(4)].

ومن الأسماء الأخرى التي أطلقت على الجب اسم "المطمورة"، وهي حفرة في الأرض تُضيَّق فتحتها، وتوسَّع من الأسفل[(5)].

وقد كان المساجين يُدلَّون إلى الجب من فتحة أعلاه ثم يغلق عليهم، وكان الطعام والماء يُدلى إليهم من طاقة في سقف الجب[(6)]، فكانوا يمكثون في الظلام الدامس، والروائح الكريهة، والشدائد العظيمة، ولنا أن نتصور أن يوضع إنسان في بئر لمدة طويلة لا يرى فيها الشمس ولا يتجدد عليه الهواء، ويضطر أن يأكل ويبول ويتبرز في نفس المكان، فمن المؤكد أن المكان سيتحول إلى مرتع للديدان والأمراض والحشرات والقوارض. وقد ذكرت بعض المصادر عن وجود الوطاويط في هذه الجباب، كما ذكر المقريزي عن جب قلعة القاهرة[(7)].

---

1 - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص159.

2 - ابن بطوطة، رحلة، ج2، ص424.

3 - الاعتبار، ج1، ص80.

4 - ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1، ص332.

5 - الزبيدي: تاج العروس، ج12، ص433.

6 - الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج1، ص429.

7 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص375.

ووصف يعقوب بن داود حبسه في زمن المهدي قائلاً: "حبست في المطبق، واتخذ لـــي فيه بئر فدليت فيها، فكنت كذلك أطول مدة لا أعرف عدد الأيام وأصبت ببـــصري، وطـــال شعري، حتى استرسل كهيئة شعور البهائم" [1].

أما عن الأوضاع النفسية للمعتقلين في هذه الجباب، فإنه يصل بهم اليأس إلـــى درجـــة تمني الموت، فقد وصف الأمير حسام الدين الهذباني وضعه النفسي عندما كان محبوساً فـــي جب قائلاً: "لما كنت في الجب بقلعة بعلبك لا أفرق بين الليل والنهار، حدثتني نفسي وأنا فـــي تلك الحال التي تشعر باليأس من الحياة بالكلية أنني أخرج من الحبس ..." [2].

وقد استخدم الأيوبيون والمماليك الجباب لسجن المعارضين السياسيين، وقـــد وصـــلتنا أسماء وأوصاف عدد من هذه الجباب ومنها:

جب قلعة الجبل بالقاهرة:

كان هذا الجب مخصصاً لسجن الأمراء المعارضين للسلطان، وبدأ العمل بهذا الجب في سنة 681هـ/1282م في عهد السلطان المنصور قلاوون، وبقي إلى أن أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بردمه في سنة 729هـ/1328م [3]، وذلك بسبب أن شاد العمائر[4] نزل إليه ليجري فيه أعمال ترميم فشاهد أمراً مهولاً لا يطاق من الضيق الذي يـــراه المـــساجين مـــن الظلام وكثرة الوطاويط والروائح الكريهة، فأمر السلطان بإخراج السجناء منه ونقلهـــم إلـــى الأبراج، وردم الجب [5].

وكان مصير المسجونين في الجب يؤول أحياناً إلى القتل أو الموت فمثلاً:

في سنة 617هـ/1220م أمر السلطان الكامل الأيوبي بحـــبس الملـــك الناصـــر بـــن المنصور صاحب حماة في الجب وتوفي فيه على أسوأ حال[6]، وفي سنة 643هـ/1245م

1 - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص159
2 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص80.
3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص92. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص375.
4 - شاد العمائر: يكون صاحب هذه الوظيفة متكلماً في العمائر السلطانية مما يختـــار الـــسلطان إحداثـــه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص22.
5 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص375.
6 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص379.

أمر الملك الصالح أيوب بشنق ابن يغمور وزير الصالح إسماعيل [1]، وفي سنة 692هـ/1293م خنق الأمراء سنقر الأشقر، وجرمك، والهاروني، وبكتوت، وبيبرس، وطقصوا [2]، وفي سنة 698هـ/1299م قتل الأمير منكوتمر على باب الجب [3]، وفي نفس السنة توفي الأمير بدر بيسرى الشمسي الصالحي وهو محبوس بالجب، وكان شيخاً كبيراً[4]، وفي سنة 791هـ/1389م خنق ستة من المماليك المحبوسين في جب القلعة، والذين تمردوا في منطقة قوص [5]، وفي سنة 719هـ/1319م توفي الأميران سيف الدين منكوتمر الطباخي، وسيف الدين أركتمر[6] وفي سنة 816هـ/1414م قتل الأمير تغري بردي الملقب بسيدي الصغير[7].

جب قلعة الكرك:

كان فيها جب مخيف مظلم[8] يزج به أعداء السلاطين، وعلى إثر الحفريات التي أجريت في قلعة الكرك ظهرت جباب عديدة، وهي على شكل عمودي تخترق الطباق السبع لقلعة الكرك[9]. ففي الجهة الجنوبية من القلعة بالقرب من باب النصر وُجدت بركة كبيرة أطوالها 55×12×20 متراً [10].

ومن الأمراء الذين اعتقلوا فيه الأمراء بركة، وألطنبغا الجوباني، وجركس الخليلي وأقبغا المارديني وذلك سنة 769هـ/1367م ثم أُفرج عنهم وتوجهوا إلى دمشق[11].

---

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص348.

2 - المقريزي: السلوك، ج2، ص129.

3 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص240.

4 - الصفدي: أعيان العصر، ج2، ص99.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص326.

6 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص244. المقريزي: السلوك، ج3، ص11.

7 - الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص338.

8 - المقريزي: السلوك، ج4، ص315.

9 - بخيت: مملكة الكرك، ص81.

10 - غوانمة: التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، ص271.

11 - المقريزي: السلوك، ج4، ص315.

جب قلعة حلب:

اعتقل فيه الأمير جرديك صاحب حماة عندما أراد إقناع أمراء حلب والصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بتسليم حلب لصلاح الدين الأيوبي، فاعتقله الأمراء في جب قلعة حلب، فلما شُد في وسطه الحبل، وأُدلي إلى الجب وجد هناك ثلاثة من المُعتقلين وهم أولاد الدايـــة[1] شمس الدين علي وسابق الدين عثمان وبدر الدين حسن أولاد الداية[2] وقد قيل في حبسهم شعر يصف حال ظلمة الجب الذي كانوا فيه:

بنـــو فُلانــــة أعـــوان الـــضَّلالة	قضى بِـــذُلِّهم الأفـــلاكُ والقـــدرُ
وأصبحوا بعد عزِّ المُلك في صَفَد	وقعر مُظلمةٍ يغشى لهـــا البـــصرُ
وجدَّ الدَّهرُ في جَرديـــك عَزمتـــه	والدَّهرُ لا ملجأ منـــه ولا وزر[3]

مغارات قلعة حلب:

قام الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي سنة 616هــ/1219م بحفر مغارات في شفير خندق قلعة حلب المواجه للمدينة، بحيث يكون في كل مغارة مقدار خمسين بيتـــاً أو أكثر، بحيث تتسع لإسكان الأسرى الصليبيين [4].

ووصف كامل الغزي هذه المغارات قائلاً: "عدة مغاير متهدمة وفي بعـــضها ســـراديب تبعد نهايتها وأظنها هي المغاير التي نحتها الملك الظاهر" [5].

واعتقل فيها سنة 726هــ/1325م ناصر بن الهيتي المتهم بالزندقة والكفـــر، قبـــل أن يُرسل إلى دمشق حيث ضُربت عنقه هناك[6].

وقد استخدمت هذه المغارات سجناً للصوص وقُطَّاع الطُّرق والعربان، فقد أورد ســـبط ابن العجمي في أحداث سنة 772هــ/1371م أنه "خرج نائب حلب مرة إلى ظاهرها فأمـــسك جماعة من العربان، وقدم بهم إلى حلب، واعتقلهم، وكان السجن إذ ذاك بخندق القلعة، فلمـــا

---

1 - أبو شامة: عيون الروضتين، ج2، ص247.

2 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج40، ص231.

3 - أبو شامة: عيون الروضتين، ج2، ص247.

4 - ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص51، 52.

5 - نهر الذهب، ج2، ص29.

6 - ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص269.

أظلم الليل ظهرت حمرة بالسماء كالدم. وضج الناس من ذلك. ومات العرب الذين بالسجن عن آخرهم." [1].

جب قلعة بعلبك:

اعتقل فيه الأمير حسام الدين الهذباني، أمر باعتقاله الملك الصالح إسماعيل، فحبس في جب مظلم لا يفرق فيه بين الليل والنهار، وهو مضيق عليه، وينزل إليه في كل يوم قليل من خبز وماء، وفي بعض الأحيان ينزل إليه جرزة بقل، وقال حسام الدين: "فكنت أحسب في نفسي أنني ربما أمنع الطعام والشراب لأموت، فكنت أدخر من الخبز المرتب شيئاً قليلاً وكذلك من الماء أجمعها في جرة، فاجتمع عندي من ذلك شيء كثير، ثم طُيِّن عليَّ الجب، ومُنعت من الطعام والشراب، فارتفقت بذلك الذي جمعته مدة إلى أن فُتح الجب، وأُنزل إليَّ ما كان يجري عليَّ أولاً إلى أن فرَّج الله تعالى عني"، ولما أُخرج من الجب سنة 641هـ/1243م حُمل إلى قلعة دمشق وسُجن في برج[2].

مطمورة قلعة حمص:

قبض الملك الجواد على صفي الدين بن مرزوق، وأخذ أمواله ومتاجره وجميع موجوده، ثم سلمه إلى الملك المجاهد صاحب قلعة حمص، الذي اعتقله فيها في مطمورة، إلى حين وفاة الملك المجاهد، وأراد المجاهد قتله عند وفاته فمنعه الملك المنصور ولده منه، وقال له: لا تلقى الله بدم رجل مسلم، وبعد وفاة المجاهد طلبه الملك الصالح إسماعيل من الملك المنصور فأحضر إليه فأحسن إليه الصالح وأنعم عليه[3].

مطمورة قلعة الشوبك:

اعتقل فيها الملك الناصر داود، حيث قبض عليه المغيث وحمله إلى الشوبك، وأمر بحفر مطمورة ليحبسه فيها، وبقي الناصر ممسوكاً والمطمورة تحفر أمامه، فبينما هو على تلك الحال إذ ورد رسول الخليفة المستعصم من بغداد يطلبه ليأمره على بعض العساكر لحرب التتار، فذهب معه[4].

---

1 - سبط ابن العجمي: كنوز الذهب، ج1، ص162.

2 - اليونيني: مرآة الزمان، ج2، ص78.

3 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص24.

4 - العمري: مسالك الأبصار، ج27، ص369.

مطمورة قلعة تدمر:

قام الملك الأيوبي المنصور ناصر الدين إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص باعتقال أخيه الملك المسعود صاحب الرحبة ووضعه في مطمورة في قلعة تدمر سنة 637هـ/1239م، ولم يزل فيها إلى أن مات[1].

مغارة أفقه:

وهذه المغارة في جبل لبنان من جهة الساحل[2]، سُجن بها القاضي الرفيع الجيلي [3] سنة 642هـ/1244م زمن حكم الصالح إسماعيل على دمشق، بسبب اتهامه بفساد العقيدة والظلم، وقد بُعث به إلى هذه المغارة، وتُرك أياماً بلا أكل، ثم رُمي من فوق الجبل حتى تقطع جسده[4].

---

1 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص29.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص190.

3 - الأصولي الفيلسوف رفيع الدين قاضي القضاة أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد، بن إسماعيل الجيلي الشافعي.

4 - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص343.

الفصل الثاني

تنظيم السجون

أولاً: إدارة السجون:

-الإشراف الإداري:

-أسماء موظفي السجن

-ضريبة السجن

ثانياً: أحوال المساجين.

ثالثاً: جهود تحسين السجون.

رابعاً: أسباب الحبس.

أولاً: إدارة السجون

الإشراف الإداري:

تنقسم السجون بحسب الإشراف الإداري المباشر عليها إلى ثلاثة أقسام:

سجون تحت إشراف السلطان:

وهي سجون القلاع الرئيسة، وعلى رأسها قلعة القاهرة وقلاع الإسكندرية، ويكون السجن فيها بموجب "مرسوم شريف" من السلطان[1].

ومراسيم الإفراج والاعتقال التي كانت بحق الأمراء كانت تصدر من السلطان، وفي بعض الأحيان كان السلطان يفوض نائبه بصلاحيات الإشراف على السجون بموجب مرسوم، كما حدث في سنة 802هـ/1400م حين فوض السلطان فرج نائبه على الشام الأمير تنم بموجب مرسوم شريف "بإدارة أُمُور البلاد الشامية وأن يطلق من شاء من الأمراء المحبوسين"[2].

وأحكام الإعدام لا تنفذ إلا بمرسوم سلطاني، فنجد في أحداث سنة 782هـ/1380م حادثة قتل الأمير بركة بسجن الإسكندرية، الذي أمر بقتله نائبها ابن عرام بمقتضى مرسوم جاءه من القاهرة، ولكن السلطان برقوق حينما خشي ثورة إخوة بركة عليه أنكر أن يكون قد أصدر مرسوماً بقتله، وأمر باعتقال نائب الإسكندرية ابن عرام ونودي عليه: هذا جزاء من يقتل الأمراء بغير إذن، فيقال: إنه أخرج ورقة من جيبه وقال: هذا خط الأمراء بالإذن في ذلك، فلم يلتفت إليه، ثم سُمِّر، وضربه مماليك بركة بالسيوف وعلقوا رأسه على باب زويلة[3].

وفي سجون الشام والإسكندرية كان الإشراف المباشر فيها لنائب السلطنة، "فله أن ينظر في أمر المفسدين من قُطَّاع الطُّرق وأهل الفتن كالعشران وغيرهم، والغلظة والتشديد عليهم، وإن رأى نائب السلطنة تقليد بعض المذاهب في شدة تعزيرهم، والمبالغة في عقوبتهم على

---

1 - النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص495.

2 - المقريزي: السلوك: ج6، ص7.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص215.

جرائمهم، وطول مكثهم في السجن، فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة، لا التشهي وحظ النفس" [1].

ولم يكن للأمراء ونقباء القلاع الحق في اعتقال أحد أو الإفراج عنه إلا بإذن نائب السلطان، وحدث أن نقيب قلعة دمشق أطلق من السجن عدد من المساجين بدون إذن النائب سنة 885هـ/1480م، فغضب عليه النائب غضباً شديداً وكاد أن يقتله بسبب ذلك، وقال له: "يا خنزير يا كلب، والله أوسطك، أنت حاكم الشام؟! تحكم برأيك"، فأكب النقيب على رجلي النائب يقبلهما حتى سكت عنه، وقال النائب له: أمسك الذين أطلقتهم واحبسهم وإلا وسَّطُتك[2].

وتكون تبعية سجون القلاع البعيدة عن العاصمة بيد نائب القلعة، وتنحصر مسؤوليته فقط في التحفظ على المُعتقلين وعدم السماح لهم بالهروب، ولا يستطيع إخراجهم من محبسهم إلا بمرسوم سلطاني، حتى أنه عندما يتسلم مسؤوليته يحلف يميناً من ضمنه: "ولا أعمل حيلةً في إطلاق أحد ممن يبرز مرسوم مولانا السلطان بسجنه والاعتقال عليه بالقلعة المشار إليها"[3].

سجون تحت إدارة الوالي:

تشبه وظيفة الوالي في الدولتين الأيوبية والمملوكية وظيفة المحافظ أو رئيس الشرطة اليوم، ويعهد إليه بالإشراف على المدينة وصيانتها، وحماية أهلها من عبث المفسدين واللصوص ومثيري الفتن، وإطفاء الحرائق، وتعقب اللصوص والسكارى ومرتكبي الفواحش، وحماية أبواب المدينة[4]. وكان تحت إمرته مجموعة من النقباء والخفراء والمقدمين[5].

وتتوزع ولايات الولاة في مصر كالتالي:

ولايات القاهرة وهم ثلاثة، بالقاهرة، والفسطاط المعروفة بمصر، والقرافة، ووالي القاهرة، فيحكم في القاهرة وضواحيها، وهو أكبر الثلاثة وأعلاهم رتبة؛ ورتبته إمرة طبلخاناه[6]، أما الولاة في الأقاليم المصرية فكانوا في ولايات يحملون رتبة أمراء الطبلخاناه

---

1 - السبكي: معيد النعم، ص23.

2 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص15.

3 - الأسيوطي: جواهر العقود، ص272.

4 - عاشور: نظم الحكم والإدارة، ص266.

5 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج49، ص16.

6 - الطبلخاناه: المراد بها ما نسميه في عصرنا موسيقى الجيش وهي لفظ فارسي، وأمير الطبلخاناه هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى على بابه، ويكون أمير أربعين، ويتدرج

وهي: البهنسى، والأشمونين، وقوص، وأسوان (وكانت تابعة لوالي قوص وأصبحت ولاية زمن برقوق)، والشرقية (بلبيس)، ومنوف، والغربية (المحلة)، والبحيرة (دمنهور)، وكان ولاة في ولايات أخرى يحملون درجة (أمير عشرة) [1]، وهي ولايات: الجيزة، وإطفيح، ومنفلوط، وقليوب، وأشموم، ودمياط، وقطيا[2].

أما في الشام فيوجد عدة نيابات وهي:

1- نيابة دمشق: وهي أعلاها رفعة، ويوجد والي لمدينة دمشق مهمته القيام بأعمال الشّرطة، ورتبته أمير عشرة، وربما جندي[3]. ومن أشهر ولاة دمشق المبارز إبراهيم بن موسى المعروف بالمعتمد وكان من خيار الولاة وأعفهم وأحسنهم سيرة وأجودهم سريرة، وقد تولَّى ولاية دمشق في عهد العادل الأيوبي وبقي حتى عزله المعظم عيسى سنة 617هـ/1220م[4].

وتتبع نيابة دمشق عدة نيابات وولايات: أما النيابات فهي غزة، والقدس (وفيها والي للقلعة وآخر للمدينة)، وصرخد، وعجلون، وبعلبك، وحمص، ومصياف، أما الولايات فهي: الرملة، ولد، وقاقون، والخليل، ونابلس، وبيسان، وبانياس، والصبيبة، والشعرا، وأذرعات، والصلت، وبصرى، والبقاع البعلبكي، وبيروت، وصيدا[5].

2- نيابة حلب: وتأتي في المرتبة الثانية في الرفعة بعد نيابة دمشق، وفي المدينة أيضاً والي، ويتبع لنيابة حلب عدة نيابات وولايات وهي: قلعة الروم، وكختا، وكركر، وبهسنى، وعينتاب، والراوندان، والدربساك، ووبغراس، والقصير، والشغر وبكاس، وشيزر، وملطيّة، ودبركي، ودرندة، والأبلستين، وآياس، وطرسوس، وأذنة، وسرفندكار، وسيس، والبيرة، وجعبر، والرها. أما الولايات فهي: ولاية برّ حلب وواليها هو والي الولاة، وكفرطاب،

في الزيادة إلى ثمانين، ويعد أمير طبلخاناه في الدرجة الثانية بين الأمراء. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص106.

1 - أمير عشرة: مرتبة حربية يكون في خدمة صاحبها عشرة مماليك، ويكون صغار الولاة من طبقة أمراء العشرات. عاشور: العصر المماليكي، ص415.

2 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص23-25.

3 - المصدر نفسه، ج4، ص194.

4 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص135. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص248.

5 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص204-209.

وسرمين، والجبّول، وجبل سمعان، وعزاز، وتل باشر، ومنبج، وتيزين، والبـــاب وبزاعـــا، ودركوش، وأنطاكية[1].

3- نيابة طرابلس: وفيها والي في قلعتها وفيها نيابات: حصن الأكراد، وحصن عكار، وبلاطنس، وصهيون، واللاذقية، والرصافة، والخوابي، والقـــدموس، والكهـــف، والمنيقـــة، والقلعة، أما الولايات فهي: أنطرطوس، وجبّة، والمنيظرة،والظّنّيّين، وبشرّيه، وجبلة، وأنفة[2].

4- نيابة حماة: وبها والي في قلعتها وولايات في: بر البلد، وبارين، والمعرة[3].

5- نيابة صفد: وبها والي في قلعتها وولايات في: بر البلـــد، والناصـــرة، وطبريـــة، وتبنين، وعثليث، وعكا، وصور، والشاغور، والإقليم، والشقيف، وجينين[4].

6- نيابة الكرك: وبها والي في قلعتها، وولايات في: بر البلـــد، والـــشوبك، وزغـــر، ومعان[5].

وكان من مهام الولاة اعتقال من يريد السلطان اعتقالهم وإيداعهم السجن[6]، أو الـــتحفظ على من يرسله السلطان إلى الوالي لاعتقاله، ونذكر من ذلك ما حدث سنة 733هــ/1332م فقد أَمَرَ السلطان بتسليم المنجمين إلى والي القاهرة فضربوا وحبسوا لإفسادهم حال النـــساء، ومات منهم أربعة تحت العقوبة[7]، وسنة 793هــ/1391م قبض السلطان على مجموعة مـــن الأمراء وهم أسندمر وإسماعيل التّركمانيّ وكزل القرميّ وآقبغا البجاسيّ وسربغا وسلّمهم إلى والى القاهرة[8].

كما كان الوالي يقوم بمهمة تعذيب السجناء حتى يعترفوا، فقد شكا رجل إلى السلطان أن القاضي شهاب الدين القرشيّ اعتدى على ماله، فأمر السلطان أن يضرب القاضي بالمقـــارع وسلّم إلى والى القاهرة ليخلّص منه المال، فضربه الوالي وأهانه وعصره مراراً ثـــم ســـجنه بخزانة شمائل وذلك سنة 793هــ/1391م [9]، وكذلك أمر السلطان باعتقال آقبغا المـــاردينيّ

---

1 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص224-237.

2 - المصدر نفسه، ج4، ص242.

3 - المصدر نفسه، ج4، ص243-246.

4 - المصدر نفسه، ج4، ص246-247.

5 - المصدر نفسه، ج4، ص248.

6 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص69.

7 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص187.

8 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص20.

9 - المصدر نفسه، ج12، ص21.

نائب السلطان في الوجه القبلي بمصر، وضربه على أكتافه وأمر والى القاهرة بتخليص حقوق الناس منه[1].

وكان الولاة في الشام تحت إمرة النواب، وكان دورهم مماثلاً لولاة مصر في القبض على المتهمين وسجنهم، ففي سنة 906هـ/1501م هجم والي البر في دمشق ويسمى ابن الحنبلية ومعه جماعة النائب على بيت، وقبضوا على صاحبه، وحققوا معه في قضية سرقة، ثم أخرجا من دار العدل إلى حبس الدم[2].

وكان الوالي يتحمل مسئولية هروب المساجين من محبسهم ففي سنة 669هـ/1270م فُقد صارم الدين مبارك بن الرضي بن المعالي حاكم طرابلس من محبسه ولم يعثر عليه، فأمر بيبرس باعتقال علم الدين المسروري والي القاهرة ثم أفرج عنه بعد شفاعة [3].

سجون تحت إدارة القضاة:

وكان للقضاة سجون خاصة بهم، وكان غالب من يُسجن فيها على قضايا شرعية أو ديون، ففي سنة 785هـ/1383م كتبت أسماء الذين في سجن القضاة بسبب الديون وأفرج عنهم السلطان بعدما دفع لغرمائهم أموالهم[4]، وفي سيرة الملك الظاهر بيبرس أنه كان يخرج كل سنة أموالاً كثيرة ليستفك بها المفلسين من حبس القضاة[5]. وفي سنة 725هـ/1325م حبس شهاب الدين أحمد بن مري البعلبكي الحنبلي أحد أصحاب ابن تيمية مقيداً في سجن القاضي المالكي تقي الدين الأخنائي بالقاهرة [6]. وفي قضية الخواجة التبريزي الذي اعتقل سنة 832هـ/1429م بتهمة التجسس لصالح الفرنج نجد أن القاضي نقله من سجن السلطان إلى سجنه وادَّعى عليه بالكفر وبأمور شنيعة، وقامت عليه بينة بذلك، فحكم بإراقة دمه[7].

---

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص19.

2 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص206.

3 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص451.

4 - المقريزي: السلوك، ج5، ص156.

5 - السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص96.

6 - المقريزي: السلوك ج3، ص81.

7 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص324.

أسماء موظفي السجن:

برزت عدة مسميات للموظفين الذين يشرفون على حراسة السجن أو مهام أخرى متعلقة بالسجن مثل نقل المساجين أو تعذيبهم ومن هذه الوظائف:

السَّجَّان:

وكانت مهمته حراسة السجن والوقوف على أبوابه ومنع السجناء من الهـرب، وكـان يرأس السَّجَّانين شخص يسمى "معلم السَّجَّانين"، وعرف منهم يوسف أبو أحمد معلم السَّجَّانين بالمقشرة الذي توفي سنة 891هـ/1486م[1].

الفتَّاح:

كان من ضمن سَجَّاني القلعة[2] ويبدو من تسميته أنه أوكلت إليه مهمة فتح وإغلاق باب السجن، وعرف ممن تولَّى هذه المهنة الأمير "سيف الدين أراق الفتّاح" الذي كان يتَوَلَّى فـتح سجن القلعة الذي يعتقل فِيهِ الْأُمَرَاء في حدود سنة 733هـ/1332م [3].

الجاندارية:

الجاندارية كلمة تركية تعني حامل السلاح، وهي مركبة من لفظين أحدهما جان، ومعناه سلاح، والثاني دار، ومعناه ممسك[4]. وكانت مهمتهم القبض على المتهمين، واستلام المساجين وإيداعهم السجن، وكذلك حراستهم أثناء تنقلهم سواء من سجن إلى آخـر أو الخـروج بهـم لاستخدامهم عمالاً في البناء أو العتل[5].

وقد ذكر المقريزي أن من أعمال الأمير جاندار: "إذا أراد السلطان تقريـر أحـد مـن الأمراء على شيء أو قتله بذنب، كان ذلك على يد أميـر جانـدار، وهـو أيـضا المتـسلم للزردخاناه، وكانت أرفع السجون قدراً"[6].

---

1 - السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص340.

2 - ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص318.

3 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8، ص216.

4 - دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص51.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص218.

6 - المواعظ والاعتبار، ج3، ص387.

ويذكر اليونيني أن الملك الأمجد أمر باعتقال رجل في قلعة دمشق: "فسير جندارية وأمرهم بإحضاره ورميه في الجب"[1]. ويذكر المقريزي عند ذكر اعتقال أميرين: "ومضى بهما أمير جندار إلى قاعة سجنهما"[2]، وذكر عن الأمير آنص العثماني والد السلطان برقوق "أنه كان إذا ركب ولقي في طريقه أحداً من المحابيس المكدّين يأخذه من جنداره ويطلقه في الحال"[3].

المشاعلية:

وهم الذين يحملون مشعلاً يوقد بالنار بين يدي الأمراء ليلاً، وإذا أمر بشنق أحد أو تسميره أو التشهير به والنداء عليه تولوا هم ذلك[4]، واعتبرت هذه الفئة في مصر من الطبقة الوضيعة، فيشتغلون بالأعمال الحقيرة مثل كنس الطُّرقات والأفنية[5] وتنفيذ الإعدام في المحكوم عليهم، وفي نفس الوقت قاموا ببعض أعمال الشرطة [6]، وكذلك النداء في الطُّرقات بالمراسيم التي يصدرها الحكام[7]، والتشهير بالمحكوم عليهم في طرقات المدن فعادة ما كانوا يقولون فيمن نُفِّذ فيه حكم: "هذا جزاء من خامر على السلطان"، أو "هذا جزاء من يقصد إقامة الفتنة بين المسلمين ويتجاسر على الملوك" إلى غير ذلك[8].

وكان المشاعلية في بعض الأحيان يقومون بالطواف برأس القتيل في شوارع المدينة، ويجمعون الأموال من الناس الذين كانوا يقومون بإهانة القتيل للتشفي، فبعد قتل الأمير علم الدين سنجر الشّجاعيّ المنصوريّ سنة 693هـ/1294م أخذ المشاعلية رأسه وجعلوه على رمح وجابوا به شوارع القاهرة، وحصّلوا مالا كثيراً، فقد كان الناس يأخذون الرأس من المشاعليّة ويدخلونه بيتهم فتضربه النسوة بالمداسات لما في نفوسهم منه، وقد طافت المشاعليّة برأسه على بيوت القبط، فبلغت اللّطمة على وجهه بالمداس نصفاً، والبولة عليه درهماً[9].

---

1 - ذيل مرآة الزمان، ج2، ص55.

2 - السلوك، ج2، ص76.

3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص218.

4 - السبكي: معيد النعم، ص43.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص48.

6 - عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص45.

7 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص310.

8 - العيني: عقد الجمان، ج1، ص343.

9 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص46، ص52.

الجلاد:

يروي السبكي الذي عاصر تلك الحقبة عن الجلاد أنه "يتنوع في إيــصال الآلام لمــن يعاقبه بمجرد التهمة، وبعض من طبع الله على قلبه من الولاة، يأمر بالرجل أن يجــرد فــإذا شرع الجلاد في ضربه قام الوالي للصلاة، وأطال، سمعت بذلك عن بعــض ولاة القــاهرة، فيستمر المضروب تحت العصي والمقارع ما دام الوالي –قبحه الله- أمره بهذا، وأي صـــلاة هذه" [1].

المُسَفِّر أو المتسفر:

ومهمته نقل السجين المراد نقله إلى سجن بعيد على سبيل المثال مــن القــاهرة إلــى الإسكندرية أو من القاهرة إلى الشام أو العكس ويبقى السجين في عهدته مقيداً حتـــى يـــسلمه للسَّجَّان، وعادة ما يُرسم للمسفر أجرة عمله فقد رسم السلطان للأمير جانبك القرمـــاني أحــد أمراء العشرات، أن يصرف له من مال أوقاف الملك العزيز يوسف ألف دينار، وذلك حـــين نقل الملك العزيز مسجوناً من سجن القلعة إلى سجن الإسكندرية سنة 843هــ/1439م [2].

وحينما يقرر السلطان حبس أحد الأشخاص الموجودين بعيداً عن العاصمة يكلف أحــد الأمراء بالسفر على البريد ليقوم بالقبض عليه بموجب مرسوم مــن الــسلطان، ففـــي ســـنة 778هــ/1376م سافر الأمير قطلوبغا جركس على البريد إلى دمشق ليقبض علـــى الأميـــر بيدمر ويحبسه بقلعة صفد[3].

الأوجاقي:

مهمته السير خلف الأمير المُعتقل واضعاً خنجره في خاصرة السجين وهو راكب على فرسه، وذلك حين انتقاله من سجن القاهرة إلى النيل ليركب في الحراقة في طريقه إلى سجن الإسكندرية[4].

---

1 - السبكي: معيد النعم، ص45.

2 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص333.

3 - المقريزي: السلوك، ج5، ص17.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص392.

ضريبة السجن والمصادرات:

كان يفرض على كل سجين يدخل السجن ضريبة معلومة تسمى مقرّر السجون، وهـــي عبارة عما يؤخذ من كل من يسجن فللسَّجَّان على حكم المقرّر ستة دراهم سوى كلف أخرى، وعليها عدّة مقطعين ويرغب فيها الضُّمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها، فإنه كان لو تخاصم رجل مع امرأته أو ابنه رفعه الوالي إلى السجن فبمجرّد ما يدخل السجن، ولو لم يقم به إلا لحظة واحدة أخذ منه المقرّر، وكانت تجبى من سائر السجون[1]، وقد أبطل هذه الضريبة السلطان الناصر محمد سنة 714هـ/1314م بمرسوم سلطاني[2].

وعلاوة على مقرر السجون، فقد كان والي القاهرة يكلــف الــسَّجَّان بخزانـــة شـــمائل بتحصيل مبلغ من المال من المساجين كل يوم، وبلغ ذلك المبلغ في أيام الناصر فـــرج مبلغـــاً كبيراً[3].

وكان للسلطان الحق في مصادرة أملاك المتهمين كباراً وصغاراً دون اللجوء إلى حكم قضائي، فإذا ما اتهم لديه إنسان ما من الأمراء أو المباشرين أو غيرهم، أمر فوراً –إذا أراد- بالقبض عليه والإحاطة بماله من مال وعقار ونحوهما، وضمه إلى الخزائن الشريفة[4]، ولهذه الحالة أمثلة كثيرة:

فتذكر المصادر عبارة "احتاط على موجوده" أي صادر جميع أمواله، فمثلاً في أحـــداث سنة 697هـ/1298م "مسك الملك المنصور لاجين الأمير بدر الدين بيسرى الشمسيّ وحبسه واحتاط على موجوده"[5]، وفي سنة 820هـ/1417م "رسم السلطان للأمير آقبغا التّمـــرازىّ أمير آخور ثانى بالتوجّه إلى الشام ليقبض على ألطنبغا العثماني ويودعه بسجن قلعة دمـــشق، والحوطة على موجوده"[6].

1 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص168.

2 - المقريزي: السلوك، ج2، ص496.

3 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص330.

4 - سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص50.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص112.

6 - المصدر نفسه، ج14، ص45.

وفي سنة 896هـ/1491م غضب النائب على مملوك الخازندار، وأحاط على موجوده، وأخرجه في الزنجير، ينادي عليه، هذا جزاء من يخون أستاذه[1]، واعتقله[2].

وكذلك كان كثير من المسجونين تصادر ممتلكاتهم وأموالهم، فنجد أنه في سنة 668هـ/1270م، غضب السلطان على الأمير الشجاعي وعزله بسبب قيامه بمصادرة أموال المساجين، وأن في سجنه كثيراً من المظلومين قد مرت عليهم سنون وهم في السجن وقد باعوا كل ممتلكاتهم حتى يعطوه، فأمر السلطان بمصادرته وقرر عليه جملة كثيرة من الذهب[3].

ولما قُبِضَ على سعد الدين بن البقري ناظر الخاص[4] سنة 785هـ/1383م ، وحين اعتقاله كان في بيته عرس لإحدى بناته، فصودرت جميع الحلي التي كانت تلبسها النساء في العرس وجميع ما في بيته[5].

وكان السلطان إذا غضب على أحد الأمراء لذنب ارتكبه يعتقله، ويغرمه مبلغاً من المال يفرض عليه أن يؤديه وإلا استمر في الاعتقال والتعذيب، ونذكر مثالاً على ذلك: عبد الوهاب بن أبي شاكر، الذي تولّى عدة مناصب، كان آخرها ناظر الخاص، ثم قبض عليه سنة 816هـ/1414م وصودر على أربعين ألف دينار باع فيها ممتلكاته، وبقي في الترسيم بشباك الظاهرية الجديدة يستجدي من كل من يمر به من الأعيان حتى حصل المبلغ، وأفرج عنه وأعيد إلى وظيفته[6].

---

1 - أستاذ: معلم، وأطلقت في المصطلح المماليكي على السيد الذي اشترى المملوك بالمال وتعهده بالتربية حتى كبر وأعتقه، وكانت رابطة الأستاذية –التي تربط المملوك بأستاذه- من أقوى الروابط في نظام المماليك، حتى أن كثيراً منهم نسبوا إلى أساتذتهم، فيقال مثلاً بيبرس البندقداري نسبة إلى أستاذه الأمير علاء الدين البندقدار. عاشور، العصر المماليكي، ص411.

2 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص112.

3 - المقريزي: السلوك، ج2، ص204.

4 - ناظر الخاص: هو الذي يتحدث في الأموال الخاصة بالسلطان، ويتفقد تصرفاتها، ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص150.

5 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص277.

6 - المصدر نفسه، ج3، ص110.

وفي سنة 920هـ/1515م رسم السلطان بتسليم جاني بيك الأستادار إلى الزيني بركات والي القاهرة ليعاقبه حتى يستخلص منه الأموال التي قررت عليه[1]، وهي مبلغ 33 ألف دينار فعاقبه وعصره في أكعابه وضُرب ووضعت الكسارات في ركبه[2].

وفي نفس العام رسم السلطان بتوسيط عبد من عبيد شمس الدين عوض بسبب أنه يعرف ذخائر أستاذه ولم يقر بمكان فيه المال، وعاقبه الوالي وسجنه بالمقشرة مدة، ولم يقر بشيء من المال، فوسَّطه عند قنطرة الحاجب، فراح ظلماً[3].

وكان الولاة في بعض الأحيان يبالغون في فرض الضرائب على السجناء ونذكر مثالاً على ذلك، في سنة 821هـ/1418م غرق ولد لبعض التجار فأراد دفنه، فمنعه أعوان الوالي حتى يستأذنه، فمضى فاستأذن الوالي ابن الطبلاوي فأمر بحبسه، ثم قيل له وهو في الحبس: إنك لن تطلق حتى تعطي الوالي خمسة دنانير، فالتزم بها وخرج فباع ممتلكاته وما عند امرأته فبلغ أربعة دنانير واقترض ديناراً وأخذ ولده فدفنه وترك زوجته وهرب من القاهرة هرباً من الظلم، فبلغ ذلك السلطان فساءه جداً. وطلب الوالي، فضرب بحضرته بالمقارع ولم يعزله [4].

---

1 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص929.

2 - المصدر نفسه، ص952.

3 - المصدر نفسه، ص930.

4 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص173.

ثانياً: أحوال المساجين

لم يكن حال المساجين متشابهاً من ناحية الطعام والشراب والعناية الصحية وغيرها من متطلبات الحياة، فنجد في أحيان يشدد على السجين حتى يصل إلى حالة الموت في السجن، وفي حالات أخرى نجده تتوفر له ظروف حياة جيدة داخل السجن، ونضرب مثالاً على ذلك:

في سنة 843هـ/1439م اعتقل أحد تجار الإسكندرية ويدعى عبد الباسط في برج الإسكندرية بعد أن قرَّر عليه السلطان ثلاثمائة ألف دينار، وحُبس في برج مظلم وضُيق عليه، فأقام مدة، ثم أمر بإخراجه منه، وتسلمه نائب القلعة، فأنزله في غرفة علية، وهي أعلى بناء في القلعة، فأقام فيها أكثر من شهر إلى أن أُفرج عنه[1].

الطعام والشراب

كان السجناء الجنائيين في سجون المدن يحصلون على احتياجاتهم من الطعام إما من أهليهم أو صدقات أهل الخير، ففي قصة حبس علي بن أبي حسن الحريري (ت سنة 645هـ/1247م) فأنه بعد أن صلى الصبح في يومه الأول بالسجن أخذ يعظ السجناء ثم أمر كل من جاءه شيء من الطعام من أهله أن يحضره، ثم مد الطعام في مائدة، وأكل كل من في الحبس[2].

وعُرف كثير من أهل الخير بالصدقة على المساجين ومنهم أبو عبد الله البيطار المعروف بالأكال (ت سنة 600هـ/1204م)[3]، وعبد الله بن مشكور الحلبي ناظر الجيش[4] (ت 778هـ/1376م) والذي له مآثر معروفة بحلب منها أنه أوقف أوقافاً على المحبوسين في حبس أولي الجرائم [5]، ومن أهل الخير الذي أوقفوا الأوقاف لصالح السجناء خطيب قرية جرود الذي أوقف وقفاً ينفق جزء من ريعه كل سنة 100 فضة لسجن باب البريد بدمشق[6].

---

1 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج4، ص133.

2 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج7، ص400.

3 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص72.

4 - ناظر الجيش: هو الذي يتحدث في أمر الجيوش وضبطها. (دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص150).

5 - العسقلاني: الدرر الكامنة، ج3، ص90.

6 - أبو الشعر: واقع الأوقاف في نيابة دمشق، ص4.

وكان السجناء يخرجون من السجن إلى الطُّرقات وهم مكبلين بالحديد بحراسة الأعوان حتى يشحذوا، وهم يصرخون من شدة الجوع، ما تصدق عليهم لا ينالهم منه إلا ما يدخل بطونهم، وجميع ما يجتمع لهم من صدقات الناس يأخذه السَّجَّان وأعوان الوالي[1]. ويصف المؤرخ الغربي جيل الراعي الذي زار مصر سنة 853هـ/1450م حال المساجين وهم يتسولون في الطُّرقات قائلاً: "ويرى المرء أحياناً في الطريق ثلاثة أو أربعة رجال مقيدين بسلسلة حديدية مشدودة إلى وثن بحرسهم، وهم لصوص يستجدون الناس، وقد فرض عليهم السلطان أن يدفعوا إليه مدنيين أو ثلاث كل ليلة، فإن لم يدفعوها ضُربوا، وبينما هم يستجدون الناس لا يتورعون عن سرقتهم إذا أتيحت لهم فرصة حتى ينجوا من العقاب الذي يتوعدهم بالليل" [2].

وكانت الدولة توزع عليهم في بعض الأحيان طعام مما يجمع من المصادرات، فعرف عن البدر العيني حينما كان محتسب القاهرة أنه يُعزِّر من يخالف أمره بمصادرة بضاعته وإطعامها للفقراء والمحابيس[3].

أما المساجين الذين في سجون القلاع وهم من الأمراء فقد كان القائمون على سجنهم هم من يقومون بتقديم الطعام لهم، وهو على الغالب الماء والخبز، وكان يُعين للمساجين خبازاً مهمته فقط تجهيز الخبز للمساجين[4].

وأرسل نائب الإسكندرية الأمير بكتوت الخزنداري[5] للأمير أيدمر الخطيري أثناء اعتقاله في سجن الإسكندرية سنة 709هـ/1310م إناءً كبيراً جداً من الماء ورغيفاً يزن عدة أرطال[6] ليتقوت به عدة أيام، وذلك خشية أن يقوم السلطان بمنع الطعام عنه حتى الموت[7]، وأُجري لأبي الخير النحاس كل يوم رغيف بعدما ضُيِّق عليه في سجنه بطرسوس[8].

1 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص328.

2 - فولكف: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص108.

3 - السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص132.

4 - عباس: شذرات من كتب مفقودة، ج2، ص450.

5 - الخِزندار: لقب للذي يتحدث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما، وهو مركب من خزانة، وهي ما يخزن فيه المال، وكلمة دار ومعناها ممسك، والمقصود ممسك الخزانة. دهمان: معجم الألفاظ، ص78.

6 - كان الرطل في ذلك الوقت يزن 140 درهماً / 437.5غم. هنتس: المكاييل والموازين، ص31.

7 - المقريزي: المقفى، ج2، ص366.

8 - سبط ابن العجمي، كنوز الذهب، ج2، ص233.

وعندما كان الأمير حسام الدين في جب قلعة بعلبك كان يُنزل إليه في كل يوم قليل خبز وقليل من الماء وربما أنزل إليه جرزة بقل، وقد حرُم هذا الأمير من الطعام والماء مدة مـــن الزمن ولكن الذي ساعده هو أنه كان يخزن قليل من الخبز والماء في جرة كانت عنده وحدث ذلك في حدود سنة 641هـــ/1243م [1].

ولكن في المقابل حصل بعض المُعتقلين على امتيازات في الطعـــام والـــشراب أثنـــاء اعتقالهم كما حدث في سنة 671هـــ/1273م حينما اعتقل السلطان الظاهر بيبرس رجلاً يدعى الشيخ خضر، واتهم بممارسة الزنى واللواط وفساد الأخلاق، ووضعه في سجن انفـــرادي لا يرى فيه أحداً، وكان يقدم له الأطعمة والأشربة الفاخرة والملابس والفواكه، وذلك أنـــه كـــان يخبر السلطان بأمور مستقبلية تحدث له، ولما ثبت عليه الدليل لاعتقاله وأراد السلطان عقابـــه قال له: "يا بيبرس أنا أعلم أن أجلي قد اقترب وكذلك أجلك، وأن بيني وبينك مدة قصيرة، فأينا مات منا قبل الآخر لحقه صاحبه بعد أيام"[2].

وكذلك حظي الأمير قطلقتمر بإمكانية شرب الخمر في سجنه، وظهر ذلك مـــن خـــلال حادثة وفاته، فقد قام ليبول وهو في سجنه فسقط من طاق في المكان فمات سكراناً، ودفن في صبيحة ذلك اليوم من غير غسل ولا صلاة[3].

ويظهر أن المساجين كانت تشتهي أنواع الطعام الأخـــري حتـــى أن مجموعـــة مـــن المساجين في خزانة الخاص بقلعة القاهرة قامت بزراعة البصل في قصريتين وقاموا برعايتها وسقايتها بالماء وذلك سنة 791هـــ/1389م[4].

الملابس:

ويظهر أن السجين يبقى في ملابسه التي اعتقل فيها داخل السجن، فنرى فـــي حادثـــة الإفراج عن الأمير شيخون من سجن الإسكندرية يذكر: "وقلع عنه ثياب السجن وهي ملّوطـــة طرح محرّر"[5]، والملوطة رداء واسع الكمين طويلهما يلبس فوق لبـــاس يـــسمى الفرجيـــة،

---

1 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ص186.

2 - ابن أيبك: الدرة الزكية، ص223.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص154.

4 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص271.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص260.

وكانت تصنع أحياناً من الحرير الخالص أو الكتان الرقيق، وكانت لباساً قومياً فـــي عـــصر المماليك[1].

المعاشرة الزوجية:

أما عن اتصال السجين بزوجته فعادة لا يستطيع السجين أن يتصل بأهلـــه ولا يجـــامع زوجته أو جاريته في السجن، فنجد أن آل مهنا عند خروجهم من سجن الأشرف خليل شـــكوا احتياجهم الى النساء[2].

وكان من النادر أن تمكث الزوجة مع زوجها في سجنه، ويكون الأمر حينها أن يحجز الأمير المسجون مع عائلته في برج من الأبراج وعليه حراسة مشددة ويمنع من الخروج، أو يدخلون إليه زوجته أو جاريته فيقضي حاجته معها ثم تخرج، ونذكر على سبيل المثال:

لجأ السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى وسيلة للقضاء على أمل الفاطميين بالعودة إلـــى الملك مرة أخرى فقام بحبس الأمراء الفاطميين بعد وفاة العاضد، وفرَّق بين الرجال والنـــساء حتى لا يحصل منهم نسل فينتهي ذكرهم[3]، واحتال البعض فأدخلوا إلى داود بن العاضد فـــي الحبس جارية في زي مملوك، فحبلت، ثم حُملت الجارية إلى الصعيد فولـــدت ولـــداً اســـمه سليمان[4].

وعند اعتقال الأمير كراي المنصوري بقلعة الكرك أرسل إليه السلطان مـــن يخدمـــه، وجهز إليه جارية[5] سنة 811هـــ/1409م [6]، وكذلك اعتُقل الخليفة المستكفي بالله العباســـي مع عياله في برج بقلعة القاهرة في زمن السلطان الناصر محمد سنة 736هـــــ/1336م [7]، واعتقل ابن عمّه إبراهيم في برج بجواره مع عياله أيضاً [8].

---

1 - عاشور: العصر المماليكي، ص476.

2 - الصفدي: أعيان العصر، ج5، ص465.

3 - المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص347.

4 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج47، ص270.

5 - الصفدي: أعيان العصر، ج2، ص210.

6 - ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص252.

7 - جاندار: جندي، وكان من مهام الجاندارية تسلم الأمراء المقبوض عليهم وإيداعهم في السجن. العمـــايرة: المعجم العسكري المملوكي، ص85.

8 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص115.

وسُمح للملك العزيز يوسف أن ترافقه ثلاث جواري لخدمته في سجن الإسكندرية سـنة 843هـ/1439م [1]، وكذلك كانت زوجة الأمير تنم المحمودي تؤانسه في سجنه، حتى ولـد لهم في السجن ابنهما فرج سنة 865هـ/1461م[2]، وفي سنة 904هـ/1498م اعتقل الملـك الظاهر قانصوه الأشرفي وأُرسل إلى الإسكندرية ووُضع في البرج، واستمر محبوساً 17 سنة، وولد له هناك أولاد[3] مما يعني أنه كان يسمح لزوجته بالدخول إليه.

الرعاية الصحية:

كان حال السجن في غالب الأحيان سيئ من الناحية الصحية، فكانت من يـسجن فـي خزانة شمايل يقاسي شدائد عظيمة من البق والبراغيث [4]، وكان حبس المعونة شنيع المنظر، يشم من يمر بجواره رائحة كريهة، ويسمع صراخ المسجونين وشـكواهم الجـوع والعـري والقمل[5].

وكثيراً ما كان السجناء يصابون بالأمراض التي يسببها طول المكوث في السجن، فقـد أصيب بكتوت القرماني بحدبة في ظهره انحنى ظهره منها خلال مـدة اعتقالـه مـن سـنة 726هـ/1325م حتى 734هـ/1333م[6].

وأحياناً كان يُشدَّد على السجين، ويهمل إهمالاً متعمداً انتقاماً منه، فيُثقَّل بالحديـد فـي رجليه وبالخشب في يديه كما حدث مع ابن المشطوب أثناء اعتقاله في قلعة حـران، فانتـشر القمل في رأسه ولحيته [7]، وبقي على هذا الحال سنين حتـى تـوفي فـي الاعتقـال سـنة 619هـ/1222م[8].

وقدم لنا الرَّحالة الأوروبيون أوصافاً عن حال سجون القلعة فقال أحدهم: يرى الإنسان أحباساً وسجوناً، وهو في الوقت الحاضر عفن نتن حيث تُساء معاملة المسجونين المـساكين

---

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص333.

2 - السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص168.

3 - الصرفي: تاريخ دول الإسلام، ج3، ص88.

4 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص63.

5 - المصدر نفسه، ج3، ص186.

6 - العسقلاني: الدرر الكامنة، ج2، ص26.

7 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7، ص148.

8 - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص181.

المقيدين بالسلاسل والمشدودين بالحديد إلى كتل الخشب، وإذا لم يمنحوا صدقات، فسوف يكون مآلهم الموت جالسين على أرض رطبة وعلى القاذورات التي تتكوم في كل مكان [1].

وكثيراً ما كان يتعرض السجين إلى الإهمال الصحي إلى أن يتوفى، فقد أصـــيب ابـــن النويري بالإسهال الشديد، وقاء دماً، أثناء مدة حبسه في سجن حلب، وبقي ملقى علـــى بـــاب السجن في أسوأ حال والناس ينظرون إليه أفواجاً حتى توفي في سنة 853هـــ/1449م مـــن دون أن يعالجه أحد، وأخرج إلى المارستان بعد وفاته ليغسل ويصلى عليه[2].

وحدث مرة أن الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي حينما كـــان محبوســـاً فـــي ســـجن الإسكندرية ظهرت في رأسه سِلعة[3]، فطالب بإجراء عملية جراحية له لقطعها، فرســـم لـــه السلطان بذلك، فقطعوها، فمات في الاعتقال بالإسكندرية سنة 736هـــ/1336م [4]، وقيـــل أن السلطان بدلاً من أن يسمح للمُزيِّن بقطع السلعة أرسل مقدم الرماة ليقتله[5].

ولكن من ناحية أخرى اعتنى بعض السلاطين بالسجناء وقدموا لهم العناية الصحية، فقد أوصى السلطان قلاوون عند خروجه للغزاة على المُعتقلين في قلعة القاهرة من الأمراء، وأكد على ولي عهده مباشرة القلعة بالليل والنهار، وتوفير ما يترتب لهم من طعام وشراب وتفقـــد مرضاهم "المتحقق مرضه"، وذلك عن طريق أطباء الخدمة، وأمر بتوفير ما يحتاجون إليه من كسوة "بل تفاض عليهم من أوانها"[6]، وقد اتخذ حينها في كل قلعة طبيب بمال معلوم من بيت المال مهمته تطبيب الأمراء وأهل القلعة عند المرض[7]. ويعتبر السبكي (ت771هـــ/1369م) أن واجبات السَّجَّان الرفق بالمحبوسين، ولا يمنع المحبـــوس مـــن شـــم الريـــاحين إن كـــان مريضاً[8].

أما عن الحمامات ودورات المياه ومكان البول والبراز في السجن، فقد كانـــت أبـــراج القلاع مجهزة بدورات المياه، كما هو الحال في أبراج قلعة القاهرة ومنها برج كركليان الذي بني في عهد الملك العادل الأيوبي، ومن خلال الوصف الهندسي للبرج يقول الباحـــث خالـــد

---

1 - فييت، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ص236.

2 - سبط ابن العجمي، كنوز الذهب، ج2، ص215.

3 - السِّلْعَةُ زيادة تحدث في الجسد فقد تكون من مقدار حمصة إلى بطيخة. (الثعالبي: فقه اللغة، ص102).

4 - الصفدي: أعيان العصر، ص166.

5 - المقريزي: المقفي، ج2، ص245.

6 - حسين: التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ص256.

7 - السبكي: معيد النعم، ص22.

8 - المصدر نفسه، ص142.

عزب أنه "يوجد ممر ضيق يفتح على الذراع الشمالي من التخطيط المتعامد عند نهايته دورتي مياه"[1].

وفي وصف برج الصفة في قلعة القاهرة يقول: "وهو يتكون من قاعة محاطة بأربعة إيوانات مختلفة الأعماق، مع وجود دورات مياه بهما"[2] وكذلك الحال في برج الصحراء حيث يقول: "قاعة كبيرة مستطيلة مغطاة بقبو مدبب تفتح من جهة الجنوب بشباك يطل على داخل القلعة، ملحق بها دورة مياه، وبالجهة الغربية من الممر بابين، أحدهما يصعد منه إلى ممر منكسر عند ناحية الشمال حيث يؤدي إلى قاعة كبيرة ملحق بها دورات مياه"[3].

وإذا لم يوجد في البرج دورات مياه كان المساجين يستخدمون حمامات تسمى المرتفق، خارج برج الاعتقال، ففي قصة اعتقال آل مهنا[4] الذين اعتقلوا في أحد أبراج القلعة، يقول الأمير مظفر الدين موسى بن مهنا: "لما كنا في الاعتقال كان عمي محمد بن عيسى مغري بدخول المرتفق والتطويل فيه، وكان المرتفق مقارباً لدور حريم السلطان أو لبعض الأمراء، فقلت له في ذلك فقال: يا ولد مهنا، لعلي أسمع خبراً من النسوان، فإنهن يتحدّثن بما لا يتحدث به الرجال"[5].

التواصل مع المجتمع الخارجي:

كان يتاح في بعض الأحيان للسجناء بمكاتبة من في خارج السجن فقد كتب الناصر داود إلى ابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو محبوس عنده بالكرك:

وإذا مَسَّكَ الزَّمان بضُرٍّ	عظمت عنده الخُطوب وجلَّت
وتوالت منه نوائب أخرى	سئمت عندها النفوس وملَّت
فاصطبر وانتظر بلوغ الأماني	فالرزايا إذا توالت تولَّت

فكتب إليه الصالح يشكره أبيات شمس المعالي قابوس وشمكير:

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا	هل حارب الدَّهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف	ويستقر بأقصى قعره الدرر

1 - سور وقلعة صلاح الدين، ص 82.

2 - عزب: سور وقلعة صلاح الدين، ص72.

3 - المرجع نفسه، ص88.

4 - آل مهنا: أمراء العرب في الشام، غضب عليهم السلطان الأشرف خليل بن قلاوون واعتقلهم بالقلعة ثم أفرج عنهم. الصفدي: أعيان العصر، ج5، ص465.

5 - العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص318.

وإن تكن عبثت أيدي الزمـــان بنـــا   وما لنا مـــن تمـــادى بوســـه ضـــرر
ففي الــسماء نجــوم لا عمـــاد لهـــا   وليس يكسف إلا الــشمس والقمــر[1]

وكان المُعتقلون يستقبلون رسائل من خارج السجن، ومن ذلك ما كتبه بعــض الأدبـــاء لابن المشطوب يواسيه في سجنه بقلعة حران:

يا أحمد ما زلـــت عمـــاداً للـــدين   يا أشجع مـــن ملـــك ســـيفاً بيمـــين
لا تيئس إن حصلت في ســـجنهم   يوسف قد أقام في السجن ســـنين[2]

وفي سنة 796هـ/1394م أرسل الأمير الشريف العنابي رسالة إلى شيخ عرب العائد[3] ويدعى موسى بن محمد بن عيسى العائدي -وكان في السجن- يطلب منه مساندته برجال من عشيرته للخروج على السلطان، وكان مضمون الرسالة: "يا موسى أرسل إليَّ عربك يجتمعوا ويعسكروا قرب القاهرة، فإذا جاز السلطان قطية[4] أركب أنا ومن معي من المماليك فنملـــك القاهرة وتخلص من الحبس ونتساعد على ذلك فإذا غلبنا قررنا سلطاناً نتفق عليه، وأستقر أنا خليفة وأحمد بن قايماز أتابك العساكر"، ولكن شيخ العرب لم يوافق وأوصـــل الورقـــة إلـــى الوالي، الذي سلَّمها للسلطان فأمر السلطان بالقبض على الشريف العنابي وقتله بعدما اعترف بالواقعة[5].

وهذا يدُل على أن السجناء كانوا يحق لهم رؤية أهليهم وخواصهم من خلال الزيـــارة، حيث إن الشريف العنابي لو لم يكن متأكداً بأن الرسالة سوف يُرسلها شيخ العرب إلـــى أيـــدٍ أمينة لتصل إلى قبيلته، ما كان ليعرض نفسه للخطر ويرسل له رسالة بخطه، ولكـــن شـــيخ العرب أحب أن تكون له يدٌ عند المماليك ليخرج من السجن فأفشى سر الشريف العنابي.

---

1 - المقريزي: السلوك، ج1، ص92.

2 - اليافعي: مرآة الجنان، ج4، ص35.

3 - عرب العائد: وهم بطن من جزام من القحطانية ومن أقدم القبائل العربية في مصر، وقـــد ســـكنوا فـــي المنطقة الممتدة بين بلبيس والعقبة بفلسطين وكانوا يتولون حراسة القوافل في هذه المنطقة. السيد: تاريخ القبائل العربية، ص54.

4 - قطية: قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما، بيوتهم صرائف من جريد النخل وشربهم من ركية عندهم جائفة ملحة ولهم سويق فيه خبز إذا أكل وجد الرمل في مضغه فلا يكاد يبالغ في مـــضغه، وعندهم سمك كثير لقربهم من البحر. ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص378.

5 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص471.

وربما كان يسمح للزوار بزيارة المساجين، فقد كان أحد أشراف الإسكندرية يسمى الشريف السرسنائي يتردد إلى حصن الدين بن ثعلب [1] لتأنيسه وقضاء حوائجه في سجنه، ولكن نهايتهما كانت القتل بعد فرار ابن ثعلب من السجن سنة 663هـ/1264م واتهام السرسنائي بمساعدته[2].

ونذكر قصة عن حديث أحد الزوار مع أحد المُعتقلين، فقد دخل ابن واصل قلعة القاهرة وكان فيها ولدان من أبناء الخليفة الفاطمي العاضد محبوسين، يقول ابن واصل: "وكان أحدهما واسمه القاسم قد بلغه أني صنفت تاريخاً فيهم، وأن بعضهم قال أصلهم يهود، فطلعت يوماً إلى القلعة المحروسة، ودخلت على باب الحبس، والقاسم هذا قاعد على الباب، فسأل عني، فعرف بي، فاستدعاني فأتيته، فقال: أنت ذكرت أن نسبنا يرجع إلى اليهود فخجلت منه وما أمكنني إلا الاعتراف، وأحلت الأمر على قول المؤرخين"[3].

وفي أحيان أخرى يكون السجين في معزل عن المجتمع، ولا تصله الأخبار إلا باستراق السمع والبصر، فعندما حبس آل مهنا في القلعة في زمن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون كانوا يسألون السَّجَّانين عن الأخبار فلا يخبرونهم بشيء، وكان لهم صاحب من العرب، كان يقف قبالة البُرج الذي هم فيه ويومئ إليهم بالإشارات، وفي أحد الأيام جاء صاحبهم وأومأ ثم مدّ يده إلى التراب وصنع فيه هيئة قبر ونصب عليه عوداً، عليه خرقة صفراء كأنها صنجق سلطاني ثم نكسها وقعد كأنه يبكي، ثم وقف قائماً ورقص، فعلموا بذلك أن الملك الأشرف خليل قد مات، فلما فُتح عليهم في اليوم التالي سألوا السَّجَّانين فأنكروا، ثم اعترف بعضهم[4].

---

1 - الأمير حصن الدين ثعلب أمير الجعافرة ورئيس القوم الذي أنف من سلطنة المماليك الأتراك وثار في سلطنة الملك المعز أيبك التركماني وكاتب الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق، وجمع عربان مصر، فخرجت إليه المماليك وحاربوه فقبض عليه وسجن بالإسكندرية حتى شنقه الظاهر بيبرس. المقريزي: البيان والإعراب، ص24.

2 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص323.

3 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج5، ص682.

4 - العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص318.

أحوال المساجين وقت المجاعات:

في سنة 639هـ/1241م حدثت مجاعة بمصر في عهد الصالح أيوب، واشتد الغلاء، ومات كثير من الناس جوعاً، ومات شخص بالسجن فأكله أهل السجن من شدة الجوع[1].

وفي سنة 774هـ/1373م اشتد الغلاء وانتشر الموت في الفقراء من شدة البرد والجوع والعري وهم يستغيثون فلا يغاثون، وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخال عجزاً عن خبز القمح، أما المساجين فقد رمى طين بالسجن لعمارة جدار به فأكله المسجونون من شدة جوعهم[2].

وفي أوقات المجاعات والغلاء كان السلاطين يأمرون بإطعام المساجين كما حدث في سنة 798هـ/1396م حين حدث غلاء فاحش فأمر السلطان بعمل الخبز من عشرين إردباً[3] من القمح ووزعت على فقراء القاهرة ومصر وأهل السجون وسكان القرافة[4].

كما كان يُلزم أرباب الديون بمؤونة المدينين من المساجين، ففي المجاعة التي حدثت سنة 839هـ/1435م بمصر كتب القاضي على ورقة اعتقال مدين: "يعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة"، وعندما اشتد الغلاء والمجاعة أُفرج عن المساجين من كثرة شكواهم من الجوع[5].

وفي مجاعة سنة 822هـ/1419م خرج السلطان ومعه العلماء والعامة ونصبوا المطابخ السلطانية وذبحوا 150 كبشا سميناً و10 بقرات وجاموستين وجملين وفرقوها على الجوامع والخوانك والزوايا والفقراء، وبعث إلى السجون عدة أرغفة وقدور أطعمة[6].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج1، ص424.

2 - المصدر نفسه، ج4، ص375.

3 - الإردب: مكيال مصري للحنطة، ويتألف من 6 ويبات كل ويبة 8 أقداح كبيرة أو 16 قدحاً صغيراً، ومن الصعب تحديد الإردب بدقة. هنتس: المكاييل والأوزان، ص58.

4 - المقريزي: السلوك، ج5، ص385.

5 - المصدر نفسه، ج7، ص305.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج7، ص357.

قضاء الوقت:

كان المساجين يعملون على تمضية أوقاتهم في السجن في أعمال مختلفة ومنها:

العبادة والصلاة:

كان من السجناء من يشغل وقته بالذكر وقراءة القرآن، فكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقرأ القرآن ويصلي في سجنه عندما اعتقله الصالح إسماعيل سنة 638هـ/1240م بعدما اعترض عليه بسبب مهادنته للفرنجة، ثُمَّ أفرج عنه بواسطة فرنجي كان رآه وسمع قراءته، وهو فِي خيمة مُرَسَّماً عَلَيْهِ، فسأل عنه فقيل لَهُ: هذا كبير المسلمين، فأنكر أن يعامل مثلُه بمثل ذلك. فأفرج الصالح عنه[1].

وعُرف عن عماد الدين إسماعيل ابن السلطان الناصر محمد أثناء فترة سجنه بقوص بالعفة والتدين والصلاة الدائمة وقراءة القرآن وصيام الاثنين والخميس حتى خرج سنة 742هـ/1341م، وكذلك كان خير بك الأشرفي حينما كان معتقلاً بقلعة دمشق[2].

التسلية بالألعاب:

وكان منهم من يقضى وقته في الألعاب والتسلية، فعندما أُدخل ابن تيمية سجن الديلم بالقاهرة وجد السجناء مشتغلين بأنواع من اللعب يلتهون بها عما هم فيه كالشطرنج والنرد، ونحو ذلك من تضييع الصلوات، فأنكر عليهم الشيخ ذلك، وبدأ يأمرهم بملازمة الصلاة والأعمال الصالحة حتى صار السجن مدرسة، وصار جماعة من المفرج عنهم يعودون إلى السجن لزيارة الشيخ وأخذ العلم عنه حتى كثر المترددون وامتلأ السجن منهم[3].

كما لعب السجناء في حبس باب البريد في دمشق لعبة تسمى "الطاب والدك"[4].

التأليف والكتابة:

كان بعض المساجين يشتغلون بالكتابة إذا توفرت لهم أدوات الكتابة:

فقد كتب الكاتب إسماعيل بن حامد معجماً هائلاً في أربع مجلدات ضخمة، صنفه وهو في سجن بعلبك في القلعة لأن الصالح إسماعيل غضب عليه وسجنه واسم كتابه "بغية الراجي

---

1 - العسقلاني: رفع الإصر، ص240.

2 - السخاوي: الضوء اللامع: ج3، ص207.

3 - الألوسي: غاية الأماني، ج2، ص238.

4 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص395.

ومنية الآمل في محاسن دولة السلطان الملك الكامل"، وصنف أيضاً "الدر الثمين في شرح كلمة آمين"، صنفه للملك الكامل رجاء أن يطلق سراحه[1].

وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية في سجنه رسالة في "الرد على الأخنائي" وهو القاضي عبد الله بن الأخنائي الذي كتب في موضوع زيارة القبور وخاصة قبر رسول الله r بما يخالف عقيدة ابن تيمية، فرد عليه ابن تيمية وهو في الحبس برسالة أثبت فيها أن هذا القاضي المالكي قليل البضاعة في العلم ضعيف الحجة، يقول بما لم يقل علماء السلف، فغضب القاضي، واشتكى إلى السلطان، فأصدر السلطان مرسوماً بمصادرة جميع ما عند الشيخ من أدوات الكتابة والكتب حتى لا يبقى عنده ما يستعين به في التأليف والكتابة، وفي غرة رجب 728هـ/1327م أرسلت جميع مسوداته وأوراقه من المحبس إلى المكتبة العادلية الكبرى، وكان ذلك نحو 60 مجلداً من الكتب، و14 ربطة كراريس التي كان يشتغل بها دراسة وتأليفاً[2].

وكان الأمير علم الدين سنجر الجاولي ينسخ القرآن وكتب الحديث وغيرها أثناء مدة اعتقاله التي بلغت أكثر من ثماني سنوات وانتهت بالإفراج عنه سنة 728هـ/1327م [3].

كما أملى الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري رسالة في مسألة رفع اليدين في السجود، ومسألة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة ورسالة في الإمامة[4].

وكان الشمس البساطي في سجن حماة يكتب لأصحابه بخطه بعدما انقطعت مكاتباتهم عنه، وذلك سنة 814هـ/1412م [5].

وكتب أبو الخير النحاس في سجنه بطرسوس ربعة ومصحفاً عظيمين سنة 854هـ/1450م ، وأرسلهما إلى السلطان ليرق له، فأطلقه فرجع إلى طرابلس، ثم إلى مصر[6].

---

1 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص65.

2 - العلي: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص300-301.

3 - المقريزي: السلوك، ج3، ص110.

4 - السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص97.

5 - المصدر نفسه، ج7، ص8.

6 - سبط ابن العجمي، كنوز الذهب، ج2، ص233.

الشعر:

وكان بعض السجناء يسلي نفسه ويواسي زملاءه بالشعر، فقد أنشد وُدَي بن جماز الحسني أمير المدينة المنورة عندما كان محبوساً في مصر سنة 729هـ/1328م قصيدة مطلعها:

أنا ابن الكرام الطيبين بنـــي عمــر ومن بهم في الجدب يستنزل المطـــر
ومن لهم فـــي فـــضلهم ولجـــدهم ضجيع النبي المصطفى حسن الـــسير [1]

وكانت هناك مراسلات شعرية بين شرف الدين النابلسي الناسخ عندما كان في السجن، وبين الكاتب صلاح الدين الصفدي، حيث يخبر الصفدي بنفسه قائلاً: "وكان قد كتب إلـــيَّ – شرف الدين عيسى بن المحب النابلسي- من السجن وأنا بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وســـبع مئة:

يعز على عيـــسى وجـــود خليلـــه بمصر وعيسى بات في قبضة السجن
فيا نار أشواقي تلظت بهـــا الحـــشا لم يطفها من مقلتـــي واكـــف المـــزن
ويا حسرتا لو فزت يوماً برؤية الـــ محيا الذي أزرى على البدر في الدجن
أمولاي إني قـــد ســـمعت فـــضائلاً ظهرت بها في مصر في غاية الحسن
فسارت بها الركبان في ساحة الفلا وغنى بها الملاح إذ صار في الـــسفن
لقد فقت فرســـان البلاغـــة كلهـــم وما أحداً عن ذاك في مصر أســـتثني
عسى نفثة مـــن در شـــعر نظمتـــه أحلي بها جيـــدي إذا شـــنفت أذنـــي

فكتبت أنا إليه:

خليل أتى مصراً وعيسى محجـــب من الدهر في سجن فلا كان مـــن كـــن
لئن كان فـــي ســـجن فكـــل مهنـــد إذا ادخروه للـــردى بـــات فـــي جفـــن
في زهـــر روض حجبتـــه كمامـــه عسى تتفرى عنه فـــي ذروة الغـــصن
حنانيك إني فيك من شـــدة الأســـى نقمت الرضى حتى على ضاحك المزن
فصبراً على ما قـــد منيـــت كأنمـــا الزمان على الأحرار مثلـــك ذو ضـــغن
فقد يخرج الإصباح من ظلمة الدجى وقد تطلق الصبهاء مـــن حـــرج الـــدن
كأني بذاك الوجـــه يبـــدي نـــضارة وقد برقعتـــه بالحيـــا راحـــة الحـــسن

---

1 - العسقلاني: الدرر الكامنة، ج6، ص147.

وقالت لك الأيـــام وهـــي جـــديرة   بكـــل قبـــيح أن تخـــون وأن تجنـــي
أعيسى لقد شاركت في الحسن يوسفاً   فشاركه أيضاً في الدخول إلى السجن[1]

كما أنشد الشيخ ابن تيمية أبيات من الشعر ليواسي زميله في سجن دمشق عمر بن عمران بن صدقة البلالي وهي:

تفكـــرن وثـــق بـــالله إن لــــه   ألطافاً وقت على الأذهان والفطـــن
يأتيك من لطفه مـــن لـــيس تعرفـــه   حتى تظن الذي قد كـــان لـــم يكـــن [2]

وكان الشعر أحياناً سبباً في إطلاق سراح قائله، فعندما أنشد الصلاح الأربلي أبياتاً من الشعر في مدح الملك الكامل صاحب مصر عندما كان في ســجنه ســنة 623هـــ/1226م، وأملاها على بعض المطربين فغنى بها عند الملك الكامل، استحسنه الكامل وأمــر بإطلاقــه والإحسان إليه، وكان مما قاله:

ما أمر تجنيك على الــصب خفـــي   أفنيت زمـــاني بالأســـى والأســـف
مــــا ذاك بقـــدر ذنبـــي ولقـــد   بالغـــت فمـــا قـــصدك إلا تلفـــي

وقيل إن من هذه الأبيات:

اصنع ما شئت أنت أنت المحبـــوب   ما لي ذنب، بلى كما قلـــت ذنـــوب
هل يسمح بالوصـــال فـــي ليلتنـــا   يجلو صدا القلب ويعفـــو، وأتـــوب [3]

ولكن في حالات أخرى لم ينجح الشعر في الشفاعة لصاحبه، ففي سنة 759هــ/1358م أرسل الأمير صرغتمش بن عبد الله الناصري من سجنه بالإسكندرية كتاباً إلى الملك حـــسن يتخضع فيه وفي أوله:

قلبـــي يحـــدثني بأنـــك متلفـــي   روحي فداك عرفتَ أم لـــم تعـــرفِ

فلم يلتفت الملك الناصر لكتابه وأمر بقتله فقُتل[4].

---

1 - الصفدي: أعيان العصر، ج3، ص719.

2 - العسقلاني: الدرر الكامنة، ج4، ص213.

3 - النويري: نهاية الأرب، ج29، ص134.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص328.

استخدام المساجين في الأعمال الشاقة:

وكان المساجين والأسرى يستخدمون للعمل في الأشغال الشاقة كالحفر وتشييد العمائر، تحت إشراف الأعوان والسَّجَّانين الذين يباشرونهم ويستحثونهم على العمل[1]، فقد استخدم السلطان صلاح الدين الأيوبي الأسرى الصليبيين في أعمال حفر الخنادق وقطع الحجارة وبناء الأسوار ومن ذلك:

بعد فتح حصن بيت الأحزان سنة 575هـ/1179م جمع السلطان صلاح الدين الأسرى فقتل جماعة ممن يستحق القتل بعد أن عرض عليهم الإسلام ورفضوا، واستخدم حوالي 100 أسير في أعمال الحفر وقطع الحجارة[2].

كما استخدمهم في حفر خندق عميق وإنشاء سور حول القدس بعد فتحها سنة 583هـ/1187م، فقد أحضر من أسرى الإفرنج حوالي ألفين، ورتبهم في ذلك، وجدد أبراجاً حربية من باب العمود إل باب المحراب (المعروف الآن بباب الخليل)، وأنفق عليها أموالاً جزيلة وبناها بالأحجار الكبار وكان الحجر يقطع من الخندق ويستعمل في بناء السور[3].

واستخدم السلطان الناصر محمد المساجين عمالاً بالسخرة لبناء اصطبل[4] في بركة الفيل، حيث استمر العمل فيه أكثر من عشرة أشهر[5]. وفي سنة 713هـ/1313م أسر الملك الناصر محمد عدداً كبيراً من عربان الصعيد بعد أن خرجوا عليه، وسجنهم واستخدم بعضهم في حفر الجسور[6]، وفي سنة 730هـ/1329م بدأ الأمير قوصون ببناء جامع قوصون بالقاهرة باستخدام الأسرى[7].

نقل المساجين:

كان يتم نقل المساجين من سجن إلى آخر إما في أقفاص أو راكبين على الدواب، أو مشياً على الأقدام، أما عن نقل المساجين في قفص، فقد أرسل الملك العادل بن الكامل صاحب

---

1 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص328.

2 - الأصبهاني: البرق الشامي، ج3، ص175.

3 - الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص362.

4 - الإصطبل: مجموعة من المباني يبنيها الأمير لسكنه وسكن أسرته ومماليكه وخيوله. عاشور: العصر المماليكي، ص413.

5 - الصفدي: أعيان العصر، ص209. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص217.

6 - سليم: عصر سلاطين المملاليك، ج2، ص306.

7 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص108.

مصر إلى الناصر داود يطلب منه أن يبعث إليه بأخيه الصالح أيوب المسجون في الكرك في قفص حديد وذلك في سنة 637هـ/1239م، ووعده مقابل ذلك أربعمائة ألف دينار، ويعينه حاكماً على دمشق وحلف على ذلك، ولكن الناصر داود رفض واتفق مع الصالح أيوب[1].

وفي بعض الأحيان كان الحراس يعبرون بالسجناء في طرقات البلد وينالهم العوام بالأذى، كما حدث سنة 854هـ/1450م مع أبي الخير النحاس حين اعتقاله وتوجهه إلى بيت القاضي، فقد أخرجه نقيب الجيش من داره ماشياً، وقد ازدحم الناس على بابه للتفرج عليه والفتك به، فحماه الحرس منهم، وانطلقت الألسن إليه بالسب واللعن والتوبيخ، وقد استطاع بعض العوام الوصول إليه وضربه ضرباً مبرحاً، حتى استطاع الحرس تخليصه منهم[2].

وعندما أمر السلطان بنقل أبي الخير النحاس من بيت القاضي الشافعي إلى بيت القاضي المالكي ليدعى عليه عند القاضي بدعاوٍ، أخذه والي القاهرة ومضى به وقد أركبه حماراً، وشق به شوارع القاهرة، والناس صفوف وجلوس بالشوارع والدكاكين ينظرون إليه، وهم بين شامت وضاحك، ثم نقل على حمار وفي رقبته جنزير إلى سجن الديلم [3].

وإذا أراد الحاكم الزيادة في إهانة المسجون كان يأمر بوضعه في زنجير ثقيل، ويذهب إلى السجن حافياً مكشوف الرأس[4].

أما عن كيفية نقل المساجين من مدينة إلى أخرى، فقد كان ينقل الأمراء المساجين من سجن قلعة القاهرة متوجهين إلى سجن الإسكندرية راكبين على البغال حتى يتم توصيلهم إلى نهر النيل[5] وكانت العادة تجري بأن الأمراء المُعتقلين يركب خلفهم أوجاقي[6] بسكين[7] وهم مكبلون في الحديد حتى يصلون إلى النيل ثم يركبون مركب يسمى "الحراقة"[8] توصلهم إلى سجن الإسكندرية[9].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج1، ص398.

2 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص415.

3 - المصدر نفسه، ج15، ص418.

4 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص87.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص61.

6 - أوجاقي أو أوشاقي: وهو الذي يتولَّى أمور الخيل للسلطان. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص23.

7 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص392. السخاوي: التبر المسبوك، ج1، ص425.

8 - الحراقة: نوع من السفن فِيهَا مرامي نيران يرْمى بهَا الْعَدو فِي الْبَحْر وسفينة خَفِيفَة المر. المعجم الوسيط، ج1، ص168.

9 - المقريزي: السلوك، ج7، ص387.

كما كان يرسل السجناء من سجون مصر إلى سجون الشام أو العكس باستخدام خيل البريد ويوضع عليهم حرس حتى يصلون إلى السجن المراد نقلهم إليه[1]، ونجد في أحداث سنة 726هـ/1325م أن بكتوت القرماني حُمل من قلعة دمشق إِلَى القاهرة مُقَيّداً على البريد وَحمل منها إلى الإسكندرية ومعه اثنين من الأمراء المحبوسين فسجنوا بالإسكندرية[2].

وفي سنة 762هـ/1361م حُمل تسعة عشر أميراً مسجوناً على البريد مقيدين في الأغلال من مصر إلى الشام منهم الأمراء: بيدمر ومنجك واستدمر وجبريل وصلاح الدين الحاجب وحسام الدين وبلجك، وسار معهم نحو مائتي فارس لابسين السلاح لحراستهم[3].

وفي سنة 828هـ/1425م عطف الملك الأشرف برسباي على الأمير طرباي الظاهري المُعتقل بثغر الإسكندرية ورسم بإطلاقه لكن بشرط توجهه إلى القدس الشريف، فأخرج من الاعتقال، وتوجه مقدم البريدية وأوصله إلى القدس، ولم يدخل به القاهرة[4].

كما استخدمت السفن أحياناً لنقل المساجين من سجن الإسكندرية إلى سجون قلاع الشام عن طريق البحر، ففي سنة 805هـ/1403م أُخرج الأمراء المحبوسون في سجن الإسكندرية وهم نوروز الحافظى، وجكم من عوض، وسودون طاز، وقاني باي العلائي من سجن الإسكندرية وأنزلوا إلى السفن في البحر المتوسط، وسار بهم الحراس إلى البلاد الشامية، فحبس نوروز وقانى باي في قلعة الصّبيبة، وحبس جكم في حصن الأكراد، وحبس سودون طاز فى قلعة المرقب[5].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج5، ص256.

2 - المصدر نفسه: ج3، ص89.

3 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص330.

4 - الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص95.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص298.

ثالثاً: جهود تحسين أحوال السجون

وقد اهتم بعض السلاطين والأمراء بتحسين أوضاع السجون، فمنهم من هدمها كما فعل السلطان صلاح الدين الأيوبي حين هدم حبس المعونة بالفسطاط وحوله إلى مدرسة للفقهاء الشافعية أسماها المدرسة الناصرية سنة 566هـ/1170م [1].

وقام السلطان المنصور قلاوون منذ توليه السلطنة بهدم حبس المعونة بالقاهرة وبنى مكانها قيسارية العنبر سنة 680هـ/1281م ، وكان يمر بجوار حبس المعونة بالقاهرة في طريقه من بيته إلى قلعة الجبل في زمن دولة الظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م)، وكان يشم رائحة كريهة ويسمع صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعري والقمل، فجعل على نفسه نذراً إن جعل الله له من الأمر شيئاً أن يبني مكان هذا الحبس مكاناً طيباً [2].

وهدم السلطان المؤيد شيخ سجن خزانة شمائل سنة 818هـ/1416م ، وبنى مكانه مسجد المؤيد، وذلك بسبب أنه سجن فيها في دولة الناصر فرج بن برقوق (801-815هـ/1399- 1412م)، وقاسى بها مصاعب شديدة من الحشرات والبق والبراغيث[3]، فنذر لله إن خلص من هذه الشدائد، وصار سلطاناً أن يهدم هذا السجن ويبنى مكانه جامعاً[4].

كما قام الملك الناصر محمد بن قلاوون بهدم جب قلعة الجبل في سنة 729هـ/1328م وذلك أنّ شادّ العمائر نزل إليه ليصلح عمارته فشاهد أمراً مهولاً من الظلام وكثرة الوطاويط والروائح الكريهة، واتفق مع ذلك أن الأمير بكتمر الساقي كان عنده شخص يسخر به ويمازحه، فبعث به إلى الجب ودلي فيه، ثم أطلعه من بعد ما بات به ليلة، فلما حضر إلى بكتمر أخبره بما عاينه من شناعة الجب، وذكر ما فيه من القبائح المهولة، وكان شادّ العمائر في المجلس فوصف ما فيه الأمراء الذين بالجب من الشدائد، فتحدّث بكتمر مع السلطان في ذلك فأمر بإخراج الأمراء منه، وردم وعمّر فوقه أطباق المماليك[5].

---

1 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص201.

2 - المصدر نفسه، ج3، ص186.

3 - المواعظ والاعتبار، ج3، ص63.

4 - ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص6.

5 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص330.

وفي رمضان سنة 820هـ/1417م حاول الأمير فخر الدين عبد الغنيّ بن أبي الفرج الأستادار أن يخصص سجناً جديداً أفضل حالاً من سجن المقشرة بعدما سمع عما يعانيه السجناء فيه من شدّة الضيق وكثرة الغم، فعين قصر الحجازية ليكون سجناً لأرباب الجرائم، واستأجره بعشرة آلاف درهم عن أجرة سنتين، فشرع البناؤون في عمل سجن وأزالوا كثيرا من معالمه، ثم أُهمل ولم يتخذ سجناً[1].

كما نجد أن بعض السلاطين والأمراء كانت لهم عناية وشفقة على المساجين فعملوا على تحسين أوضاعهم، خاصة في وقت المجاعات، فقد أمر السلطان برقوق لما كثر الغلاء أن لا يحبس أحد على دين، وأُفرج عن المساجين[2].

وكان الأمير آنص العثماني الجركسي[3] إذا ركب ولقي في طريقه أحداً من المحابيس الذين يعملون في الأشغال الشاقة، يأخذه من حارسه ويطلقه في الحال من زنجيره، ولا يقدر أحد أن يردّه عن ذلك، لأنه والد السلطان برقوق، فأصدر السلطان برقوق أمراً أن لا يخرج المحابيس للأعمال الشاقة خوفا من أن يطلقهم، وكان إذا رأى أحداً منهم يسأل: هذا مسلم أم كافر؟ فيقولون له: مسلم؛ فيقول: كيف يفعل بمسلم هكذا في بلاد الإسلام! أطلقوه فيطلق في الحال [4].

وقد كان السلاطين والخلفاء والأمراء يتفقدون أحوال المساجين في المناسبات الدينية مثل شهر رمضان المبارك والأعياد، فكان من عادة بعض السلاطين في غرة رمضان أن تكتب له أوراق بأسماء المحبوسين، ويكون في ذلك فرج لمن يريد الله خلاصه[5].

وكان الظاهر برقوق (748-801هـ/1382-1396م) طوال مدة إمارته وسلطنته يذبح في كلّ يوم من أيام شهر رمضان المبارك خمس وعشرون بقرة، يتصدّق بها بعدما أن تطبخ،

---

1 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج3، ص130.

2 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص84.

3 - هو والد السلطان برقوق، قدم القاهرة وأسلم وحسن إسلامه وأقام بعد ذلك دون السنتين ومات. ومع هذه المدة القصيرة من إسلامه أظهر فيها عن دين كبير وخير وصدقات كثيرة ومحبّة لأهل العلم وشفقة على الفقراء وأهل الصّلاح. وكان لا يدّخر شيئا من المال، بل كان مهما حصل في يده فرّقه في الحال على الفقراء والمساكين. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص218.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص218.

5 - العيني: عقد الجمان، ص227.

ومعها آلاف من أرغفة الخبز النّقي، تفرّق على أهل الجوامع والمساجد والرّبط وأهل السجون، لكل إنسان منهم رطل لحم مطبوخ، وثلاثة أرغفة[1].

وكان الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله [2] يعطف على المساجين، فورد عنه أنه أنفق عشرة آلاف دينار ليفي بها دُيون من في السجون من الفقراء[3].

---

1 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص109.

2 - الظاهر بأمر الله: أبو نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد الهاشميّ العباسي البغداديّ. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص265.

3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص265.

رابعاً: أسباب الحبس

وقد اختلفت أسباب الحبس، ونقسمها إلى أربعة أقسام:

1- الحبس على خلفية جنائية.

2- الحبس على خلفية سياسية.

3- الحبس على خلفية الخلافات الفقهية والمذهبية.

4- الأسرى.

ونفصل الأنواع الأربعة على النحو التالي:

1- المساجين الجنائيون:

جرائم القتل:

في العهد الأيوبي حدثت عدد من حوادث القتل نذكر منها:

في سنة 601هـ/1205م قُتل فقيه دمشقي يعرف بالفقيه القزويني الزاهد بباب الكلاسة من جامع دمشق بيد إسماعيلي واجهه في الطريق وأظهر أنه يصافحه وضربه بسكين في خاصرته وهرب، فقبض عليه الناس وأوثقوا أكتافه وحملوه إلى والي دمشق المعتمد فحمل إلى السجن، فأقام بالسجن إلى أن مرض وحمل إلى المارستان فهلك[1].

وفي سنة 612هـ-1216م قام والي دمشق المبارز إبراهيم بن موسى المعروف بالمعتمد باعتقال رجل بتهمة قتل ولد صغير بدافع سرقة حلق ذهب كان في أذنيه، وقام الوالي بتعذيب الرجل ولكنه لم يُقر بالجريمة فأطلقه، ولكن أم الطفل بقي في قلبها حسرة على موت ابنها، فطُلقت من زوجها، وتزوجت الرجل المتهم، ثم بعد مدة قالت للرجل: ها قد ذهب الزوج والولد فهل أنت الذي قتلت الولد، فاعترف لها، وأخذها إلى المكان الذي دفنه فيه، فقامت بطعنه ودفنه في المقبرة وأخذت بثأر ولدها، ثم ذهبت إلى والي دمشق المعتمد، وروت له القصة، وذهب معها إلى مكان المقبرة، فأعجبه صنيعها وقال لها: خير ما فعلت[2].

---

1 - أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص50.

2 - المصدر نفسه، ص150.

وفي العهد المملوكي نذكر عدد من الحوادث:

في سنة 739هـ/1339م قُبِضَ على امرأة عرفت بالخنَّاقة وَأُعدمت[1] وكانت تستميل النساء وتمضي بهن إلى موضع توهمهن أَن بِهِ من يعاشرهن بفاحشة، وفيه رجال قد أعدَّتهم، فيقومون بقتل المرأة وأخذ ثيابها، فاشتهر بالقاهرة خبرها، فَمَا زَالَ بهَا الأمير علم الدّين سنجر الخياط والي القاهرة حتى قبض عليها وسمَّرها[2].

وفي سنة 755هـ/1354م اعتدى اللصوص على قاضي الحنفية بطرابلس شمس الدين بن نمر في منزله فقتلوه وأخذوا أمواله، فأمسكوا وسُمِّروا وطِيفَ بهم، ثم وسِّطوا [3].

وفي سنة 757هـ/1356م اعتقل أحد المماليك ويدعى "باي قجا" بعدما قتل الأمير شَيْخُو وَهُوَ بدار الْعدْل، وأمر السلطان بتسميره وتوسيطه. فسمر وطِيفَ بِهِ على جمل ثمَّ وُسِّط [4].

وفي سنة 769هـ/1367م قُبِضَ على جماعة من الجبلية استأجروا بستاناً بمرج الدحداح، وكانوا يستدعون إليه النساء الخواطئ وغيرهن بحيلة بمساعدة بعض النساء، فيقتلونهن ويأخذون ما عليهن من حلي وغيره، فقبض على رجل وامرأتين إحداهما اسمها عموم، فسُمِّروا على جمال وطِيفَ بهم[5].

وفي سنة 802هـ/1400م قُبِضَ على شخص يدعى شعبان ابن شيخ الخانقاه البكتمرية بسبب أنه خدع امرأة فخنقها في مقبرة، وسرق ممتلكاتها، واعترف بجريمته بعد أن ضرب ثم قُتِل بعد أن سُمَّر ثم وُسِّط[6].

وفي سنة 804هـ/1401م قُبِضَ على كثير من المفسدين بدمشق، ثم شنقوا بكلاليب معلقة في أفواههم وكانوا قد هجموا على الناس وأبادوهم قتلاً وخنقاً ونهباً ووجدت عندهم مسروقات من القماش، فأحضر بدار النيابة فصار من عرف شيئاً أخذه[7].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج3، ص251.

2 - المصدر نفسه: ج4، ص103.

3 - ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج3، ص60.

4 - المقريزي: السلوك، ج4، ص231.

5 - ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج3، ص314.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص103.

7 - المصدر نفسه، ج2، ص204.

وفي سنة 886هـ/1481م اعتقل الشريف الأكفاني الذي نُسب إليه تهمة قتل زوجته، فضُرب وسُجن بالمقشرة، وأهين إهانة شديدة، ولكنه لم يقر بالتهمة، فأُطلق سراحه[1].

وفي عام 899هـ/1494م أمر النائب بتوسيط نصراني اسمه إسحاق اللحام، لأجل أنه قتل زوجته التي كانت ترضع ولده منها، لكونها فرضت عليه فرضاً دراهم؛ فوسط على باب بيتها بحارة النصارى[2].

وفي سنة 904هـ /1498م وُجدت جثة الرجل المجرم الأزعر المشهور بابن الطيبي الحوراني مطروحة في نهر الأنباط بدمشق، وقُبض على غرمائه وهم ثلاثة، فشنقوا، بعد أن تبين أنهم قاتلون لغيره أيضاً[3]. واعتقلت جارية رومية الجنس وشنقت، بتهمة قتل سيدتها بعد أن اتفقت مَعَ عدَّة من الْجَوَارِي وقتلوها ليلاً بِأَن وضعن على وَجههَا مخدة وَحبس نَفسهَا حَتَّى مَاتَت وأقمن من الْغَد عزاءها، ولكن أمرهن قد كُشف بعد أن تخاصمن في تقاسم المال الذي سرقوه[4].

السرقة وقطع الطريق:

عرف اللصوص في الزمن الأيوبي والمملوكي بعدة مسميات فقيل عنهم المنسر والحرامية وغيرها من الأسماء، وكانت الدولة لا تتهاون معهم وتنفذ فيهم أقصى العقوبات، واشتهر السلطان صلاح الدين الأيوبي منذ كان والياً على شرطة دمشق في زمن نور الدين محمود بقوة شكيمته ومحاربته للّصوص حتى قال فيه أحد الشعراء يُحذر اللصوص منه:

لصوص الشام توبوا من ذنوب | تكفرها العقوبة والأصفاد
لئن كان الفساد لكم صلاحاً | فمولاي الصلاح لكم فساد

وقال أيضاً:

رويدكم يا لصوص الشام | فإني لكم ناصح في مقالي
وإياكم وسمي النبي | يوسف رب الحجا والجمال
فذاك مقطع أيدي النساء | وهذا مقطع أيدي الرجال[5]

---

1 - السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص919.

2 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص126.

3 - المصدر نفسه، ص173.

4 - المقريزي: السلوك: ج4، ص103.

5 - أبو شامة: عيون الروضتين، ج1، ص319.

وفي سنة 601هـ/1205م سُرق مبلغ ستة عشر ألف دينار مصرية ومصاغ ذهبية من مخزن أيتام في قيسارية الفرش بدمشق، واعتقل على أثرها خلق كثير ومات منهم جماعة في السجن، ثم اكتشف السارق وهو المعروف بابن الدخينة[1].

وفي سنة 610هـ/1214م اعتقل محمد بن إسماعيل الملقب بالشمس بدمشق بتهمة ضرب دراهم زغل، فأراد الملك المعظم قطع يده، ثم نفاه فذهب إلى بغداد، ولكنه ساءت سيرته هناك فقطع الخليفة المستنصر لسانه وحبسه في مطمورة في واسط فمات فيها[2].

وفي العهد المملوكي قُبِضَ على أحد قُطَّاع الطُّرق بمصر ويعرف بالكريدي في سنة 680هـ/1281م ، فسمر على جمل وأقام أياماً يُطَاف به أسواق مصر والقاهرة، ثم سجن فعاش أياماً ثمَّ مات في السجن[3].

وفي سنة 746هـ/1345م أمسك والي دمشق ستة من المنسرين الذين يسطون على بيوت الناس ليلاً فيأخذون أموالهم ويقتلون، فرسم بتسميرهم، ثم وسطوا في سوق الخيل[4].

في سنة 783هـ/1381م اكتشفت جريمة سرقة من قيسارية جركس بالقاهرة، وكان السارق يدعى ابن القماح ويعمل بزازاً بالقيسارية، كان قد اتفق مع البواب فصار يفتح له القيسارية بالليل ويغلق عليه فيفتح حوانيت الناس ويأخذ منها ما يريد إلى أن كثر ذلك وافتضح الأمر، فاعتقل وضرب بالمقارع هو وولده وسجنا بخزانة شمائل[5].

في سنة 880هـ/1475م توفي في سجن المقشرة شخص نُسب إليه التعرض لسرقة جواري الناس وبيعهن في قرى الأرياف[6].

---

1 - أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص50.

2 - المصدر نفسه، ص50.

3 - المقريزي: السلوك، ج2، ص143.

4 - ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج2، ص451.

5 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص54.

6 - السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص311.

في سنة 886هـ/1481م: أُلقي القبض على لص قام بسرقة بقجة[1] قماش من عند رأس السلطان أثناء نومه في خيمته في طريقه من القدس إلى القاهرة، وأودع اللص سجن المقشرة [2].

وفي سنة 896هـ/1491م قُبِضَ على رجل حرامي بالقصاعين، وأقر على سرقة عملات كثيرة، فلم يمهله النائب وشنقه في الحال[3].

وكان قُطَّاع الطريق يشكلون مشكلة كبيرة في ذلك الزمن، لذلك كان السلاطين يلجؤون إلى تأديبهم وحبسهم، ففي سنة 914هـ/1507م اعتقل كبير السَّفارة بدرب الحجاز ومعه شخص يدعى أبو قورة القجماسي لأنهم كانوا يعطلون طريق الحج الشامي[4].

وفي سنة 819هـ/1417م قُبِضَ على أحد قُطَّاع الطُّرق ويدعى محمد بن سيف بن بشارة وكان قد زاد إفساده في طريق الشام وقطع الطريق فحمل إلى دمشق واعتقل هناك[5].

وفي سنة 824هـ/1421م قُبِضَ على ابن وباب وكان من قُطَّاع الطريق بمصر، وقد جمع كثيراً من المفسدين وسماهم بأسماء الأمراء، فإذا مرت مركب فيها غلة سأل عن صاحبها، فإذا قيل الأمير فلان، استدعى بذلك الذي سمي باسمه فقال له: هذه مركبك خذها[6].

النصب والاحتيال والتزوير:

في سنة 731هـ/1330م أمر السلطان الناصر محمد بقتل أحد المحتالين ويدعى يوسف حوك النصراني وكان قد أوهم السلطان بأنه يصنع من النحاس ذهباً، فقربه السلطان منه، ثم اكتشف احتياله، فضرب بالمقارع حتى تورم جسده، وسُمِّر على جمل، وطِيفَ به، حتى مات[7].

---

1 - البقجة: لفظ تركي (بوغجة) بمعنى الخنق مثل بوغمق، وهو قطعة من القماش تلف بها الأغراض ثم تربط أطرافها الأربعة، وقد تحفظ فيها الأوراق. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص36.

2 - الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص317.

3 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص112.

4 - المصدر نفسه، ص143.

5 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص95.

6 - المصدر نفسه، ج3، ص242.

7 - الصفدي: أعيان العصر، ج3، ص83.

وفي حدود سنة 720هـ/1320م اعتُقل الكاتب شرف الدين النابلسي الناسخ بتهمة تزوير خط السلطان، وبقي في سجن القلعة سبع سنين[1].

في سنة 740هـ/1340م اعتُقل كاتب في قصر السلطان بسبب اتهامه بتزوير خط السلطان، وكان السلطان قد رسم بقطع يده، ثم عفي من قطع يده وسجن بعد شفاعة بعض الأمراء[2].

وفي سنة 801هـ/1399م قُبِضَ على عدد من الرجال كانوا أوصياء على تركة ميت، واتهموا بتزوير الوصية، فحضروا عند السلطان فضرب بعضهم ثم ردهم إلى القاضي المالكي، فحبسهم[3].

وقد انتشر في تلك الأونة ضرب النقود المزيفة، واتخذ السلاطين عقوبات على من قبض عليه بذلك الجُرم، ففي سنة 890هـ/1485م رسم السلطان بنفي مثقال الطواشي رأس نوبة السقاة[4]، إلى مكة المكرمة، وقد بلغ السلطان عنه أنه يضرب دراهم مغشوشة فقبض عليه وعلى شخص يقال له تمربغا من مماليك الأتابكي أزبك، فوجدوا في بيت مثقال آلة الضرب التي يصنعون بها الدراهم الزغل، فرام السلطان قطع أيديهما فشفع فيهما من القطع، فنُفِي مثقال الساقي، وسُجن تمربغا على مال، حتى مات في السجن[5].

وفي سنة 895هـ/1490م قُبِضَ على أحمد بن يوسف معلم المقشرة وعلي بن محمد المرجوشي لاتهامهما بضرب الزغل وإتلاف الأموال بحجة الكيمياء أي تحويل المعادن إلى ذهب، فأتلف بذلك أموالاً طائلة، فأودعا السجن، وضربا بالمقارع، ثم كُحِّل أحمد بن يوسف وقطع لسانه[6].

---

1 - الصفدي: أعيان العصر، ج3، ص719.

2 - المقريزي: السلوك، ج2، ص33.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص47.

4 - رأس نوبة السقاة: ورأس النوبة هو الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير وتنفيذ أمره فيهم، والساقي: هو الذي يتولّى مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب بعد رفع السماط. القلقشندي: صبح الأعشى،ج5، ص454-455.

5 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص522.

6 - السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص1122.

الفساد الأخلاقي:

كان السلاطين يلاحقون أهل الفساد والمجون والدعارة ويزجون بهم في السجون، ففي سنة 613هـ/1217م أمر شهاب الدين طغريك وزير الملك الظاهر غازي صاحب حلب بملاحقة ونفي المغنيات وأهل الفساد [1]، وفي سنة 724هـ/1324م رسم السلطان المملوكي الناصر محمد بإبطال الملاهي بالديار المصرية، وحبس جماعة من النساء الزواني [2].

وقُبض على اثنين من المماليك بدمشق كانا يغتصبان النساء قهراً ثم صلبا سنة 781هـ/1379م [3].

وفي سنة 800هـ/1398م قُبِضَ على الأمير شيخ الصفوي واعتُقل بقلعة المرقب بسبب أنه كان يتعرض لحريم الناس وأولادهم بالإكراه في مدينة القدس[4].

وفي حدود سنة 920هـ/1515م قُبِضَ أحد النواب الحنفية ويدعى غرس الدين خليل في بيته على زوجته وهي متلبسة بالزنى مع أحد نواب الشافعية واسمه نور الدين مشالي، فرفع أمرهما إلى الحاجب، فضرب الزاني والزانية بالمقارع وأشهرهما في القاهرة، ثم إن الحادثة بلغت مسامع السلطان الغوري فاستاء أكبر استياء، وجمع القضاة الأربعة ووبخهم لأن نوابهم يعيثون في الأرض فساداً، وعقد مجلس للحكم على الرجل والمرأة، وحدث لذلك خلافاً كبيراً بعد أن أفتى بعض القضاة بأن من حق الزاني الرجوع عن اعترافه وحينئذ لا يرجم، فحنق السلطان على القضاة وعزلهم، وأمر بالزاني فسجن في المقشرة، والزانية سجنت في سجن الحجرة، ثم أمر بشنقهما على باب منزل أحد القضاة نكاية به[5].

التجسس:

في سنة 796هـ/1394م قُبِضَ على شخص من التتار، وعرض على السلطان فضربه فأقر على عدة جواسيس، فقبض على سبعة أشخاص ما بين تجار وغيرهم[6].

---

1 - ابن الفرات: تاريخ، مج5، ج1، ص199.

2 - السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص316.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص192.

4 - المصدر نفسه، ج2، ص19.

5 - ابن إياس: بدائع، ج2، ص154.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص474.

واتهم رجل يدعى نور الدّين عَليّ بن الخواجا التَّاجِر التبريزي بالتجسس وإرسال رسالة الحطي ملك الحبشة[1] إِلَى الفرنج للتحريض على قتال المسلمين، ونُدب قَاضِي الْقُضَاة شـمس الدّين مُحَمَّد الْبِسَاطِيّ الْمَالِكِي للكشف عَن أمره وإمضاء حكم الله فِيهِ فنقله من سجن الـسُّلْطَان إِلَى سجنه فقامت عليه بينة توجب إراقة دمه، فشهر على جمل بِمصْر وبولاق وَنُودِيَ عليـه: "هَذَا جَزَاء من يجلب السلاح إِلَى بلاد الْعَدو ويلعب بالدينين"، ثمَّ أقعد تَحت شـباك الْمدرسَـة الصالحية بَين القصرين وَضربت عُنُقه سنة 832هـ/1429م [2].

الديون:

وكان القضاة يفصلون بين المتخاصمين في الديون، ويعتقل من عليه دين في الـسجن حتى يتم سداد قيمة الدَّين.

ونذكر أمثلة على من اعتُقل على خلفية الديون، ومنها في سنة 784هـ/1382م، رسم الأمير الكبير بإطلاق من في سجني الديلم والرحبة من المديونين، فـأُفرج عـنهم جمـيعهم، وأغلق باب السجنين، ومنع القضاة من سجن أحد على دين، وذلك بسبب انتشار الغلاء وفقدان الخبز من الأسواق [3]. وفي سنة 785هـ/1383م كتبت أسماء الذين في سجن القُضاة بسبب الديون وأفرج عنهم السلطان بعدما دفع لغرمائهم أموالهم[4].

وفي سنة 839هـ حدثت مجاعة شديدة في مصر فكتب القاضي على ورقـة اعتقـال مدين: "يعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة"، وعنـدما اشـتد الغـلاء والمجاعة أُفرج عن المساجين من كثرة شكواهم من الجوع[5].

وفي سنة 908هـ/1502م عرض السلطان المحابيس من الرجال والنساء وأطلق منهم جماعة ممن حبسوا على ديون[6].

---

1 - الحطي: لقب ملك الحبشة وهو حاكم الإقليم الأكبر في الحبشة وهو إقليم أمحرا وصاحبه يحكم على أكثر الحبشة مثل بلاد الداموت والحرلي. (دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص63).

2 - المقريزي: السلوك، ج3، ص326.

3 - المصدر نفسه، ج2، ص360.

4 - المصدر نفسه، ج5، ص156.

5 - المصدر نفسه، ج7، ص305.

6 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص713، ص720، ص730، ص747، ص762.

وفي سنة 753هـ/1352م رسم الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون بتحويل قضايا الديون إلى حاجب الحجاب سيف الدين جرجي، وكان ذلك بسبب أن تجاراً من العجم شكوا إلى السلطان بدار العدل أنهم ما خرجوا من بلادهم إلا لكثرة ما ظلمهم التتار، وجاروا عليهم، وأن التجار بالقاهرة اشتروا منهم عدة بضائع، وأكلوا أثمانها، فأثبتوا أمام القاضي الحنفي إعسارهم وأودعوا سجنه، وقد أفلس بعضهم ولم يستفيدوا من وراء سجنهم شيئاً، فرسم السلطان بأن يخرج هؤلاء الغرماء من السجن وأن يعمل على استخلاص الديون منهم، وأنكر السلطان على قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني الحنفي ما عمله، ومنع من التحدث في أمر التجار والمدينين[1].

---

1 - سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص54.

2- **المساجين السياسيون**:

تميزت تلك الحقبة بالاختلافات بين الأمراء والصراع على السلطنة والإمارة، لذا فإن السجون كانت إحدى وسائل إبعاد المنافسين عن كرسي السلطنة.

ففي العصر الأيوبي: في سنة 623هـ/1226م قبض الملك الكامل على جماعة من الأمراء من مماليك والده الذين توهم فيهم أنهم كاتبوا الملك المعظم ومن جملتهم فخر الدين ألطنبا الحبيشي وفخر الدين ألطنبا الفيومي، وعشرة مماليك من البحرية العادلية واعتقلهم وأخذ أموالهم[1].

وفي سنة 624هـ/1227م جهز الملك الكامل جيشاً كثيفاً إلى حماة وسلمها إلى الملك المظفر ابن أخيه فإنه كان وعده بذلك، وقبض على ابن أخيه الملك الناصر وسيره إلى مصر واعتقله بها[2].

وفي سنة 626هـ/1229م حين دخل الفرنج القدس سلماً بعد هدنة الكامل مع فريدريك الثاني ملك صقلية بشرط أن يبقى على خرابه، اعترض أحد القادة وهو سيف الدين بن أبي زكري قائلاً: "نقاتل فإما لنا وإما علينا، ولا يقال عن السلطان أنه أعطى الفرنج القدس"، قبض عليه وسيَّره إلى مصر فحبسه بها[3].

وفي سنة 637هـ/1239م اتفقت مجموعة من العسكر على خلع الملك العادل صاحب مصر فقبضوا عليه ورتبوا عدداً من الجنود لحراسته ليلاً ونهاراً، ثم أرسلوا إلى أخيه الملك الصالح أيوب يملِّكونه عليهم، فوصل إلى مصر وحبس أخيه العادل في قلعة الجبل[4].

أما في العصر المملوكي: ففي سنة 764هـ/1363م: قام الأمير يبلغا ومعه عدد من الأمراء بخلع السلطان صلاح الدين المنصور محمد محتجين باختلال عقله، وقد خلعوه بحضرة الخليفة والقضاة ثم سجن بقلعة الجبل وبايعوا شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد ولقب بالأشرف شعبان[5].

---

1 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص16.

2 - المصدر نفسه، ص14.

3 - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص101.

4 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص25.

5 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص200.

وفي سنة 742هـ/1341م، اعتُقل السلطان أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون بعد خلعه وبقي في السجن حتى قُتل بعد خمسة أشهر من اعتقاله [1].

وعُرف عن بعض السلاطين أنهم كانوا يعتقلون من يشُكُّون في ولائهم وإخلاصهم، فقد كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون معروف بسرعة تغيره على حاشيته ووزرائه، وإذا بغض أحدهم انتقم منه، فكان يقبض على من يشتبه في إخلاصه لعرشه كما كان يكره أن يكون عنده كبير أو عظيم، فإذا كثرت سعادة الأمير عنده مع فروغه غرضه لجأ إلى مصادرة أمواله واعتقاله، وربما قتله، وهذا ما حدث مع العديد من خاصة أمرائه، كالأمير سيف الدين بكتمر الساقي، والأمير سيف الدين تنكز الناصري، والأمير سيف الدين أيتمش المحمي[2].

1 - ابن طولون: إعلام الورى، ص41.

2 - اليوسفي: نزهة الناظر، ص124.

3- **سجناء الخلافات الدينية**:

شهد العصر الأيوبي والمملوكي سجالات ومناظرات كثيرة بين الفقهاء من المذاهب الأربعة: الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، من جهة، ومن جهة أخرى ظهرت مجموعة من الأفكار الشاذة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة من أمثال: الخوارج والرافضة والجهمية والمعطلة والقدرية والجبرية، وكانوا محلاً لمناظرات الفقهاء وهدفاً لحملاتهم، وكان مآل الكثير منهم إلى السجن أو الإعدام[1]، كما انتشر المذهب الأشعري في العقيدة، وانتقده عدد من علماء السلف مثل الحافظ عبد الغني المقدسي[2]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهما وقد امتحنوا بسبب تمسكهم بعقيدة أهل السنة والجماعة، وسجنوا وأهينوا بسبب ذلك:

فنجد أن الحافظ عبد الغني النابلسي عندما ذهب إلى مصر في سنة 600هـ/1204م أفتى فقهاء مصر الأشاعرة بإباحة دمه لاختلافهم معه في قضايا في العقيدة منها "مسألة الصوت والحرف" وقوله "كان الله ولا مكان وليس هو اليوم على ما كان"، وكتبوا إلى الصفي بن شكر وزير الملك العادل بأنه أفسد عقول الناس وأنه يذكر التجسيم[3] على رؤوس الأشهاد، فكتب العادل إلى والي مصر باعتقاله ونفيه إلى المغرب، ولكن الشيخ مات قبل وصول الكتاب إليه[4].

وحبس تقي الدين أحمد بن تيمية بقلعة دمشق سنة 726هـ/1325م، بسبب فتوى له في مسألة الطلاق بالثلاث أنه لَا يقع بلفظ واحد فقام عليه فقهاء دمشق، وَضُرِب ابن قيم الجوزية وَشُهِّر على حمَار بدمشق لأنه تكلم بالقدس في مسألة التوسل بالأنبياء وأنكر مجرد زيارة القبر الشريف دون قصد المسجد النبوي [5].

---

1 - سليم: عصر سلاطين المماليك، ج6، ص10-12.

2 - عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلين ولد سنة 541هـ، برز في علوم كثيرة وبرع في الحديث، وأسماء الرجال خاصة، وله تصانيف منها: "الكمال في أسماء الرجال"، و"عمدة الأحكام" و"النصيحة في الأدعية الصحيحة"، امتحن غير مرة بسبب عقيدته السلفية، مات سنة 600هـ. الحنبلي: العبر، ج1، ص49.

3 - التجسيم: هو من قول المبتدعة من المجسمة والمشبهة الذين يصفون الله بأن له جسماً وجثة وأعضاء وغير ذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. الألباني: شرح العقيدة الطحاوية، ص45.

4 - أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص47.

5 - المقريزي: السلوك، ج3، ص89.

وضرب بمصر الشهاب بن مري[1]، وكان على مذهب ابن تيمية، وسجن في سجن القاضي المالكي، ثم نُفِي لنهيه عن الاستغاثة والتوسل بأحد غير الله ومقت لذلك ثم فر إلى أرض الجزيرة وأقام هناك سنين[2]. وكذلك امتحن الشيخ اليوسفي[3] وسجن بقلعة دمشق، وتوفي سنة 789هـ/1387م وكان أحد محبي شيخ الإسلام ابن تيمية ودفن بقرب تربته الزكية بمقابر الصوفية[4].

وكذلك الشيخ المزي فقد غضب عليه بعض الفقهاء، وشكوه إلى القاضي الشافعي ابن صصري وكان عدو الشيخ فسجن المزي، فبلغ ذلك الشيخ ابن تيمية فتألم لذلك وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه، ثم ذهب إلى قصر نائب السلطنة فوجد القاضي هناك فتقاولا بسبب المزي، فحلف القاضي لا بد أن يعيده إلى السجن وإلا عزل نفسه، فأمر نائب الغيبة بإعادته تطييباً لقلب القاضي وحبسه عنده في القوصية أياماً ثم أطلقه، ولما قدم نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقي الدين ما جرى في حقه وحق أصحابه في غيبته، فتألم النائب لذلك ونادى في البلدان أن لا يتكلم أحد في العقائد ومن عاد إلى ذلك حل ماله ودمه ونهبت داره وحانوته فسكنت الأمور[5].

كما حدثت العديد من الحوادث التي سُجن بسببها علماء دخلوا في علم الكلام والفلسفة، ففي سنة 761هـ/1360م ادعي على شمس الدين الباجربقي أنه قال: "ليس كل الحق مع أهل السنة بل بعض أقوال المعتزلة قد تكون حقاً" أو نحو ذلك، فعزّره القاضي تاج الدين السبكي بكشف رأسه ونودي عليه، ثم سجن، ثم أطلق سراحه، وكلف أن يسأل ابن الكفري أن يحكم بإسلامه ففعل، ولما أُطلق عزَّت عليه نفسه فاعتزل حتى أواخر عمره وتوفي سنة 765هـ/1364م[6].

1 - شهَاب الدّين أَحْمد بن مُحَمَّد بن مري البعلبكي الْحَنْبَلِيّ. المقريزي: السلوك، ج3، ص81.

2 - العبر، ج1، ص286.

3 - أبو الربيع أو أبو الفضل سليمان بن يوسف بن مفلح ابن أبي الوفا المقدسي الياسوفي الدمشقي الشافعي. ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ج1، ص100.

4 - ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ج1، ص100.

5 - النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص73.

6 - العسقلاني: الدرر الكامنة، ج5، ص73.

وفي سنة 781هـ/1379م ادعي على الشيخ زين الدين عمر بن مسلم القرشي الواعظ أنه مُجسم، وشهد عليه جماعة بكلام قاله يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى، فرسم عليه جمال الدين المحتسب فقام القاضي برهان الدين بن جماعة في أمره وبقي في السجن ستة أشهر[1].

وقد بلغ بعض العلماء وفقهاء المذاهب من التشدد والتعصب لمذهبهم لدرجة تكفير البعض لأتفه الأسباب، ونستشهد على ذلك بقصة أحد العلماء ويدعى شمس الدين الحلبي الذي حضر محضر تقسيم تركة رجل يدعى يحيى بن حجي، فرأى بين كتبه كتاب "الفصوص" لابن عربي، فقال: هذا الكتاب ينبغي أن يحرق وأن ابن عربي كان كافراً أشد من كفر اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، فقال له بعض الحاضرين: كيف تحرق كتاب الفصوص وفيه آيات من كتاب الله تعالى؟ فقال: ولو كان، فمسكوا عليه ذلك ممسكاً، وأرادوا تكفيره، فبادر وترامى على كاتب السر ابن مزهر، فقام معه، وآل أمره إلى أن عّزّروه وكشفوا رأسه، ثم حُكم بإسلامه وحقن دمه، وفيه يقول ابن نجا القمني واصفاً تعزيره وضربه:

أقعدت يا حُليبي	بالصفع في قفاكا
لما ادعيت جهلاً	حرق الفصوص ياكا
وما خلصت حتى	أقمت شاهداكا [2]

ومن أمثلة من اتهم بالزندقة والكفر:

في عهد السلطان صلاح الدين اتهم بذلك السهروردي الفيلسوف شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك، وكان رجلاً ذكياً مشهوراً بمعرفة علوم الأوائل بارعاً في علم الكلام مناظراً مزدرياً للعلماء مستهزئاً رقيق الدين[3]، وكان قد ناظر فقهاء حلب، ولم يجاره أحد، فقربه الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين الأيوبي، فشنعوا عليه، وعملوا محضراً بكفره، وزادوا عليه أشياء كثيرة، فبعث السلطان إلى ولده الملك الظاهر بخط القاضي الفاضل يقول فيه: لابد من قتله، ولا سبيل إلى أن يطلق ولا يُبقى بوجه، فلما لم يبقَ إلا قتله اختار هو لنفسه أن يترك في بيت حتى يموت جوعاً، ففعل به ذلك سنة 586هـ/1190م بقلعة حلب[4].

---

1 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص307.

2 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص561.

3 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص290.

4 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج41، ص284.

واتهم الشيخ علي الحريري بأفعال منافية للشريعة، وأقام بدمشق مدة يعمل صنعة الحرير، ثم ترك وابتنى له زاوية، وبدرت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقي الدين بن الصلاح، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم، ثم حبس سنين في قلعة عزتا ثم أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق، فلزم بلده بسر مدة حتى كانت وفاته سنة 643هـ/1245م، تبعه طائفة من الفقراء، وكان يستهزئ بأمور الشريعة ويتهاون فيها ويظهر شعائر أهل الفسوق والعصيان، وأفسد جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق وصاروا على زي أصحابه، وتبعوه بسبب أنه كان خليع، يجمع مجلسه الغناء الدائم والرقص والمردان، وترك الإنكار على أحد فيما يفعله، وترك الصلوات وكثرت النفقات، فأضل خلقاً كثيراً، وأفتى في قتله مراراً جماعة من العلماء [1].

وفي سنة 665هـ/1266م اعتُقل الأمير أقوش القفجاقي في خزانة البنود لأنه ادَّعى النبوة ثم أُمر بتسميره[2].

واتهم شخص يدعى ابن البققي بالكفر، وكان عاقلاً ذكياً، ولكن اتهم بالاستخفاف بالقرآن والشرع، فحكم عليه القاضي المالكي بالموت، وضُربت عنقه بالقاهرة بين القصرين، في ربيع الأول سنة 701هـ/1302م، وطِيفَ برأسه[3].

وفي سنة 726هـ/1325م ضربت رقبة ناصر بن الهيتي بسوق الخيل ظاهر دمشق بحكم القاضي المالكي بكفره وزندقته وتلاعبه بدين الإسلام، وحفظ ابن الهيتي في أول أمره القرآن وبعض كتب السنة، ولكنه انسلخ عن ذلك، واتهمه فقهاء دمشق بالكفر، فهرب من دمشق سنين، ثم جاء إلى باب قاضي دمشق واستأذن في الدخول، فأذن له، فلما عرفه قال له: ما جاء بك إليَّ يا كافر، فلما سمع نقيب الحكم بدر الدين محمد بن نجم الدين إسحاق قول القاضي له يا كافر، حمل ابن الهيتي بلا أمر من القاضي وأودعه السجن بخندق القلعة، ثم أرسله القاضي إلى دمشق محترزاً عليه فضُربت عنقه[4].

وفي سنة 741هـ/1341م عقد مجلس بدار السعادة بدمشق لرجل يدعى عثمان الدُكالي، وادعي عليه بأقوال توجب إباحة دمه، منها دعوى الإلهية والتنقص بالأنبياء،

---

1 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص203.

2 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص188.

3 - الكتبي: فوات الوفيات، ج1، ص152.

4 - ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص269.

والانتماء إلى الاتحادية[1] والباجربقية[2]، وقامت البينة عند القاضي المالكي بذلك، فحكم بإراقة دمه وإن تاب، فأُخذ وضُربت عنقه بسوق الخيل، ونودي عليه: "هذا جزاء من يكون على مذهب الاتحادية"[3].

وفي سنة 762هـ/1361م اعتُقل رجل عامي يدعى حسن بن الخياط في دمشق بعد ادُّعي عليه في مجلس الحكم عند القاضي المالكي لاعتقاده بإيمان فرعون، ثم ضُرب بالسياط فأظهر التوبة ثم أعيد إلى السجن ونودي عليه في البلد ثم أطلق سراحه[4].

وفي سنة 781هـ/1379م قُبِضَ على رجل ادّعى النبوة، وزعم أن حروف القرآن تنطق له مَعَ أَنه أُمِّي وَأَن الَّذِي يأتيه بالوحي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ودرديائيل وزعم أَنه عربي من مصر، وأنه أرسل بقتل الكفرة وأن الترك يحكموه ويملكوه عليهم وأنه أنزل عليه القرآن، فسجن عِنْد المجانين بالمارستان، ثمَّ أخرجه الأمير بركَة وسأله عَن نبوته فأخبره، فأمر به فَضرب حَتَّى رَجَعَ عَن قوله، ثم أفرج عنه بعد أيام[5].

وفي سنة 812هـ/1410م قُبِضَ على نصراني فادُّعي عليه أنه كان قد أسلم ثم ارتد، وأقيمت عليه البينة بذلك فاعترف فعرض عليه الإسلام فامتنع فضربت رقبته بين القصرين بدمشق[6]. وفي نفس العام قتل شخص شريف لأنه ادُّعي عليه أنه عُوتب في شيء فعله فعُزِّر

1 - الاتحادية: القائلون بوحدة الوجود: ذهبوا إلى أن كل كلام في الوجود كلام الله حقه وباطله، وحسنة وقبيحة، والسب والفحش والشتم وأضداده كله عين كلام الله "تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا". آل عقدة: مختصر معارج القبول، ص60.

2 - الباجربقية: فرقة ضالة نسبة إلى الباجربقي (664-724هـ /1266-1324م) محمد بن عبد الرحيم بن عمر: أصله من باجربق من قرى بين النهرين، سكن والده الموصل، ثم دمشق، وكان من علماء الشافعية، ثم تصوف وأنشأ فرقته التي قيل إنها كانت تنكر الصانع جل جلاله. وصنف كتابا سماه (اللمحة) أو (الملحمة) الباجربقية ونقلت عن لسانه أقوال في انتقاص الأنبياء، وترك الشرائع، فحكم القاضي المالكي -في دمشق- بضرب عنقه سنة 704هـ/1303م ففر إلى مصر وأقام بالأزهر، فكان يرى الناس (بوارق شيطانية) ، ويتفوّه بعظائم، فشهد عليه بالزندقة، فتوجه إلى العراق. وسعى أخ له في حماة لدى القاضي الحنبلي، فأثبت عداوة بينه وبين بعض الشهود، فحكم الحنبلي بحقن دمه، وعلم المالكي فجدد الحكم بقتله. وعاد من بغداد إلى دمشق متخفيا فأقام في القابون إلى أن مات. الزركلي: الأعلام، ج6، ص200.

3 - ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج2، ص128.

4 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص316.

5 - المقريزي: السلوك، ج5، ص73.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص433.

بسببه، فقال: قد ابتُلى الأنبياء، فزُجر عن ذلك فقال: قد جرى على رسول الله في حارة اليهود أكثر من هذا، فاستفتى في حقه فأفتوا بكفره، فضربت عنقه بين القصرين بحكم القاضي المالكي شمس الدين المدني[1].

وفي سنة 816هـ/1414م وصل إلى منطقة الغور الشمالي أحد فقهاء دمشق وادَّعى أنه السفياني المنتظر، والتف حوله حشد كبير من أهل القرى وأبناء العشائر العربية ولفيف من فقراء جند المماليك وبايعوه على الطاعة، ثم صار يوزع على أتباعه مناشير إقطاعات يعدهم بها، وبدأ يكتب الرسائل إلى زعماء النواحي والعشائر والريف والمدن ويوقعها باسم السفياني يدعوهم فيها إلى الهجرة جهاداً في سبيل الله، وإلى الانضمام إليه في بلدة عجلون التي جعلها مقراً له، ثم أعلن نفسه سلطاناً، وعندما استفحل أمره كلف السلطان الأمير غانم الغزاوي بالقضاء على حركته، فتوجه إليه الأمير وتمكن من هزيمته وقبض عليه وسجنه بقلعة صفد[2].

وفي حدود سنة 824هـ/1421م اعتُقل رجل يسمى علي النسيمي بتهمة الزندقة والكفر، وشهد عليه بعض القضاة وعلماء البلد، وعُقد له مجلس، وبقي عند النائب بدار العدل في الاعتقال، ثم أُرسل إلى السلطان بخبره، وأُخرج إلى سجن قلعة حلب، حتى ورد مرسوم السلطان المؤيد بأن يُسلخ ويُشهر في حلب سبعة أيام وينادى عليه، ثم تقطع أعضاؤه ويرسل شيء منها لبعض من أفسد عقائدهم، ففُعل ذلك به[3].

وفي سنة 911هـ/1505م حضر شخص من فقراء الصعيد يقال له مهدي، فلما مثل بين يدي السلطان قامت عليه البينة بأنه زنديق ساحر يتوضأ باللبن ويستنجي به، وذكرت عنه أشياء كثيرة تخالف الشريعة، فأرسله السلطان إلى قاضي القضاة المالكي فحكم بكفره، وضرب عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية بعد أن شهَّروه على جمل وهو عريان[4].

---

1 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص434.

2 - المقريزي: السلوك، ج6، ص351.

3 - سبط ابن العجمي: كنوز الذهب، ج2، ص126.

4 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص737.

4- **الأسرى**:

كانت المرحلة الأيوبية المملوكية مرحلة صراع مع الصليبيين، وقد حدثت عدة معارك معهم أدت إلى أسر جنود منهم وجلبهم إلى السجون، ونذكر بعض تلك الحالات:

في العصر الأيوبي، وفي سنة 579هـ/1183م انتصر الأسطول الأيوبي على قوات صليبية حاولت الوصول إلى المدينة المنورة عبر البحر، وكان من نتيجة المعركة أسر أكثر من 170 جندياً صليبياً، وكذلك أكثر من 70 نجاراً صليبياً كانوا في سفينة حربية تحمل أخشاباً متجهة إلى عكا، وجيء بالأسرى جميعاً وأودعوا في سجون القاهرة[1].

وقام الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي سنة 616هـ/1219م بحفر مغارات في شفير خندق قلعة حلب المواجه للمدينة، بحيث يكون في كل مغارة مقدار خمسين بيتاً أو أكثر، بحيث تتسع لإسكان الأسرى الصليبيين [2].

وفي سنة 644هـ/1246م كانت هزيمة الخوارزمية على نهر القصب بظاهر حمص، فقد جهز الناصر صاحب حلب جيشاً كثيفاً لقتالهم وطردهم من بلاده، وقدم المنصور صاحب حمص على العساكر فسار إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً، وكسرهم في أول يوم من محرم، وكان صاحب بعلبك وصاحب صرخد مع الخوارزمية، وقتل حسام الدين بركتخان ملكهم في المعركة، وتم أسر جماعة كبيرة وحملوا إلى حلب واعتقلوا بها[3].

أما في العصر المملوكي ففي سنة 668هـ/1270م أمر الملك الظاهر بيبرس بقتل عدد من الأسرى الفرنج الذين في سجون القاهرة، رداً على قيام الفرنج بضرب رقاب جماعة من الأسرى المسلمين، فأخذ من أعيان من عنده من أسراهم نحو 100 أسير فغرقهم في النيل ليلاً[4].

وفي سنة 672هـ/1273م نمى إلى السلطان الظاهر بيبرس أن ملك الكرج حضر متخفياً لزيارة القدس الشريف، فأرسل السلطان إلى القدس رجالاً يعرفون شكله، فأمسكوا به

---

1 - أبو شامة: عيون الروضتين، ج3، ص141.

2 - ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص51، 52.

3 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص35.

4 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص443.

من بين الزوار ومعه ثلاثة أفراد من أصحابه، وجاءوا به إلى السلطان وهو بدمشق، فسجنه بقلعتها[1].

وفي سنة 798هـ/1396م قبض الأمير قرا يوسف التركماني صاحب تبريز على أحد أمراء التتار وهو اطلمش قريب تيمورلنك، وأرسله إلى الملك الظاهر فاعتقله، وكانت هذه الفعلة أعظم الأسباب في حركة تيمورلنك إلى البلاد الشامية[2].

وفي سنة 829هـ/1425م وضع عدد من أسرى الفرنج في سجون القاهرة بعد عودة السلطان الأشرف برسباي[3] فاتحاً من جزيرة قبرص وعُرض الأسرى وعلى رأسهم ملك قبرص وهو مصفد بالحديد راكباً فرسه وعليه خوذته وسلاحه[4].

واستخدمت خزانة شمائل أحياناً لحبس الأسرى، فقد حبس فيها الفرنج الذين أُسروا من جزيرة رودس سنة 847هـ/1443م[5].

وفي سنة 880هـ/1475م تم القبض على التجار الفرنج في ثغر الإسكندرية، وذلك رداً على قيام الفرنج بأسر عدد من تجار الإسكندرية، وطلب السلطان من الأسرى المقبوض عليهم أن يراسلوا ملوكهم لكي يطلقوا سراح تجار الإسكندرية، وقد تم الأمر كما أراد السلطان[6].

---

1 - العيني: عقد الجمان، ج1، ص137.

2 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص509.

3 - الملك الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري: ثامن سلاطين مصر والشام من المماليك البرجية الشراكسة، كان مملوكاً للأمير دقماق المحمدي وإليه نسب، ثم أهداه إلى الملك الظاهر برقوق، تولي السلطنة سنة 825هـ/1422م وتوفي سنة 841هـ/1438م. الشهابي: معجم ألقاب أرباب السلطان، ص118.

4 - سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص259.

5 - السخاوي: التبر المسبوك، ج1، ص61.

6 - سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص259.

الفصل الثالث

العقوبات والخروج من السجن

- أنواع العقوبات:
- الخروج من السجن

أنواع العقوبات

أولاً: الإعدام:

أنواع الإعدام:

اختلفت أنواع الإعدام في السجون، فكان منها طرق بشعة، مثل التوسيط والسلخ والخازوق وغيرها، وهي أساليب تنافي ما أمر الله ورسوله به، فقد كرم الله الإنسان فقال عز وجل: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"[1]، ويقول النبي : "لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة" [2].

وقد اتبعت عدة أساليب لتنفيذ أحكام الإعدام وهي:

التوسيط:

التوسيط: قطع الشيء نصفين[3] وهو نوع من القتل يضرب المحكوم عليه بالسيف بقوة تحت السرة لينقسم الجسم نصفين[4].

ورغم أنها لم يكن معمول بها زمن الأيوبيين إلا أنها كانت أكثر وسائل الإعدام شيوعاً وبشاعة في زمن المماليك، حتى أن الوالي يحذر اللصوص إذا ظفر بأحد منهم أن يوسِّطه[5].

وكان السلاطين والأمراء يلجأون إلى هذا الأسلوب لإعدام الأعداد الكبيرة من السجناء الذين يقبض عليهم بعد إخماد فتنة أو محاربة قُطَّاع الطُّرق والزعر والعربان.

ففي سنة 674هـ كثرت هجمات متملك النوبة على جنوب مصر حتى وصل أسوان وعيذاب وأفسد فيها، فخرج إليه والي قوص، وقبض على عدد من النوبة، وحملهم إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم[6].

---

1 - سورة الإسراء: آية 70.

2 - البخاري: صحيح، ج9، ص5.

3 - الرازي: مختار الصحاح، 338.

4 - هوامش البداية والنهاية، ج14، ص283.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص360.

6 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص372.

وفي سنة 753هـ/1352م جلس السلطان على طارمة[1] قلعة دمشق، ووقف الأمــراء تحت القلعة، وأخرج الأمراء المسجونين وهم يرفلون في الحديد، ونودي عليهم: هذا جزاء من يخامر[2] على السلطان ويخون الإسلام"، ووسطوا واحداً بعد واحد[3].

وقام الأمير دلنجي[4] نائب غزة في سنة 750هـ/1349م بإعدام حوالي 200 رجل من أكابر العشير بعد أن وصله خبر بأنهم ينوون نهب مدينتي اللد والرملة، فركب إليهم ولقــيهم قريباً من اللد، وما زال يراسلهم ويخدعهم حتى قدم إليه أكابرهم فقبض عليهم وأخــذهم إلــى غزة ووسطهم كلهم[5].

وقد قتل الأمير كمشبغا في حلب حوالي 800 رجل بعد أن أخمد ثورة مدينــة بانقوســا عليه سنة 792هـ/1390م[6].

وفي سنة 907هـ/1502م قبض دوادار نائب دمشق على كبير زعر ميدان الحــصى ويدعى ابن الأستاذ، ومعه عدد من الزعر عند باب خوخة[7] الخاتونية، جوار جــامع تنكــز بدمشق، وأتى بهم إلى عند باب الإسطبل، تجاه دار العدل، فوسطهم[8].

---

1 - الطارمة: وجمعه طارمات، بيت من خشب يبنى سقفه على هيئة قبة لجلوس السلطان. عاشور: العــصر المماليكي، ص453.

2 - المخامرة: تبدل نية الشخص تجاه الأمير أو السلطان والانقلاب عليه. (دهمان: معجم الألفاظ التاريخيــة، ص136).

3 - المقريزي: السلوك، ج2، ص194.

4 - دلنجي: الأمير سيف الدين ابن أخت الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا. أقام بمصر أميراً مدة، وأخــرج لنيابة غزة، وصار لها به شرف باذخ وعزة، لأنه كتب له بها عن السلطان: نائب السلطنة بغــزة، ولــم يكتب لأحد غيره بعد الجاولي حتى ولي للأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب ودمــشق، وأضــيف لــه الحديث في نابلس، ولم يكن لأحد من دمشق في غزة ولا في نابلس ولا في الساحل حديث البتة. وكــان وصوله إليها في سنة 750هـ/1349م، وأقام بها إلى أن توفي سنة 751هـ/1350م. وقاسى في نيابته شدائد من عرب جرم وموقع، وجرت بينهم حروب وجراح، وقتل عدة من أمراء غزة، وتــولّى النيابــة بعده الأمير فارس الدين ألبكي. الصفدي: أعيان العصر، ج2، ص356-357.

5 - المقريزي: السلوك، ج4، ص107.

6 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص13.

7 - الخوخة: لفظة عربية بمعنى الباب الصغير ضمن باب كبير، إذا مر منه الإنسان طأطأ رأسه، أو بــاب خلفي صغير، أو باب صغير بين بيتين. (دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص70).

8 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص209.

كما نفذ حكم التوسيط في عدد من الأمراء ونذكر على سبيل المثال:

أمر السلطان برقوق بتوسيط الأمير قُرُط بن عمر التركماني والأمير إبراهيم بن قُطْلُو أَقتمر العلاي بعد تسميرهما، فنفذ حكم التوسيط في الأول وشفع بعض الأمراء في الثاني فعُفي عنه، وسبب ذلك اتهامهما بالاتفاق مع الخليفة العباسي المتوكل على الله على قتل السلطان برقوق وتولية الخليفة لأمر السلطنة وذلك سنة 785هـ/1383م [1].

ونقم السلطان الناصر محمد على الأمير سيف الدين تنكز فأمر الأمير سيف الدين بشتاك بتوسيطه فوسطه في سوق الخيل بالقاهرة سنة 741هـ/1341م [2].

ووُسِّط الشريف العنابي سنة 796هـ/1394م بتهمة التآمر للخروج على السلطان[3]، والأمير سيف الدين بلاط بن عبد الله الناصرى والأمير بلاط الظاهري من مماليك السلطان الناصر فرج، وقبض عليهما في واقعة اللجون سنة 815هـ/1412م بين السلطان الناصر فرج ومجموعة من الأمراء يقودهم الأمير شيخ المحمودي الذي أصبح سلطاناً بعد ذلك، وقتلهما الأمير شيخ[4].

وفي سنة 841هـ/1437م أمر الملك الأشرف بتوسيط طبيبيه اللذين كانا يعالجانه من مرضه الذي مات فيه لشكه أنهما مقصران في علاجه وهما: العفيف الأسلمي وخضر الحكيم[5].

وفي سنة 922هـ/1516م أمر السلطان الغوري بتوسيط خمسة أنفار من المنسر الذي شاع أمره في القاهرة، وقد قبض عليهم شيخ العرب ابن أبي الشوارب، فرسم السلطان بتوسيطهم في ذلك اليوم، وكان فيهم شخص يسمى أبو عزراييل وهو كبيرهم، فوسطهم جميعاً[6].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج5، ص152.

2 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج16، ص256.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص471.

4 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص119.

5 - المصدر نفسه، ج15، ص101.

6 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص9.

الخنق:

يظهر أن هذه الطريقة في القتل أخذها الأيوبيون والمماليك عن الممالك الشرقية في سمرقند وبلاد فارس، فقد ذكر ابن بطوطة أنهم كانوا لا يقتلون أبناء الملوك إلا خنقاً بأوتار القسي[1]. وقد كانت -كما يبدو من الأحداث التالية- تستخدم لقتل الخصوم السياسيين في الحبس، وبشكل سري لكي يظهر أن وفاتهم كانت طبيعية أو أنهم قتلوا أنفسهم.

وممن قتل بهذه الطريقة: في سنة 645هـ/1247م أمر الملك الصالح بخنق أخيه الملك العادل الذي كان يملك مصر قبله فخنق في سجنه[2] وفي قصة خنقه أن الملك الصالح أمر بإرسال أخيه العادل مع نسائه إلى الشوبك، فبعث إليه الخادم محسن إلى الحبس، وقال: يقول: لك السلطان، لا بد من رواحك إلى الشوبك، فقال: إن أردتم قتلي فهنا أولى ولا أروح أبداً، فلامه وعذله، فرماه العادل بدواة، فخرج وعرَّف الصالح، فقال: دبِّر أمره، فأخذ ثلاثة مماليك، ودخلوا عليه ليلة 12 شوال فخنقوه بوتر، وقيل بشاش، وعلقوه به، وأظهروا أنه شنق نفسه، وأخرجوا جنازته مثل الغرباء وتوفي وعمره 31 سنة، منها 10 أعوام في سجن أخيه الصالح، وكان ملكه بضعة عشر شهراً ولم يعش الصالح بعد أخيه العادل إلا شهراً[3].

وفي سنة 662هـ/1263م أمر الملك الظاهر بخنق الملك المغيث عمر[4] صاحب الكرك فخنق بقلعة القاهرة محبوساً بعدما رفض الخروج إلى قلعة الكرك ليعتقل بها[5].

أمر السلطان الأشرف خليل بقتل الأمراء سنقر الأشقر وركن الدين طقصو بعد أن اعترفا أنّهم كانوا يريدون قتله فقتلا خنقاً، وأفرج عن لاجين لأنه لم يكن مطلع على مخططهم، وضع الوتر فى حلقه لخنقه، فضمنه خشداشه[6] الأمير بدر الدين بيدرا المنصوري نائب السلطان، وعلم الدين سنجر الشجاعي وغيرهما[7].

---

1 - رحلة ابن بطوطة، ج1، ص292.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص204.

3 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص156.

4 - عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن أيوب الملك المغيث فتح الدين أبو الفتح. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص297.

5 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص297.

6 - الخشداش: الزميل في الخدمة، والخشداشية هي رابطة الزمالة بين الأمراء الذين نشأوا مماليك عند أستاذ أو سيد واحد. عاشور: العصر المماليكي، ص435.

7 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص13.

وقتل الأمير يلبغا السالمي خنقاً في حبسه، بعد مشاحنة بينه وبين جمال الدّين الأستادار فعاقبه ونفاه إِلَى الإسكندرية، ولَم يزل بالسجن إِلَى أَن دفع الاستادار أمـــوالاً جزيلـــة للملـــك الناصر ليقتله، فَأذن فِي قَتله فقُتل فِي محبسه خنقاً وهو صائم في رمضان بعد صلاة عـــصر يوم الجمعة سنة 811هــ/1409م [1]. وهذه الرواية تُظهر غياب القيم الإسلامية والأخلاقيـــة عند من أمر ونفَّذ ذلك القتل البشع.

وقتل عدد من الأمراء خنقاً في سجنهم ومنهم: الأمير تغري بري سنة 828هــ/1425م، والأمير تمراز المؤيدي بسجن الإسكندرية سنة 840هــ/1436م[2].

وقُتل قاضي حلب مجد الدّين الْحَمَوِيّ الحنبلي خنقاً على باب محبسه في قلعة حلب، في سنة 858هــ/1192م، لقيامه بالحكم على شاب يُعرف بابن قَاضِي عنتاب بالموت خنقاً بِغَيْر مسوغ مُعْتَمد[3]. وهذه الحادثة من باب المعاملة بالمثل، فقد قُتل القاضي بنفس الطريقة التـــي أمر بها بقتل إنسان بريء.

قطع الرأس والذبح:

قام السلطان صلاح الدين الأيوبي بضرب عنق الأمير الصليبي أرناط صاحب الكـــرك بعد أسره في معركة حطين سنة 583هــ/1187م، كما قام بضرب أعناق عدد من الأســـرى في عدة معارك بعد أن ثبت أنهم من المجرمين الرماة، وبعد رفضهم الدخول في الإسلام[4].

وفي سنة 813هــ/1411م قتل الملك الناصر محمد 180 نفساً من المماليك المحبوسين في القلعة وكان أكثر قتله ذبحاً، ويحدث ابن الصيرفي أن أحد مماليك السلطان يسمى أزبـــك الإبراهيمي كان ممسوكاً مع جماعة فرسم السلطان الملك الناصر بذبحه مع رفاقه، فذبح رفقته إلى أن وصلوا إليه فسأله السلطان عن اسمه فقال: "غنم، ادبح"، فضحك منه السلطان وأمـــر بإطلاقه[5].

وفي سنة 832هــ/1429م قطعت رأس الخواجة التبريزي تحت شباك الصالحية بـــين القصرين بالقاهرة[6].

---

1 - السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص220.

2 - المقريزي: السلوك، ج7، ص366. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص429.

3 - السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص242.

4 - ابن شداد: النوادر السلطانية، ج1، ص70.

5 - ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص288.

6 - المصدر نفسه، ج1، ص152.

وفي بعض الأحيان يقوم المشاعلي الذي يتولي قطع رأس المحكوم عليه بتنفيذ الحكم بطريقة بشعة، وحدث ذلك في مقتل الأمير قرقماس في الأسكندرية، فقد أخرج من سجنه بقيده، وحضر المشاعلي والوالي، فقُدِّم وأجلس على ركبتيه، وأخرج المشاعلي سيفاً من غير قراب، كان ملفوفاً بحاشية من حواشي الخوخ، وضرب به رقبة قرقماس، فقطعت من رقبته مقدار نصف قيراط لا غير، وعند وقوع الضربة صاح قرقماس صيحة واحدة مات فيها من عظم الوهم، ثم ضربه المشاعلي أخرى ثم ثالثة، وفي الثالثة حزها حزاً حتى تخلصت [1].

الخازوق:

الخازوق: عَمُود مدبب الرأس كانوا يُجلسون عليه المذنب فِي الأزمان الغابرة فَيدْخل من دبره وَيخرج من أعلاه[2]، ليموت موتاً بطيئاً أليماً بنزيف الدم، وتمزق عورته وأمعاؤه، ويكون طوله أكثر من 70سم[3].

وعُرف هذا النوع من الإعدام في أواخر العصر المملوكي، وتتحدث المصادر عن سيرة الأمير أيدمر الشمسي القشاش الذي كان والي الغربية والشرقية معاً، أنه كان يعذب أهل الفساد بأنواع عنيفة من العذاب منها أنه كان يغرس خازوقاً ويجعله محدداً قائماً، ثم يسقط الرجل عليه من أعلى فيسقط على الخازوق فيدخل فيه ويخرج من بدنه[4].

وفي سنة 902هـ/1497م أُلقي القبض على رجلين وجارية في دمشق بتهمة ارتكاب جريمة قتل، وأمر نائب السلطنة بالشام بتخوزقهم على أوتاد، فمات الرجلان، واستمرت الجارية حية وهي مخوزقة، تحادث الناس ويحادثونها إلى وقت العصر، فأمر النائب بتخزيقها ثانياً فماتت[5].

وفي سنة 905هـ/1500م حكم النائب في دمشق على رجل أزعر من الصالحية بأن يخوزق وعلى بنت خطأ جارية بيضاء، اسمها جان سوار بأن تخوزق[6].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج7، ص393. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص281.

2 - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج1، ص232.

3 - دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص66.

4 - المقريزي: السلوك، ج2، ص366.

5 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص142.

6 - المصدر نفسه، ص179.

وفي سنة 920هـ/1515م رسم السلطان بقتل طحان اتهم باللواط والقتل بوضعه على الخازوق ففعل به ذلك[1].

الشنق والشنكلة:

أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بشنق عمارة اليمني وكان شاعراً يعادي الأيوبيين ويناصر الفاطميين، وقد أُتِي بِهِ إِلَى المشنقة فشنق بدرب يعرف بخرابة السود في 12 رمضان سنة 569هـ/1174م بالقاهرة[2].

في سنة 663هـ/1264م شُنق حصن الدين بن ثعلب في الإسكندرية بعد فراره من السجن، وشُنق الشريف السرسنائي تحت قلعة القاهرة بعد اتهامه بمساعدة ابن ثعلب على الهرب[3].

في سنة 775هـ/1374م شنقت امرأة عرفت بالخناقة وزوجها يدعى جُمُعَة الخناق، وكانا يسكنان فِي تربة من ترب القاهرة فيدوران بالقاهرة وظواهرها ويخطفون أولاد الناس، ويخنقوهم لأخذ مَا عليهم من ثياب، ففقد النَّاس عدَّة أولاد وَاشْتَدَّ حزنهمْ عليهم، وانتشر الذعر، حتى قبض عليهما، وشنقا خارج باب النصر[4].

وشنق الأمير سيف الدين تنم المؤيدي سنة 842هـ/1438م [5]، وفي سنة 885هـ/1480م رسم السلطان بشنق القاضي تاج الدين بن المقسي، وكان قبلها قد سُمِّر وطِيفَ به البلد وحكم السلطان بتوسيطه ثم عفى عنه، ولكنه عاد ورسم بشنقه، فأخذ إلى منطقة غيط الحاجب وشُنق على جميزة هناك، وشُنق معه في نفس اليوم قاسم بن بقر أمير عربان جذام[6] بالشرقية[7].

---

1 - سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص296.

2 - الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج1، ص363.

3 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص323.

4 - المقريزي: السلوك، ج4، ص365.

5 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص175.

6 - عرب جذام اليمنية ويقال أنها مضرية ثم نسبت إلى قبائل سبأ بعد هجرتها لليمن، ونزلت جذام بالفسطاط ثم استقرت بأرض الحوف في عصر الدولة الأيوبية، وفي عام 565هـ/ 1169م أصدر صلاح الدين أمره إلى عرب جذام بالشرقية بالانتقال إلى البحيرة وذلك لعدم رضائه عن اشتغالهم بالتجارة مع الفرنج، ومع ذلك فإن جماعة منهم ظلت تسكن بالشرقية. السيد: تاريخ القبائل العربية، ص47.

7 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص495.

وفي سنة 909هـ/1503م رسم السلطان بشنق علي بن أبي الجود، فشنق على باب زويلة، واستمر معلقاً ثلاثة أيام لم يدفن حتى نتن، ثم نزلوا به ودفن، ولم يحزن أحد من الناس عليه لما سبق منه في حق الناس من الأفعال الشنيعة، وكان السلطان صادر أمواله وعاقبه وعصره ودق القصب في أصابعه وأحرقها بالنار[1].

وفي سنة 920هـ/1515م اعتدى خياط يقال له نجا بن تمساح على صبي صغير فأتلفه وذبحه ورماه في بئر، فقبض على الجاني فاعترف، فرسم السلطان بشنقه في المكان الذي قتل فيه الصبي، وقيل رسم السلطان بقطع مذاكيره وتعليقها في عنقه وهو مشنوق[2].

وفي سنة 926هـ/1520م شنق نائب الشام رجلاً كان محبوساً في حبس باب البريد، بسبب قتله رفيقه في السجن[3].

أما الشنكلة فهي أن يُعلق المحكوم بكلاليب معقوفة من تحت إبطيه وينزف حتى يموت[4].

وفي سنة 903هـ/1497م قبض جان بلاط، دوادار السلطان بدمشق، على أحد المجرمين يسمى إبراهيم بن عطا، أحد زعر الصالحية المفسدين، فأمر بأن يشنكل ليقر بما نهب، ثم أمر بإنزاله وتقريعه وشنقه، ففعل معه ذلك، فشنق مكانه والنائب راكب على فرسه[5].

وهاجم اللصوص مدينة دمشق سنة 804هـ/1401م وقتلوا ونهبوا في البلد، فقُبض على كثير منهم وشنقوا بكلاليب معلقة في أفواههم[6].

وفي سنة 760هـ/1359م وقع تمرد في قرية حوران[7] من قبل قبيلتي بني لبسه وبني ناشي، وأرادوا قتال الوالي، ولكن الوالي انتصر عليهم، وأسر منهم نحو ستين رجلاً، وأمر

---

1 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص717.

2 - سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص296.

3 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص395.

4 - دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ج99.

5 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص174.

6 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص204.

7 - كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص435.

بقطع رؤوس القتلى وتعليقها في أعناق هؤلاء الأسرى، حتى إنه قطع رأس شاب منهم وعلق رأسه على أبيه، حتى قدم بهم بصرى فشنكل طائفة من أولئك المأسورين ووسـط الآخـرين وحبس بعضهم في القلعة، وعلق الرؤوس على أخشاب نصبها حول قلعة بصرى[1].

التسمير:

نوع من الصلب على صليب من الخشب أو على أداة تسمى "لعبة التسمير"[2]، وتدق أطراف المحكوم عليه بالمسامير إلى الخشب، فيبقى المسمَّر ساعات أو أياماً حتى يموت وهذا يسمى "تسمير الهلاك"[3]، وقد يُفك منه التسمير ويعفى عنه ويسمى "تسمير التعزير والتأديب"، أما تسمير الهلاك فهو كما حدث في سنة 693هـ/1294م فقد توفي من التسمير سبعة من الأمراء بعدما اتهموا بقتل بيدرا[4] نائب السلطان، فقد أخرجوا من السجن وقطعت أيديهم بساطور، وعُلقت على صدورهم، ثم سُمروا وطِيفَ بهم القاهرة، وحدث أن زوجة أحد المسمرين لما رأته ألقت بنفسها من فوق بيتها عليه، فشفع فيهم بعض الأمراء ففُك عنهم التسمير، فلما علم بذلك مماليك المقتول ألحوا على السلطان ليعيدهم إلى التسمير حتى رضي، فأعادوهم إلى التسمير مرة أخرى وكان ذلك أشد من المرة الأولى، وبقوا على ذلك حتى ماتوا بعد يومين[5].

ومن ذلك ما حدث في سنة 646هـ/1248م، في عهد الملك الصالح أيوب، فقد قَتَلَ مملوك تركي صبي سيده بعد أن دفعه عنه لَمَّا أراد بِهِ مِنَ الفاحشة، فَصُلِبَ الغلام مُسَمَّرًا، فتأسَّف الناس لَهُ لكونه صغيراً ومظلوماً وَحَسَنًا، ونظموا فيه قصائد[6].

---

1 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص304.

2 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص184.

3 - دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص45.

4 - بيدرا: الأمير بدر الدين بيدرا نائب الملك الأشرف خليل، كان أعز الناس عند أستاذه الملك المنصور قلاوون، من كبار المقدمين في دولته، فلما ملك الأشرف جعله أتابكاً، وكان يرجع إلى دين وعدل وعقل ويحب الكتب، وكان يحب الفضلاء ويقدمهم ويكرمهم لكنه خرج على الأشرف وقتله هو وحسام الدين، ورجع تحت عصائب السلطنة وحلفوا له ووعدوه بالملك فلم يتم له أمر وقتلوه من الغد في 13 محرم سنة 693هـ/1294م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص224.

5 - العيني: عقد الجمان، ص271.

6 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص204.

وفي سنة 742هـ/1341م نُفذ حكم التسمير في عبد الْمُؤمن بن عبد الْوَهَّاب السلَامِي وَالِي قوص، بعد أن أُخرج من السجن وسمَّر على بَاب المارستان المنصوري مـن الْقَـاهِرَة بمسامير جافية شنعة وطِيفَ بِهِ لمدة ستة أيام وَهُوَ يحادث النَّاس ثم شُنق على قنطرة السد في مصر (الفسطاط) عند الكيمان وتُرك حَتَّى ورم وأكلته الْكلاب[1].

وربما طِيفَ بالمسمَّر عدة بلدان ليكون عبرة فقد أمر الملك الناصر محمد بتسمير أحـد المحتالين يدعى نجم بن أَحْمد الحطيني الذي صنع ملحمة وخدع بها أحـد مماليـك الناصـر وأوهمه أنه سيصبح ملكاً، فسُمَّر وأُرسل على جمل إلى دمشق ثم طِيفَ به الشام حتى وصلوا به إلى الفرات فألقوه فيه[2].

وفي سنة 787هـ/1385م سُمِّر ثمانية عشر لصاً من رجال المنسر على جمال وثلاثة سُمِّرت أَيْديهم فِي الْخشب وألبسوا فِي أَرجلهم قباقيب خشَب ثمَّ سمرت أَرجُلهم فِيهَا، وأكرهوا حتى مَشوا وهم مسمرون كذلك، وشهروا جَمِيعًا بالقاهرة ثمَّ وُسِّطوا إِلَّا واحد منهم أبقي عليـه ليدل على بَقِيَّتهم[3].

وفي سنة 891هـ/1486م سُمِّر شخص من أعيان المفسدين يقال له حمـور، ومعـه جماعة آخرين، فنزلوا بهم من القلعة وهم مُسمرين على لعبة من الخشب، غريبة الهيئة تجـر بالعجل، ولها حركات تدور بها، فرجَّت القاهرة من ذلك اليوم، وكان يوماً مشهوداً، وتوجهوا بهم إلى جزيرة الفيل فوسطوهم هناك[4].

أما تسمير التعزير والتأديب، فنذكر له مثالاً، وهو ما حدث سنة 748هـ/1347م حينما قبض نائب دمشق على مجموعة من اللصوص نهبت أموال التجار، فقطع أيـدي 24 رجـلاً منهم، وسمَّر 16 رجلاً تسمير تعزير وتأديب[5].

وفي سنة 805هـ/1403م سُمِّر خمسة أمراء وكبيرهم سودون الجلب، بتهمـة إقامـة الفتنة، ثم شفع فيهم الأمراء عند السلطان، فأطلقهم من التسمير، ثم جعلوا في قيد وسلاسـل،

---

1 - المقريزي: السلوك، ج3، ص363.

2 - العسقلاني: الدرر الكامنة، ج6، ص154.

3 - المقريزي: السلوك، ج5، ص184.

4 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص536.

5 - ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج2، ص511.

وحبسوا في خزانة شمائل، ما عدا سودون الجلب فإنه سفر إلى الإسكندرية، ثم نُفِي إلى بلاد الفرنج[1].

التغريق:

في العهد الأيوبي أمر الملك الصالح نجم الدين أيوب بقتل جماعة من الأشرفية وغيرهم، وغرَّق بعضهم في البحر وذلك في حدود سنة 644هـ/1246م [2].

وفي العهد المملوكي أمر الملك الظاهر بيبرس في سنة 668هـ/1270م بقتل عدد من الأسرى الفرنج الذين في سجون القاهرة، رداً على قيام الفرنج بضرب رقاب الأسرى المسلمين، فأخذ من أعيان من عنده من أسراهم نحو 100 أسير فغرقهم في النيل ليلاً[3].

وفي سنة 735هـ/1335م عوقب الأمير شمس الدين حمزة بسبب شكاية رفعت إلى النائب بأنه ظلم الناس أثناء عمارته لحمام، فضربه بين يديه، وضربه بالبندق[4] في وجهه وسائر جسده، ثم حبسه بالقلعة، ثم نقله إلى بحيرة طبرية فغرقه فيها[5].

وفي سنة 769هـ/1367م أغرق السلطان في النيل جماعة من المماليك الذين تآمروا على قتله[6].

وفي سنة 791هـ/1389م قام منطاش بتغريق عدد من المماليك الظاهرية، وكان هؤلاء المماليك قد خرجوا عن الطاعة بمدينة قوص بصعيد مصر[7].

وفي سنة 793هـ/1391م أمر السلطان الظاهر برقوق بإحضار السجناء من سجن خزانة شمائل إلى الريدانية، فأفرد منهم 37 رجلاً، فأمر بثلاثة منهم فغرِّقوا في النيل، وهم محمد بن الحسام أرغون أسكي، وأحمد بن النقوعي، ومقبل الصفوي، وسمِّر منهم سبعة ثم وسِّطوا، ثم قتل من بقي منهم في السجن[8].

---

1 - ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص160.

2 - ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص37.

3 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص443.

4 - البندق: كتل من الطين تكون كالبندق ثم تجفف بالشمس أو تشوى على النار، وتوضع في وسط وتر القوس، ثم تشد مع الوتر وترمى إلى مكان بعيد بدل النبل. (دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص38).

5 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص197.

6 - المقريزي: السلوك، ج4، ص314.

7 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص362.

8 - المصدر نفسه، ج12، ص28.

وفي سنة 871هـ/1467م أمر السلطان خشقدم بإغراق يرش خازندار الأمير جاني بك نائب جدة، وكان شاباً صغيراً، فأسف الناس لإغراقه[1].

وفي سنة 902هـ/1497م حُكم على جارية بالموت غرقاً بنهر بردى بعد اتهامها بجريمة قتل، وكان النائب يريد قتلها على الخازوق، ولكن بعدما اتضح أنها حبلى أمر النائب بتغريقها، فعريت بالوادي الأخضر قبلي الوراقة العزية، وثقلت بحجارة وألقيت في الماء العميق ببردى، من فوق جسر طوغان[2].

وفي سنة 907هـ/1502م أمر السلطان باعتقال عدد من المماليك وتغريقهم في النيل[3].

التجويع:

حيث يمنع السجين من الطعام والشراب حتى يموت، ففي العهد الأيوبي اتهم السهروردي الفيلسوف شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك بالزندقة والاستهزاء بالدين[4]، فشنع عليه[5] فقهاء حلب وعملوا محضراً بكفره، وزادوا عليه أشياء كثيرة، فأمر السلطان صلاح الدين ولده الملك الظاهر بقتله، فاختار هو لنفسه أن يترك في بيت حتى يموت جوعاً، ففعل به ذلك سنة 586هـ/1190م بقلعة حلب[6].

كذلك اعتقل السلطان الصالح أيوب أحد خدامه ويدعى الناصح فمات في السجن من القلة والقمل، وذلك بسبب أنه كان عاملاً للملك الجواد على دمشق فصادر أهلها وأخذ منهم نحواً من ستمائة ألف دينار، فلما استولى الصالح أيوب على دمشق سجنه[7].

---

1 - سليم: موسوعة سلاطين المماليك، ج2، ص295.

2 - ابن طولون: مفاكهة الخلان: ص142.

3 - المصدر نفسه، ص199.

4 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص290.

5 - شنع عليه: بمعنى استقبح فعله. وافي: ألفاظ الحضارة، ص458.

6 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج41، ص284.

7 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص117.

وفي العهد المملوكي كانت هذه الطريقة من الطُّرق التي لجأ إليها السلطان الناصر محمد بن قلاوون في القضاء على مناوئيه[1]، وممن توفي في السجن بهذه الطريقة الأمير سيف الدين سلار المغلي سنة 710هـ /1311م في قلعة القاهرة[2]، وقيل أنه أكل حذاءه من الجوع[3]، وقد كان موته جوعاً عبرة وعظة وقيل فيه شعراً وهو:

في أمر سلار للألباب موعظة	لم يحتج العقل إذ يحتج برهانا
حوى كنوزاً إذا قارون قارنها	طافت عليه من الأموال طوفانا
وبعد ذلك لم تقدر يداه على	لبابة وقضى في الحبس جوعانا
فألف أفٍّ لدنيانا وزخرفها	فما سمعناه عن سلاَّر سلاَّنا[4]

وممن مات جوعاً بالسجن الأمير سيف الدين برلغي الأشرفي سنة 710هـ/1311م أيضاً بعد أن قبض عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وسجنه في قلعة القاهرة بتهمة التآمر عليه[5]، ومنع عنه الطعام والماء حتى يبست أعضاؤه وجف لسانه[6]، وكذلك الأمير بكتوت الفتاح سنة 811هـ/1409م ، وكان قد اعتُقل هو والأمير أيدمر الخطيري في سجن الإسكندرية، وبعد وفاة بكتوت الفتاح، رسم السلطان بنقل أيدمر إلى مكانه ليموت نفس الميتة، ولكن نائب الإسكندرية بكتوت الخزنداري كان صديقاً لأيدمر، فلما ورد عليه المرسوم بنقله بعث له بالخفاء إناءً كبيراً جداً فيه ماء، ومعه رغيف كبير يزن أرطالاً كثيرة ليتقوت به، فعندما دخل الخطيري إلى المكان الذي مات فيه الفتاح استعان بالخبز والماء ثلاثة عشر يوماً حتى صدر مرسوماً بالإفراج عنه وقد ظن الجميع بأنه مات[7].

---

1 - المقريزي: المقفي، ج2، ص366.

2 - اليافعي: مرآة الجنان، ج4، ص186.

3 - الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص87.

4 - الصفدي: أعيان العصر، ج2، ص494.

5 - المصدر نفسه، ج2، ص51.

6 - المقريزي: السلوك، ج2، ص464.

7 - المقريزي: المقفي، ج2، ص366-367.

ثانياً: أنواع التعذيب

لقد شهد ذلك العصر أنواعاً قاسية وعنيفة من التعذيب الجسدي والمعنوي، تقشعر لوصفه الأبدان، خاصة في العصر المملوكي الذي وُجدت فيه أساليب للتعذيب لم تكن في العهد الأيوبي، ويجدر الإشارة إلى أن هذا التعذيب مثل: الضرب، وتكحيل الأعين، وعصر الأعضاء، والتشهير والتقريع للمعتقل، وغيرها ليس لها أي مسوغ شرعي في الشريعة الإسلامية، وهي تنافي تعاليم الدين الإسلامي، حيث فيها إهدار للكرامة الإنسانية، إذ لا يجوز تعذيب المجرم فضلاً عن المتهم، لقول النبي r : "إن الله يعذب الذين يُعذبون الناس في الدنيا"[1] ، كما لا يجوز حمل المتهم على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها، وكل ما ينتزع بوسائل الإكراه باطل، لقول النبي r : "إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه"[2].

وقد تنوعت طرق التعذيب في ذلك العصر على النحو التالي:

الضرب بالمقارع والعصي:

والمِقْرَعة: هي السَّوْط[3]، وهي خشبة في رأسها سَيْرٌ يضربُ بها البغال والحمير[4]، وكان سير المقرعة يُسمى "شيب" في ذلك العصر، فيقال "ضُرب مائتي شيب"[5].

والتعذيب بالضرب يتم بتعرية ظهر السجين ويضرب بالمقارع على ظهره، أو يضرب بالعصا على أكتافه ومؤخرته وقدميه[6].

وقد كان الضرب في العصر الأيوبي بناءً على حكم تعزير من القضاة، ومن الأمثلة القليلة على ذلك: في سنة 612هـ-1216م أُحضرت امرأة إلى دار العدل بحلب، واعترفت بالكذب على شخص، فقال الملك الظاهر غازي للقاضي ابن شداد: ماذا يجب عليها؟ قال:

---

1 - مسلم: صحيح، ج4، ص2018.

2 - ابن ماجه: سنن، ج1، ص659.

3 - تاج العروس، ج21، ص546.

4 - الفراهيدي: العين، ج1، ص157.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص110.

6 - المصدر نفسه، ج15، ص53.

التأديب، فقال: تضرب بالدرة شريعة، ويقطع لسانها سياسة، فقال له القاضي أبو شامة: الشريعة هي السياسة الكاملة وما عداها تعدياً عليها، فأطرق الظاهر، فأُدِّبت المرأة وسلمت من قطع لسانها[1]. وهذا دليل على أن السلاطين الأيوبيين كانوا يلتزمون بحكم الشرع ويحترمون رأي العلماء في غالب الأحيان.

ولكننا نجد في العصر المملوكي تعديات كثيرة على كرامة الإنسان، وأنواع من التعذيب الشديد، ومن أشد الناس تعذيباً بالمقارع الوزير موسى بن التاج فقد اعتُقل بسعاية من أحد الأمراء يدعى النشو سنة 731هـ/1330م وصودرت ممتلكاته وضرب بالمقارع أكثر من مائتي شيب وسُعِّط بالماء والملح وبالخل والجير حتى ظنوا أنه مات، فأصبح سوياً، ثم عُقِّد له شيب المقرعة وضُرب بها، فكانت إذا نزلت على جنبه تثقبه، وفي أحد المرات قطعت من ظهره قطعة لحم كمثل الرغيف، حتى ظنوا إنه مات، فوجدوه حياً، واستمروا على ذلك أشهراً، ثم عذبوا زوجته وكانت حاملاً فولدت فعاش ولدها حتى كبر، وما زالا في العقوبة حتى هلك النشو[2].

وربما توفي السجين المضروب من شدة الألم والخوف، كما حدث مع إحدى مغنيات مصر وتدعى خديجة الرحابية، التي قبض عليها والي القاهرة يشبك بن حيدر، وكانت من أعيان مغنيات مصر، جميلة حسنة الغناء، ولها حظوة عند أرباب الدولة والرؤساء، فافتتن بها كثير من الناس، فلما قبض عليها يشبك كانت في بعض الأفراح، فلما مثلت بين يديه قال لها: "أنت التي أفسدت عقول الناس"، ثم أمر بضربها بين يديه نحواً من خمسين عصا، وقرر عليها مبلغاً له صورة [3]، وكتب عليها قسامة أنها لا تغني ولا تحضر مقام، فلما خلصت من ذلك قامت مريضة مدة من الرجفة التي وقعت لها، ثم ماتت عقيب ذلك، وكان عمرها 30 سنة[4].

وأشد أنوع الضرب كان يسمى "المقترح"، وهو "أن يضرب الناس وقوفاً على ألواح أكتافهم، فإذا مال أحدهم إلى قُدام ضربوا على صدورهم"، وأول من استحدث هذا هو كريم الدين الصغير ناظر الدولة المصرية[5] سنة 726هـ/1325م [6].

---

1 - أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص64.

2 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص110-112.

3 - مال له صورة: أي كثير. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص487.

4 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص506.

5 - ناظر الدولة: من يساعد الوزير في تسيير أعمال وزارته. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص150.

6 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص200.

فقد ضُرب سعد الدين بن البقري ناظر الخاص سنة 785هـ/1383م بالمقارع في حضرة السلطان، ثم أعيد الضرب عليه فضُرب تحت رجليه ثلاثمائة عصى وعلى ظهره مقترح مثلها وعلى إسته مثلها، وصار من شدة الضرب يمرغ وجهه في الحصباء إلى أن أثر ذلك في وجهه أثراً لم يزل إلى أن مات[1]، وكذلك يلبغا السالمي ضُرب مقترح سنة 802هـ/1400م[2]، وضُرب رجل أعجمي ضرباً مقترحاً مائة عصى وجُرِّس، بسبب أنه قال للسلطان برقوق أن النيل سوف يتوقف ماؤه، فأمر بحبسه وضربه سنة 783هـ/1381م[3].

التقييد:

ويستعمل للتقييد عدة أدوات منها: الجنزير، وهي سلسلة من المعدن تستعمل كالشريط وهو بالفارسية زنجير[4]، وكانت توضع في رقبة السجين باشة[5] من الحديد متصلة بجنزير وهو مقيد اليدين[6].

وكانت توضع أيدي وأرجل السجناء في الخشب[7]، حيث توضع الأرجل في المقطرة أو الفلق، وهي خشبة بها خروق على قدر سعة الساق، يُحبس فيها السجناء من اللصوص والدعار على قطار[8]، ويوجد مثلها لليدين فعندما قبض على مجموعة من المماليك بتهمة التآمر لإثارة الفتنة وعددهم حوالي 300 مملوك بالغوا في إهانتهم بأن وضعوا الزناجير في أعناقهم، وعملت يدي كل اثنين منهم في خشبة وسجنوا بخزانة شمائل[9].

---

1 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص277.

2 - المصدر نفسه، ج2، ص104.

3 - المصدر نفسه، ج1، ص233.

4 - المعجم الوسيط، ج1، ص140.

5 - الباشة: القيد الذي يوضع في عنق أو قدمي المُعتقل، وهو عبارة عن حلقة ذات عروة وزر تجعل في طرف القيد فتحيط بالرسغ عند الربط. العمايرة: المعجم العسكري المملوكي، ص59.

6 - السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص252.

7 - المقريزي: السلوك، ج5، ص263.

8 - تاج العروس، ج26 ص311.

9 - المقريزي: السلوك، ج2، ص317.

وعندما كان أولي الأمر يريدون التضييق على السجين كان يُقيد بالحديد الثقيل في قدميه وتوضع يديه في الخشب كما حدث مع ابن المشطوب في سجن حران سنة 619هـ/1222م حيث بقي على هذا الحال حتى توفي بعد أشهر قليلة[1].

التكحيل:

عقوبة تنفذ بميل حديد محمًّى بالنار، ويكحلون عين المذنب حتى تسيل الحدقات فيفقد عينه[2]. ونورد عدة أمثلة ومنها: في سنة 852هـ/1448م أمر السلطان بتكحيل الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي النقيب ويقال له "زيرامو"، والأمير بهادر التقوى الزراق بعدما هربا من سجن الإسكندرية وقبض عليهما، فكحلا بالحديد المحمي مرتين حتى فقدا البصر[3].

ومن الأمراء الذين كحلوا في السجن الأمير صاروجا سنة 743هـ/1343م [4]. والشريف سرداح بن مقبل الذي توفي سنة 833هـ/1430م، وقد حدث معه أمر غريب، فإنه بعد أن كحلوه حتى تفقأت حدقتاه وسالتا وورم دماغه وأنتن، توجه بعدها إلى المدينة المنورة ولاذ بقبر النبي r ، ودعا الله سبحانه وتعالى، فأصبح وعيناه أحسن مما كانتا، وقيل أنه رأى النبي r في منامه ففتح عينيه بيديه فانتبه وهو يبصر، وشاع هذا واشتهر في المدينة، ثم حضر إلى القاهرة فبلغ السلطان حضوره فشق عليه وغضب، وطلب اللذين توليا كحل عينيه وضربهما فأقاما عند السلطان البينة، فعفا عنه السلطان[5].

وفي سنة 895هـ/1490م رسم السلطان قانصوه الغوري بقلع عيني شخص يقال له علي بن محمد المرجوشي، وقطع لسانه أيضاً، وسبب ذلك أنه أوحى إلى السلطان بأنه يعرف علم صنعة الكيمياء، فانصاع له السلطان حتى أتلف عليه جملة مال، ولم يستفد من ذلك شيئاً[6].

---

1 - اليافعي: مرآة الجنان، ج4، ص35.

2 - دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص48.

3 - المقريزي: السلوك، ج3، ص25.

4 - الحنبلي: شذرات الذهب، ج8، ص240.

5 - ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص210.

6 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص562. عاشور: العصر المماليكي، ص473.

العصر:

وهو نوع من أنواع التعذيب، وكيفية ذلك أن يوضع الشخص في آلة تسمى المعــصرة وهي آلة تتكون من خشبتين مربوطتين ببعضهما يوضع بينهما وجه المعاقــب أو رأســه أو رجلاه أو عقباه ثم تشد الخشبتان شداً وثيقاً، ويضغط عليه حتى تكاد تزهق روحه، ويؤدي ذلك في كثير من الأحيان إلى كسر العظم المعصور بين الخشبتين، ويطلب إليه أن يعتــرف بمــا عنده من أموال[1].

وكانت هذه الوسيلة تستخدم لإجبار السجين على الاعتراف بجريمته، أو مكان أموالــه المخبأة لمصادرتها، وتُعصر أعضاؤه، مثل أصداغه[2] وكعبيه[3] ورجــلاه[4] بالمعاصــير[5] والكسارات[6]، وينال من الألم الشديد حتى يُشرف على الموت[7]، أو تكسر أعضاؤه[8].

فقد توفي في قلعة دمشق سنة 607هــ/1210م شخص يدعى ابن الدخينة بعد أن عُصر وعُذِّب هو وزوجته وأبنائه لإجباره على الاعتراف عن مكان أموال استولى عليها[9]، وكان قد سُرق مبلغ ستة عشر ألف دينار مصرية ومصاغ ذهبية من مخزن أيتام في قيسارية الفــرش بدمشق في سنة 601هــ/1205م واعتُقل على أثرها خلق كثير، ثم اكتشف السارق وهو ابن الدخينة [10].

واعتُقل جمال الدين الأستادار سنة 812هــ/1410م حيث أحضر بين يــدي الــسلطان محمولاً لعجزه عن المشي من شدة العقوبة، فقد عوقب بالعصر في رجليه فدل على أموال قد خبأها وُجدت مدفونة في التراب عبارة عن ذهب زنته خمسة وعشرون ألف مثقال، وأمــوال أخرى وُجدت في تسع قفاف مملوءة ذهباً، كما عذبوا ابنه بحضرته فدل على مائتي ألف دينار

---

1 - دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص113.

2 - المقريزي: السلوك، ج3، ص414.

3 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص111.

4 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص64.

5 - المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص215.

6 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص327.

7 - المقريزي: السلوك، ج6، ص345.

8 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص311.

9 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج32، ص43.

10 - أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص50.

وغيرها، وبقي يزيد عليه في التعذيب والعصر حتى دل على أموال كثيرة، ثم أعاده إلى سجنه وأمر بمعالجته حتى يبرأ [1].

التشهير:

وطريقته أنهم كانوا يطوفون بالمُشَّهر به راكباً على حمار بالمقلوب في أرجــاء البلــد وينادي عليهم: "هذا جزاء من يفعل كذا وكذا"[2].

ففي العهد الأيوبي قدم حلب أحد الشعراء يدعى ابن العود، وكان شيعياً، وتــردد إلــى الشريف عز الدين مرتضى نقيب الأشراف فاسترسل معه يوماً ونال من أصحاب رســول الله **r** فعاقبه النقيب، وأمر بجرِّه من بين يديه وأُركب على حمار مقلوباً وصُفِعَ في الأسواق ونزل إلى مزبلة واغترف غائطاً ولطخ به ابن العود[3].

وفي حدود سنة 592هـ/1196م قبض الملك الظاهر غازي على وزيره العلم بن ماهان بتهمة التمرد، وقطع يده ولسانه وأذنيه وقلع عينه، واستولى على أمواله، ثم أركبه على حمار مقلوب، وعلى رأسه خف امرأة، ويده معلقة في عنقه، وطِيفَ به على تلك الحال في أنحــاء اللاذقية، ثم أخذوه إلى السجن [4].

وفي عصر دولة المماليك اعتُقل أحد الفقهــاء يــدعى ابــن زهــرة المغربــي ســنة 712هـ/1312م بعد شهادة عليه من بعض القضاة أنه يستهين بالمصحف ويحتقر أهل العلم، فأحضر إلى دار العدل بدمشق وعُزِّرَ تعزيراً بليغاً وطِيفَ به في البلد وهو مكشوف الــرأس ووجهه مقلوب وظهره مضروب، ينادى عليه: "هذا جزاء من يتكلم في العلم بغير معرفة"، ثم حبس[5].

وكان العوام يتعرضون للمُشَّهر بهم ويهينونهم، فكان ابن السلعوس أثناء اعتقاله ســنة 690هـ/1291م يخرجون به كل يوم إلى القلعة على حمَار فيقف لَهُ أراذل النَّاس فِي الطَّرِيق

---

1 - المقريزي: السلوك، ج6، ص239.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص75.

3 - الصفدي: الوافي بالوفيات ج24، ص90.

4 - ابن العديم: زبدة الحلب، ص434.

5 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص75.

ومعهم المداسات الْمُقطعَة ويسمعونه كل مكروه فَينزل بِهِ من الخزي والنكال مَــا لَــا يعبــر عنه[1].

في سنة 762هـ/1361م شُهِّرَ الشيخ أَسد ابن الشيْخ الكردي على جمل وَطِيفَ به فــي حواضر البلد ونُودِيَ عليه: هذا جزاء مَنْ يخامر عَلَى السلطان ويُفْسدُ نواب السلطان، ثم أُنزل عَنِ الجمل وَحُمِلَ عَلَى حمار وَطِيفَ به فِي البلد ونُودِيَ عليه بذلك[2].

وفي سنة 795هـ/1393م قُبِضَ على تاج الدين ابن أبي شاكر الوزير وسُــلم لــوالي القاهرة، فضربه بالمقارع وأخرجه على حمار وفي عنقه الحديد فترامى على الناس وطــرح نفسه على الأبواب يستعطي ما يستعين به في مصادرته ثم أفرج عنه[3].

وفي سنة 802هـ/1400م أمر الأمير يلبغا السالمي بــالقبض علــى الأميــر عمــر الدمياطي، وضربه ضرباً مقترحاً وطِيفَ به على حمار مقلوب وسجن بالخزانــة أيامــاً ثــم أطلق[4].

وفي سنة 816هـ/1414م ضُرب الوزير تاج الدين بن الهيصم[5] ضرباً شديداً، وقيــل إنه عُلِّق على جمل مقلوب الرأس لأسفل، والرجلين إلى فوق، وساقوا الجمل [6].

وقد يطاف بالسجين عدة بلدان وهو مُشَّهر على حمار، كما حدث مع أبي الخير النحاس سنة 856هـ/1452م فقد أخرج من سجن برج قلعة القاهرة منفيّا إلى البلاد الشامية، ورُســم بحبسه بقلعة الصّبيبة، فأنزل بحالة يرثى لها، حيث أركب على حمار، وفــي رقبتــه باشــة وجنزير، وموكل به جماعة من الجبليّة، شقوا به شوارع القاهرة إلى أن أخــرج مــن بــاب النصر، والمشاعليّ ينادى عليه: "هذا جزاء من يكذب على الملوك، ويأكل مال الأوقاف"[7].

---

1 - المقريزي: السلوك، ج2، ص215.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص330.

3 - العسقلاني، إنباء الغمر، ج1، ص457.

4 - المصدر نفسه، ج2، ص104.

5 - الصاحب تاج الدين ابن الهيصم (ت834هـ/1430م): عبد الرزاق بن إبراهيم، الصاحب تــاج الــدين، القبطي المصري. مولده بالقاهرة، تنقل في عدة وظائف في عهد السلطان فرج، والسلطان برسباي نظر ديوان المفرد، وعزل، وكان شيخاً، للطول أقرب، وبإحدى عينيه خلل وعنده إقدام وجــرأة، مــع ظلــم وعسف، لم تشكر سيرته في ولاياته. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج7، ص254.

6 - ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص335.

7 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص443.

حبس السلطان تقي الدين عبد الرحمن بن حجي قاضى قضاة الشافعية بطرابلس بحبس المقشرة فحبس بها، بعد أن نودي عليه، وهو على حمار بشوارع القاهرة: "هذا جــزاء مــن يزوّر المحاضر"[1].

قطع الأعضاء:

في حدود سنة 592هــ/1196م قطع الملك الظاهر غازي بن السلطان صــلاح الــدين الأيوبي يد ولسان وأُذني العلم بن ماهان وقلع عينه، وأركبه على حمار مقلوب، وعلى رأســه خف امرأة، ويده معلقة في عنقه، وطِيفَ به في أنحاء اللاذقية[2].

في منتصف شهر رمضان سنة 791هــ/1389م نودي في القاهرة أنه من حمــل مــن الزعر سيفاً أو سكّيناً أو شالق بحجر وُسِّط، فقطع أيدي ستة منهم في يوم واحد[3].

وفي سنة 746هــ/1345م استعرض النائب المساجين في حلب فقطع أيدي وأرجل من 13 سجيناً مِمَّن حُبس على السرقة، وصلب ثلاثة من المسمرين مِمَّن استوجب القتل[4].

وفي سنة 750هــ/1349م حين وقع الغلاء بدمشق اختطف الحرافيش[5] الخبــز مــن الجوع، فقبض النائب على عدد منهم، فقطع أيدي وأرجل 18 شخصاً، وسمَّر 17 شخصاً وهو واقف في سوق الخيل[6].

السلخ:

برز هذا النوع من التعذيب حتى الموت في العهد المملوكي ولم يجد الباحث أي ذكر له في العهد الأيوبي، على الرغم من أنه عُرف قبل ذلك، ففي العهد الفاطمي قام المعز لــدين الله

---

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص447.

2 - ابن العديم: زبدة الحلب، ص434.

3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص346.

4 - ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج2، ص448.

5 - الحرافيش: جمع حرفوش: الذي ليس له صنعة أو حرفة، و لا يملك دُكاناً، وهم أحط طبقــات الــشعب. وقيل أيضاً: هم الرعاع ، والدهماء، وضعاف الخُــلُق، من الشحاذين والمعوقين، والمصابين بالعاهــات، و تميزوا بألبستهم الرَّثة، واستعدادهم للثورة والفتنة، وهم جماعة شــبه منظمــة، اســتحدث الــسلاطين لكبيرهم منصب سلطان الحرافيش، لضبطهم والحد من طغيانهم. عاشور: العصر المماليكي، ص430.

6 -ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج2، ص679.

الفاطمي باستدعاء ابن النابلسي[1] فقيه الشَّام فحمُل إليه فِي قفص خشب فَأمر بسلخه، فسلخ حَياً وحشى جلده تبناً[2].

ومن الحوادث التي حدثت في العهد المملوكي:

في سنة 783هـ/1381م أمر السلطان برقوق والي القاهرة ابن الكوراني بسلخ أحد رؤساء اللصوص يدعى ابن قرنميط واثنين من أتباعه، فسلخوا وحشوا تبناً وعلقوا على باب زويلة[3].

وفي سنة 819هـ/1417م قتل محمد بن سيف بن محمد بن عمر بن بشارة، بالقاهرة وحشي جلده تبناً وحمل إلى صفد[4].

وفي سنة 866هـ/1462م اعتُقل شخص يدعى حمزة بن غيث بن نصير الدّين، وقَامَ الدوادار الكبير جانبك الجداوي بقَتله بعد أن حكم بذلك القاضي المالكي الحسام بن حريز، بموافقة بقية القضاة في مجْلِس عقد لذَلِك فِي بَيت الدوادار، وأودع سجن المقشرة، ثم سلخ وحشى تبناً وطِيفَ بِهِ على جمل بشوارع القاهرة، ثم حُمل على تلك الهيئة إِلَى بلاد الرِّيف وطِيفَ به الْقرى والبلاد، وكانت تهمته الفسق وأَخذ الأموال والمجاهرة بالمحرمات، وَضرب الْفضة الزغل[5].

وفي سنة 894هـ/1489م رسم السلطان بسلخ شخص يدعى أحمد بن الديوان من أهل حلب، فسُلخ في سجن المقشرة، وسلخ معه والده محمد، وأشهروهما في القاهرة على جمال،

---

1 - الإمام القدوة الشهيد، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي، ويعرف بابن النابلسي. سجنه بنو عبيد وصلبوه على السُنة، ذكره الدارقطني وهو ويبكي ويقول: كان يقول وهو يسلخ "كان ذلك في الكتاب مسطورا" [الإسراء: 58] استدعاه العبيديون وقالوا له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهماً، وفينا تسعة. قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضاً، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهودياً فسلخه. وقد سلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر، حتى بلغ الصدر، فرحمه السَّلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه، فقضى عليه. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص220.

2 - أبو شامة: عيون الروضتين، ج2، ص220.

3 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص236.

4 - المصدر نفسه، ج3، ص117.

5 - السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص166.

وكان أحمد بن الديوان من أعيان الناس الرؤساء بحلب، وكان من خواص السلطان، فنقل عنه أنه أرسل رسالة للسلطان العثماني في شيء من أخبار المملكة[1].

وفي سنة 909هـ/1503م قُبِضَ على شخص يدعى سليمان بن حافظ بتهمة قتل الأمير دولتباي، وسُمِّر ثم سلخ وحشي تبناً وطِيفَ به[2].

وفي سنة 917هـ/1511م قبض نائب الغيبة بالشرقية على شخص من العربان من شرار المفسدين يقال له أحمد بن شكر، فسلخ جلده وحشاه تبناً وأرسله إلى السلطان[3].

ومن أبشع طرق التعذيب ما فُعُل بتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام ناظر الخاص وناظر الجيش سنة 755هـ/1354م، حيث حُلقت رأسه، ثم شُقت جلدة رأسه بالموسي وحشي جراحاته من الخنافس، ثم ألبس رأسه طاسه من نحاس قد أوقد عليه بالنار حتى اشتدت سخونتها فعندما أحست الخنافس بالحرارة سعت لتخرج فلم تجد سبيلاً فجعلت تنقب في جراحات رأسه حتى هلك بعد ما رأى أصناف العذاب[4]. وحين يمر القارئ على هذه القصة يقشعر بدنه من فظاعة وبشاعة الموقف، فلقد بلغت السادية بمن قام بهذا العمل الشنيع أنه يتفنن في إيذاء الناس بطرق في غاية الإجرام.

أنواع أخرى من التعذيب:

كان بعض السلاطين والولاة يبتدعون أساليب غريبة من التعذيب لم تكن معهودة، فعلى سبيل المثال عندما زاد فساد عرب الشرقية طلب الناصر محمد إحضار والي بر دمشق وكان مشهوراً بالظلم وسفك الدماء، وولاه على الشرقية، فأول ما بدأ به قام بتوسيط عدد من المفسدين، والمشاعلية بأن ينعلوا الرجال في أقدامهم بالمسامير مثل الفرس ويقول للمشاعلي: "لبِّسه النعل على صفة الزربول[5]"، وكان يُعلِّق الرجل في خطاف من حديد في حنكه، إلى أن يموت[6].

---

1 - ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص556.

2 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج1، ص219.

3 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص828.

4 - المقريزي: السلوك، ج4، ص209.

5 - الزربول: حذاء خفيف يصنع من جلد الماعز. حاشية نزهة الناظر، ص196.

6 - اليوسفي: نزهة الناظر، ص255.

في سنة 749هـ/1348م قُبِضَ على الشيخ عَلِيّ الكسيح نديم المظفر حاجي وَضــرب بالمقارع والكسارات ضرباً عظيماً وقلعت أضراسه وأسنانه شيئاً بعد شيء فِي عدَّة أيام وَنَوع لَهُ العذاب أنواعاً حتى هلك[1].

وفي سنة 768هـ/1366م توفي الوزير الصاحب فخر الدين ماجد بن قروينة القبطـي تحت العقوبة، بعد أن أحرقت أصابعه[2].

وأمر الناصر فرج بعقاب الكاتب والشاعر أحمد بن يوسف الزعيفريني، بقطـع لـسانه وعقدتين من أصابعه، وقد رفق به المشاعلي عند قطع لسانه فلم يمنعه من الكلام، وكان سبب عقابه أنه كتب ملحمة لجمال الدين الأستادار وأوهمه أنها قديمة وأنه يملك مصر[3].

واعتقلت مجموعة من المحتالين في دمشق سنة 729هـــ/1328م بعـد أن خـدعوا نصرانياً وأخذوا ماله، فأمر متولي دمشق بحبسهم وضربهم، وشقت مناخيرهم وشهروا علـى الحمير في شوارع دمشق[4].

وفي سنة 910هـ/1504م عوقب بدر الدين بن مزهر، وعصر في أكعابه ورُكبه، ودق القصب في أصابعه، وأحرقت بالنار، حتى وقعت عقد أصابعه، ثم نوَّعُوا له العذاب، فأخـذوا كماشة حديد، وأحموها بالنار، واختطفوا بها أبزازه وأطعموها له، ثم أخذوا له حبل قنب ولووه على أصداغه حتى نفرت عيناه من وجهه وسالت على خديه، وقاسى ما لا خير فيه، ثم توفي تحت العقوبة، وسبب ذلك كما ذكر ابن إياس أنه "كان يتولى نظارة الخـاص ويتقـرب إلـى خواطر الملوك بإيذاء الناس"، وكان الموكل بتعذيبه الحاج بركات بن موسى، ومعين الدين بن شمس وكيل بيت المال، وإبراهيم دوادار الوالي، والريس كمال الدين المزين[5].

1 - المقريزي: السلوك، ج4، ص69.

2 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص97.

3 - المصدر نفسه، ج15، ص142.

4 - النويري: نهاية الأرب، ج33، ص216-217.

5 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص727.

الخروج من السجن

تنوعت طرق الخروج من السجن، فمن المساجين من يشملهم عفو السلطان الخـــاص، ومنهم من يخرجون في العفو العام، أو عن طريق شفاعة أحد الأمراء وغير ذلك من الطُّرق ونفصلها على النحو التالي:

العفو الخاص:

وكان السلطان إذا أراد أن يعفو عن أحد الأمراء المحبوسين يكتب مرســـوماً خاصـــاً، ويوضع في كيس أطلس أصفر، ويختم عليه بخاتم السلطان، ويتوجه به أحد الأمراء إلى باب السجن، ويخرج السجين من سجنه ويقرأ عليه هذا مرسوم الإفراج، ومن أمثلة تلك المراســـيم المرسوم الذي كتبه السلطان المنصور عندما أمر بالإفراج عن الأمير بدر الدين بيسري ســـنة ونصه:

"الحمد لله على نعمه الكاملة، ومراحمه الشاملة، وعواطفه التي أضحت بها بـــدور الإســـلام بازغة غير آفلة، ومواهبه التي تجول وتجود وتحيي رميم الآمال في يومهـــا بعـــد رمـــسها بأمسها، في أضيق اللحود، ويقرّ لها بالفضل كل جحوده، أحمده حمداً يعيد سالف النعم، ويفيد آنف الكرم الذي خص وعم، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شـــريك لـــه، شـــهادة نـــؤدي حقوقها ونجتنب عقوقها، ونشهد أن محمداً عبده ورســـوله، المبعـــوث بمكـــارم الأخـــلاق، والموصوف بالعلم والحلم على الإطلاق، صلاة لاتزال عقودها حسنة الأنساق، ونسلم تـــسليماً كثيراً، وبعد، فإن أحق من عومل بالجميل، وبلغ من مكارم هـــذه الدولـــة القـــاهرة، الرجـــا والتأميل، من إذا ذكرت أبطال الإسلام، كان أول مذكور، وإذا وصفت الشجعان، كان إمام صف كل شجاع مشهور، وإذا تزينت سماء الملك بالنجم، كان بدرها المنير، وإذا اجتمع ذوو الآراء على أكبر أمير، كما تجمّلت المواكب بحلوله بأعلى قدر، وتزينت المراتب منه بـــأبهى بـــدر، وهو المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبيري البدري بيـــسري الشمـــسي الـــصالحي النجمي الملكي الأشرفي، فهو الموصوف بهذه الأوصاف والمدح، والمعروف بهذه المكـــارم والمنح، فلذلك، اقتضى حسن الرأي الشريف العالي المولوي الـــسلطاني الملكـــي الأشـــرفي الصلاحي، لازالت الكُرب في أيامه تُكشَف، والبدور تكتسي في دولتـــه الغـــراء، إشـــراقاً ولا تخسف، أن يفرج عنه في هذه الساعة، من غير تأخير، ويمثل بـــين يـــدي المقـــام الأعظـــم السلطاني بلا استئذان نائب ولا وزير، إن شاء الله تعالى"[1].

---

1 - النويري: نهاية الأرب، ج31، ص136-137

ونورد بعض أمثلة من المساجين الذين شملهم عفو السلطان، فقد عفا السلطان صلاح الدين الأيوبي عن قطب الدين ينال بن حسان المنبجي صاحب منبج الذي رفض تسلميها له، فأخذها صلاح الدين الأيوبي عنوة سنة 571هـ/1175م[1]. وأطلق الملك الأشرف الأيوبي أخاه العزيز عثمان من السجن وأحسن إليه سنة 626هـ/1229م[2]. وعفا الملك الظاهر غازي عن الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد الله الدّمياطيّ الصالحيّ النّجميّ أحد أكابر الأمراء المقدّمين على الجيوش، بعد أن حبسه مدة طويلة، ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته[3].

وقد أبدى المبارز المعتمد والي دمشق في العصر الأيوبي من العفو والشفقة على الرعية ما جعل السلاطين يحمدون سيرته حتى أنه تولى ولاية دمشق مدة 40 سنة منذ عهد صلاح الدين والعادل وحتى ولاية المعظم عيسى، وكان إذا أمسك أعوانه في الليل امرأة من بيت معروف –وذلك أيام منع الخمر في زمن الملك العادل- حملوا المرأة إليه، فيقول لهم: أنزلوها حتى أُقررها، ثم يقول لها: يا بنتي أنت من بيت كبير، وأهلك رجال معروفون، فما الذي حملك على هذا؟ فتقول: يا سيدي قضاء الله، فيقول لها: ستر الله عليك، وبعث معها الخادم من باب السر إلى بيتها بعد أن يأخذ عليها عهد أن تتوب إلى الله[4].

وفي حدود سنة 815هـ/1412م اعتُقل القاضي ابن البارزي في برج الخيالة بقلعة دمشق، ثم عفا عنه الملك الناصر فرج عند زيارته لدمشق فأطلقه [5].

وأفرج السلطان عن تمربغا الظاهري الذي أطلق من حبسه سنة 862هـ/1458م بعد أن أمضى أكثر من خمس سنوات في سجن قلعة الصبيبة [6].

العفو العام:

وقد كان السلاطين يطلقون العفو العام عن المساجين سواء عند تولي السلطنة أم في المناسبات الدينية، فكان من عادة بعض السلاطين في غرة رمضان أن تكتب له أوراق بأسماء المحبوسين، ويكون في ذلك فرج لمن يريد الله خلاصه[1].

---

1 - ابن شداد: النوادر السلطانية، ص385.

2 - الحموي: التاريخ المنصوري، ص181.

3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص275.

4 - أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص150.

5 - السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج9، ص137.

6 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص378.

ومن أمثلة العفو العام ما قام به الملك المعظم تورانشاه بن الملك الصالح أيوب عندما تولى السلطنة سنة 647هـ/1249م قام بالإفراج عن جميع السجناء الذين سجنهم والده[2].

والأمير ركن الدين بيبرس السلحدار سنة 735هـ/1335م حين رسم بالإفراج عن الأمراء المحابيس في سجن الإسكندرية، ومنهم: ركن الدين بيبرس الحاجب المُعتقل منذ سنة 725هـ/1325م ، حيث مكث في السجن 10 سنوات، والأمير سيف الدين طغلق المُعتقل منذ سنة 712هـ/1312م ومكث في سجنه مدة 23 سنة، ومن العجيب أنه أفرج عنه وأقام مدة أسبوع في بيته وتوفي، وأفرج كذلك عن الأمير غانم بن أطلس، وكان قد قُبِضَ عليه سنة 710هـ/1311م ومدة حبسه 25 سنة، والأمير سيف الدين بُرلغي، وقبض عليه سنة 712هـ/1312م والأمير سيف الدين بلاط، والشيخ يونس من الأمراء البرجية المظفرية، والأمير حسام الدين لاجين العمري، والأمير طشتمر أخو بتخاص، والأمير سيف الدين تمر الساقي، وكان نائب طرابلس وقبض عليه سنة 714هـ/1314م [3].

وفي شهر رمضان سنة 908هـ/1502م عرض السلطان المحابيس من الرجال والنساء وأطلق منهم جماعة مِمَّن حبسوا على ديون، وأبقى أصحاب الجرائم على حالهم، وحدث نفس الأمر قبل بداية شهر رمضان في كل عام من الأعوام 1404/910م حتى 913هـ/1407م [4].

وفي عيد النحر سنة 715هـ/1315م أفرج السلطان عن أهل السجون بسبب العيد وأيضاً بسبب شفائه من وعكة صحية[5].

كما كانوا يأمرون بإطلاق سراح المساجين فرحاً بشفائهم من مرض أو شفاء أحد من خواصهم، أو صدقة وتقرباً إلى الله سبحانه طلباً للشفاء، ومن ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد سنة 695هـ/1295م حين أفرج عن المحابيس وفرق الصدقات على الفقراء بعد شفائه من كسر يده [6].

---

1 - العيني: عقد الجمان، ص227.

2 - النويري: نهاية الأرب، ج29 ص353.

3 - اليوسفي: نزهة الناظر، ص233-234.

4 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص713، ص720، ص730، ص747، ص762.

5 - المقريزي: السلوك، ج2، ص506.

6 - المصدر نفسه، ج2، ص283.

والسلطان المنصور قلاوون الذي تصدق بصدقة كبيرة وأفرج عن أهل السجون رجاء من الله تعالى أن يشفي تلميذه الأمير بيدرا [1].

وكذلك السلطان الكامل شعبان[2] سنة 746هـ/1345م حين أفرج عن أهل السجون وبعث للأمير أرغون بفرس وثلاثين ألف درهم يتصدق بها عنه بعدما أصابت الأمير وعكة صحية [3].

وفي سنة 754هـ/1353م تصدق الأمير صرغتمش بأموال جزيلة وافتك بها أهل السجون صدقة لله عز وجل رجاء شفائه من مرض شديد أصابه خاف على نفسه منه[4].

وفي سنة 917هـ/1511م أفرج نائب الشام سيباي "عن جماعة من المحابيس، لأجل عافيته من وجع يده من السقطة من الفرس"[5].

وبرز مرسوم من السلطان الناصر محمد "أن يُصرف من الخزانة المعمورة من خاصية مال مولانا السلطان ألف دينار عين مصرية، ويستفك بها من بالسجون من أرباب الديون، وأن يُغسل ما عليهم من المساطير الشرعية، ويتفقد من في سجون الولاية من الرعية ويتتبع صلاحهم، ويطلق سراحهم، فامتثل جميع ذلك في ساير الممالك[6].

خروج الأسرى بالمبادلة:

فكان المسلمون يحتفظون بالأسرى في السجون حتى يبادلوهم بأسرى المسلمين الذين في قبضة الفرنجة أو غيرهم، فقد استطاع عدد من الجنود المسلمين أسر ملك الكرج "أواني" في سنة 607هـ/1210م وحملوه إلى الملك الأوحد بن الملك العادل[7] صاحب خلاط، فقبض

---

1 - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص224.

2 - الملك الكامل شعبان (الأول) سيف الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون سلطان مصر والشام السابع عشر من المماليك البحرية، تولَّى سنة 746هـ/1354م، وخنق سنة 747هـ/1346م. الشهابي: معجم ألقاب أرباب السلطان، ص145.

3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص127.

4 - المقريزي: السلوك، ج4، ص177.

5 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص288.

6 - ابن أيبك: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، ص237.

7 - الملك الأوحد أيوب، نجم الدين، بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد الأول بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، أول ملوك الأيوبيين في ميافارقين، ولادته غير معروفة، تولى سنة 596هـ/1200م، وتوفي سنة 609هـ/1212م. الشهابي: معجم ألقاب أرباب السلطان، ص125.

عليه، ثم تم الاتفاق بينهما على الإفراج عن الملك مقابل إطلاق 50 أسيراً من المسلمين، ودفع مائة ألف دينار، وأن يلتزم ملك الكرج الصلح 30 سنة، وأن يزوج ابنته للملك الأوحد[1].

وأُفرج عن الملك ريدافرنس (لويس التاسع) بعدما فدى نفسه بأربعمائة ألـف دينـار، وأُفرج عن أخيه وزوجته، ومن بقي من أصحابه وسائر الأسرى الذين بمصر والقاهرة ممـن أسر في وقعة المنصورة، ومن أيام العادل والكامل والصالح، وكانت عدتهم اثني عشر ألـف أسير ومائة أسير وعشر أسارى، وساروا إلى البر الغربي ثم ركبوا البحر في يوم السبت تاليه وأقلعوا إلى جهة عكا، وذلك سنة 648هـ/1251م [2].

الشفاعة:

وكان الأمراء يشفعون لدى السلطان لإخراج السجناء خاصة إن كانوا من أصدقائهم أو خواصهم:

ففي سنة 597هـ/1201م أُخرج القاضي نجم الدّين عبد الرحمن بن أبـي عـصرون وكان قاضي حماة ووزيرها من سجن حماة إِلَى حلب، بعد شفاعة دلدرم بن ياروق صَاحب تل بَاشر، وكان حبسه الملك العادل الأيوبي وغرَّمه عدَّة دراهم، وقد أشرف علـى المـوت فـي سجنه[3].

وفي سنة 689هـ/1290م أطلق سراح الأمير زين الدين كتبغا بعد أن شفع فيه بيـدرا والشجاعي عند الملك الأشرف[4].

وخرج الفقيه الشافعي جمال الدين بن جملَة من سجنه سنة 736هـ/1336م بعد شفاعة من القاضي شرف الدين المالكي عند الأمير تنكز، وكانت الموافقة على إطلاق سراحه بِشَرط أَن يشْهد أَن الحكم الَّذِي صدر فِي حَقه صَحِيح[5].

---

1 - ابن الفرات: تاريخ، مج5، ج1، ص105.

2 - المقريزي: السلوك، ج1، ص460.

3 - الحموي: التاريخ المنصوري، ص23.

4 - العيني: عقد الجمان، ج1، ص215.

5 - العسقلاني: الدرر الكامنة، ج6، ص214.

وفي سنة 745هـ/1344م دخل الشيخ أحمد الزرعي على السلطان وطلب منه أشياء كثيرة من إبطال مظالم ومكوس[1]، وإطلاق أمراء محبوسين بقلعة دمشق منهم صلاح الدين بن الملك الكامل، والأمير يلوا وغيرهم فأجابه إلى جميع ذلك[2].

وفي سنة 791هـ/1389م أطلق الأمير آقبغا الماردينى حاجب الحجّاب[3] من السجن، لشفاعة صهره الأمير أحمد بن يلبغا العمرى فيه، وأطلق معه الأميران أرسلان اللّفّاف ومحمد بن تنكر بعد شفاعة بعض الأمراء فيهما[4].

وفي سنة 814هـ/1412م شفع الأمير تغري بردي في مجموعة من الأمراء فأخرجوا من السجن[5].

وفي سنة 872هـ/1467م شفع الأمير قايتباى المحمودى في الأمير مغلباى طاز المؤيّدى، فقبل السلطان الظاهر تمربغا شفاعته وأخرج من سجنه ورسم له السلطان أن يتوجه إلى دمياط بطالاً[6].

وأورد صاحب صبح الأعشى نص رسالة شفاعة في خلاص مسجون كانت تُرفع للسلطان، ومضمونها:

"... فسّح الله في مدّته، وسهّل أداء ما يجب من شكر نعمته، وألزم الألسنة بحمده والقلوب بمحبّته، وجعله مفرّجاً كلّ كرب، ومسهلاً من المقاصد كل صعب، وبعد، فإن كافة الأمة قد تحقّقت رحمة قلب المولى ورأفته، وتيقّنت إحسانه ومروءته، وأنه يؤثر إعانة كلّ عان وإغاثة كلّ ملهوف، وأنه لا يمسك إلّا بالإحسان ولا يسرّح إلّا بالمعروف، بحيث سارت بحسن سيرته الرّكاب عوضاً عن الرّكبان، ودرأت مكارمه عن الأولياء نوب الزّمان، وعلا

---

1 - المكوس والمكس: مقدار من المال يؤخذ من الباعة للسلطان، وقد شملت المُكُوس في عهد سلاطين المماليك معظم البضائع والغِلال. وافي: ألفاظ الحضارة، ص191.

2 - ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج2، ص441.

3 - حاجب الحجاب: عمله الفصل في الخصومات المدنية في جميع ضروب النزاع التي تقع بين الجنود المماليك فحسب، فينصف ضعيفهم ويضرب على يد ظالمهم، غير أن أحكامه لم تكن دائماً مقتبسة من أحكام الشريعة بل كان يمزج فيها رأيه الشخصي ومشورة السلطان وبعض القوانين السابقة من الأمم الأخرى مثل التتار القدماء. سليم: عصر سلاطين المماليك، ج2، ص54.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص323.

5 - المصدر نفسه، ج13، ص121.

6 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص375. والبطال: العاطل من الأجناد والأمراء عن أعمال الدولة ووظائفهم وإقطاعاتهم نتيجة غضب السلطان أو كبر السن، أو الاضطرار إلى الاعتكاف والاختفاء. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص35.

على حاتم فلو تشبّه بكرمه لقلنا له: (مرعى ولا كالسّعدان)، وللمملوك من إحسانه أوفر نصيب، وهو يرفل من جوده في ثوب قشيب، وقد اشتهر ما يعامل به من الإكرام، وأنّ قسمه من العناية أوفر الأقسام، وكان يعدّ من جملة العبيد فأصبح مضافاً إلى الألزام، وهذا مما يوجب على المملوك أن يبتهل إلى الله في تخليد دولته ويتضرّع، وعلى حلم مولانا إنه إذا شفع إليه في مذنب أن يشفّع، وهو يشفع إليه في مملوكه وعبده، والملازم على رفع رايات مجده وتلاوة آيات حمده، فلان، رزقه الله رضا الخواطر الشريفة، وأسبل عليه حلّة عفوه المنيفة على الحلل بظلالها الكثيفة، فإنه قد طالت مدّة حبسه، واعترف بأنه الجاني على نفسه، والمعترف بذنبه كمن لا أذنب، والمغترف من بحر جوده يروى دون أن يشرب، والطالب لبرّه ينال سؤله والمطلب، فإن حسن في رأيه العالي زاده الله علاء وضاعف له سناء، المشي على منار جوده ومنهاجه، وبروز أمره المطاع بإطلاقه وإخراجه، اغتنم أجره، وجبر كسره، وربح في هذا الشهر المبارك دعاءه الصالح وشكره، وكان قد أنعم على المملوك بقبول شفاعته إليه، وفعل ما يوجب على كلّ مسلم الثناء عليه، والله الموفّق[1].

الهروب:

في سنة 611هـ/1215م هرب الملك المنصور وإخوته أولاد الملك العزيز عثمان من سجن عم أبيهم الملك العادل في القاهرة، وتوجهوا إلى حلب[2].

وفي رمضان سنة 810هـ/1408م هرب بكتمر جلّق من سجن قلعة دمشق وتوجّه إلى صفد، ثمّ نزل غزّة، ثم رضي عنه السلطان الناصر محمد بعد شفاعة الأمير شيخ[3].

وفي سنة 812هـ/1410م هرب الأمير أينال الرجبي من قلعة دمشق ومعه جماعة مِمَّن كان مسجوناً بها، وتوجه إلى صفد في طريقه للقاهرة[4].

وفي سنة 826هـ/1422م هرب الأمير جان بك الصوفي من سجنه بإحدى أبراج الإسكندرية[5]، وقد أصاب السلطان الأشرف برسباي بسبب هروبه غم كبير، وأوذي أناس كثير أثناء البحث عنه، ولم يظهر له أثر إلا في سنة 838هـ/1435م عندما ظهر في بلاد الروم[6].

---

1 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج9، ص139.

2 - ابن الفرات، تاريخ، مج5، ج1، ص152.

3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج13، ص70.

4 - المقريزي: السلوك، ج3، ص158.

5 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص253.

6 - المصدر نفسه، ج15، ص60.

وخلال شهر رمضان سنة 879هـ/1475م هرب عدة سجناء من عـدة سـجون فـي مصر، فقد هرب سجين من عربان بني حرام[1] يقال له عمرو بن معروف من حبس الـديلم، وفر من سجن القلعة شخص يقال له محمد بن زامل، وفر من سجن المقشرة شخص يقال لـه ابن صالح[2].

وكانت تحدث حوادث هروب جماعي خاصة أثناء الفتن والاضـطرابات ففـي فتنـة منطاش سنة 791هـ/1389م قطع المسجونون بخزانة شمائل وسجن الديلم وسجن الرحبـة قيودهم، وكسروا أبواب الحبس وخرجوا على جملة واحدة، فلم يردّهم أحد لانشغال كل واحد بنفسه[3].

وفي سنة 913هـ/1506م هرب من سجن القلعة وقت الظهر نحو سبعين سجيناً ما بين مشايخ عربان وفلاحين وغير ذلك فاضطربت القاهرة بسبب ذلك[4].

وكثيراً ما كان يقبض على الفارين بعد البحث عنهم، ففي سنة 719هـ/1319م فـر الشريف رميثة، فبعث السلطان في طلبه الأميـر قطلوبغـا المغربـي والأميـر أقبغـا أص الجاشنكير[5] على الهجن السلطانية، فقبض عليه بمنزلة حقل[6]، وجاءوا به إلى القاهرة فسجن في الجب بالقلعة[7].

وفي سنة 913هـ/1506م رسم السلطان بشنق أحمد بن مهنا شيخ بني وائل، فسمروه هو وأقاربه وطافوا بهم القاهرة ثم شنقوا أحمد بن مهنا على باب النصر، وكان ذنبه أنه هرب من السجن، وقتل السَّجَّان[8].

---

1 - بنو حرام: وهم بطن من جزام من القحطانية، وكانوا يسكنون إقليم الشرقية. الـسيد: تـاريخ القبائـل، ص59.

2 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص445.

3 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص282.

4 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص756.

5 - وظيفة الجاشنكير: هو الذي يتصدى لتذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يدس عليه فيه السم، ويتألف اللفظ من كلمتين فارسيتين: جاشا ومعناها الذوق، وكير أي المتعاطي. دهمـان: معجم الألفاظ ص50.

6 - حقل: قرية بجنب أيلة على البحر. ياقوت : معجم البلدان، ج2، ص278.

7 - المقريزي: السلوك، ج1، ص417.

8 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص756.

وفي سنة 915هـ/1509م تسحَّب جمال الدين الزغلي من سجن المقشرة وهرب، وكان التزم بدار ضرب النقود، وقرر عليه للسلطان في كل شهر "مال له صورة"، فـأتلف سـائر الأموال من الذهب والفضة، وظهر بها الزغل، حتى ضج من ذلك سائر النـاس والأمـراء، فقبض عليه السلطان وضربه ضرباً مبرحاً، وسجنه بالمقشرة، فأقام بها أياماً وهرب، وكـان من نتيجة هربه أن السلطان مقت قانصوه الوالي، وأراد معاقبته، ثم قرَّر عليه خمسة عـشر ألف دينار، وهرب معلمو سجن المقشرة واختفوا، وضُرب بسبب ذلك دوادار الوالي ويـسمى يحيى بن نوكار، وأوذي جماعة من الناس [1].

1 - المصدر نفسه، ص780.

واختلفت طرق السجناء للهروب من السجن:

ومن هذه الطُّرق إشعال النار في حجارة السجن حتى تتكلس، ففي سنة 670هـ/1272م هرب عمرو بن مخلول وأخوه حامد من آل فضل من برج قلعة عجلون، فقد حفرا حفرة قريبة من السور وأوقدا النار فيها حتى تكلس حجر السور، فنقباه وخرجا منه، وكانا قد أعدّا لهما خيلاً فهربا عليها وقصدا التتر، ثم ندما فكتبا إلى الملك الظاهر بيبرس يستعطفانه، فحلف أنه لا يرضى عنهما حتى يعودا بأنفسهما إلى قلعة عجلون ويجعلا القيود في أرجلهما، ففعلا ذلك، فعفى عنهما[1].

ومن طرق الهروب أيضاً قطع حديد السجن بمبرد الحديد ثم النزول على الحبال من أعلى القلعة، ومنها ما حدث في سنة 761هـ/1360م حين نزل جماعة من أمراء الأعراب من أعلى سجن قلعة دمشق في حبال وعمائم إلى الخندق أسفلها، وخرجوا من عند جسر الزلابية، فهرب اثنان، وأُمسك الثالث الذي تبقى في السجن، وكأنه كان يمسك لهم الحبال حتى تدلوا فيها، واشتد نكير نائب السلطنة على نائب القلعة بسبب ذلك، وضرب ابنيه -أحدهما كان نقيب القلعة- وحبسهما، وطالبه بدفع ما قبضه من الأموال في مدة ستة سنوات خلال مباشرته لوظيفته[2].

ومنها ما حدث سنة 852هـ/1448م فقد هرب جماعة من العربان وأميرهم سالم بن بدران من سجن قلعة حلب، ونزلوا من سورها وكانوا قد أمروا امرأة من نسائهم فجاءتهم بمبرد فبردوا قيودهم وكسروا باب السجن، وكانت قد أتتهم بصوف فغزلوه في السجن، وصنعوا منه حبال لينزلوا بها من القلعة[3].

وفي سنة 892هـ/1488م هرب بداق الغادري أخو الأمير سوار من قلعة دمشق بعد أن نزل بحبل من القلعة إلى الخندق وكان ذلك بمواطأة الحارس من ناحية باب الحديد[4].

---

1 - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج3، ص7.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص310.

3 - سبط ابن العجمي: كنوز الذهب، ج2، ص210.

4 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص68، 73. وباب الحديد: من الأبواب الشمالية لقلعة دمشق، في الزاوية الشمالية الغربية أسفل سوق الخجا القديم، جدد الأوسط منه في العهد السلجوقي شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طغتكين سنة 527هـ/1132م وسمي باب الحديد لأنه مصنوع كله من الحديد. معجم دمشق التاريخي، ص23.

وفي سنة 909هـ/1503م هربت مجموعة من الأمراء من حبس قلعة دمشق بحبال دُليت، ولكن ما لبثوا قليلاً حتى ألقي القبض عليهم[1].

وفي سنة 917هـ/1511م هرب مجموعة من معاملي اللحم ومنهم المعلم علي الصغير وأخيه أحمد، والمعلم خضر وأخيه محمد، من سجن العرقانة بالقلعة، بعد أن نقبوا حائط السجن، ونزلوا في حبال إلى أسفل القلعة، فأما المعلم علي الصغير فلما تدلى في الحبل انقطع به فنزل على ضلعه فانكسر فأغمي عليه، فقبضوا عليه، وفي صبيحة اليوم التالي قبضوا على الباقين، فلما عرضوا على السلطان وبخهم بالكلام، واشتد غضبه عليهم ورسم بتسليمهم إلى الوالي [2].

ومن طرق الهروب الأخرى: قتل السَّجَّان، ففي سنة 738هـ/1338م اتفق عدد من أرباب الجرائم بخزانة شمائل وقتلوا السَّجَّان وخرجوا بعد المغرب من باب زويلة شاهرين السكاكين، فلحق الوالي بهم، ولكنه لم يظفر منهم سوى برجل أقطع فشنقه[3].

وفي سنة 850هـ/1446م اتفق المحابيس في سجن المقشرة وقتلوا السَّجَّان وهربوا[4].

وفي سنة 910هـ/1504م هرب من سجن العرقانة بالقلعة شخص من الأتراك يقال له أرزمك، وكان له مدة طويلة في السجن، وقام بخنق السَّجَّان حتى مات، وأخذ ثيابه ولبسها، ونزل من باب السبع حدرات، واضطربت القلعة في تلك الليلة، ثم بعد ثلاثة أيام أرسل يطلب الأمان من السلطان، وقد شفع فيه الأتابكي قرقماس فعفا عنه السلطان من القتل ورسم بنفيه[5].

ومن الطُّرق أيضاً الخروج من سراديب تحت الأرض، وبهذه الطريقة هرب الأمراء التابعين للظاهر برقوق الذين اعتقلهم منطاش في خزانة الخاص بقلعة القاهرة وكانوا حوالي 500 معتقل[6]، فقد عبث أحدهم ببلاطة كانت تحته فقلعها فأحس بهواء، فأزال ما تحتها واستعان ببعض رفاقه، فوجدوا سرداب الحمام، فمشوا فيه إلى أن انتهوا إلى باب من أبواب

---

1 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص220.

2 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص831.

3 - المقريزي: السلوك، ج3، ص232.

4 - ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص97.

5 - ابن إياس: بدائع الزهور، ص730.

6 - ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص278.

الاصطبل، ووجدوه مفتوحاً، فأخذ كل منهم قيده في يده واتخذه سلاحاً، وبقوا يقاتلون واستعانوا ببعض المماليك حتى تمكنوا من الاستيلاء على الحكم وخلع منطاش وإعادة برقوق للسلطنة[1].

إخراج المساجين من قبل الثوار أو اللصوص:

وكثيراً ما كان يلجأ قُطَّاع الطُّرق إلى مهاجمة البلدان وكسر أبواب السجون وإخراج من بها من المساجين، وكذلك قيام بعض من يطمع في السلطة بإخراج المساجين لاستخدامهم في بث الفوضى ومساعدة طلاب السلطة في ثورتهم، ونذكر على سبيل المثال سنة 587هـ/1191م أنه ظهر بمصر رجل منجم يقال له ابن السنباطي، وأقنع رؤوس السودان وقوم من بقايا العبيديين الفاطميين يقال لهم المصامدة، وقال لهم أنهم سوف يملكون الديار المصرية في الليلة الفلانية بعد المغرب، فاستعدوا بقوارير النفط، واجتمعوا بحارة بر المدينة، وهي الهلالية، وشربوا المزور[2] إلى بعد العشاء، ثم دخلوا جميعهم من باب زويلة، وأتوا على خزانة البنود ليخرجوا من كان بها من المسجونين، وكانوا يصيحون بشعار "يا آل علي"، وأتوا إلى السيوفيين وكسروا الدكاكين، وأخذوا السيوف والعدد، ثم ركب الأمير بدر الدين بن موسك بعسكره، فمسك الجميع، والمنجم، وقُتلوا عن آخرهم[3].

وفي سنة 802هـ/1400م وأثناء الفتنة التي حدثت بين أيتمش ويشبك، كسرت الزّعر حبس الديلم وحبس الرحبة، وأخرجوا من كان بهما من أرباب الجرائم، وصارت القاهرة في ذلك اليوم غوغاء، من غلب على شيء صار له[4].

وفي سنة 885هـ/1480م هاجم مجموعة من العشير من قبيلة بني زيد على القدس وقصدوا قتل نائبها فهرب منهم، ثم توجهوا إلى السجن فكسروه وأخرجوا من به من المساجين[5].

---

1 - العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص393.

2 - المزور: أو المزر نوع من الجعة (البيرة) يصنع من الشعير أو الذرة أو الحنطة. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص137.

3 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص276.

4 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص189.

5 - الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص322.

وفي سنة 899هـ/1494م هاجم جماعة حبس البريد بدمشق، فكسروه وأخرجوا منه جماعة من المحابيس [1].

احتفالات الإفراج:

وعند خروج المساجين كانت تعقد الأفراح ومراسيم الاستقبال لهم من قبل أهليهم وأصدقائهم فرحاً بخروجهم، فعلى سبيل المثال، عندما خرج الأمراء الذين كانوا بسجن الإسكندرية إلى القاهرة سنة 742هـ/1341م ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت العامة لرؤيتهم بحيث غلقت الأسواق يومئذ، حتى طلعوا إلى القلعة، فتلقت الأميرة خوند[2] الحجازية زوجها الأمير ملكتمر الحجازي بجواريها وخدمها ومغانيها تضرب بالدفوف والشبابات فرحاً به[3].

وفي سنة 752هـ/1351م لما وصل الأمراء المُعتقلون من سجن الإسكندرية وهم سبعة. منجك الوزير وفاضل أخو بيبغاروس وأحمد الساقي نائب صفد وعمر شاه الحاجب وأمير حسين التتري وولده ومحمد بن بكتمر الحاجب، ركب الأمير طاز ومعه الخيول المجهزة لركوبهم حتى لقيهم وطلع بهم إلى القلعة، فخلع عليهم بين يدي السلطان، ونزلوا إلى بيوتهم فامتلأت القاهرة بالأفراح والتهاني ونزل الأمير شيخو والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى إصطبلاتهم وبعثوا إلى الأمراء القادمين من السجن التقادم السنية من الخيول والتعابي القماش[4] والبسط وغيرها فكان الذي بعثه الأمير شيخو لمنجك خمسة أفراس ومبلغ ألفي دينار[5].

---

1 - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص130. الحنبلي: شذرات الذهب: ج10، ص367.

2 - الخوند: في الفارسية: السيد العظيم أو الأمير، استعملت في العربية لقباً بمعنى السيد أو السيدة. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص70.

3 - المقريزي: السلوك، ج2، ص76.

4 - التعابي: ومفردها تعبية، أي الثياب أو قطع القماش. عاشور: العصر المماليكي، ص424.

5 - المقريزي: السلوك، ج4، ص144.

الخاتمة

توصل الباحث في هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1- كانت السجون في العهد الأيوبي أخف وطأة وظروفها أفضل من العصر المملوكي، وظهرت أنواع من التعذيب في العصر المملوكي لم تكن موجودة في العصر الأيوبي.

2- صنفت السجون في الدولتين الأيوبية والمملوكية إلى ثلاثة أنواع: سجون المدن، وسجون القلاع، وسجون الجباب.

3- تركزت سجون المدن في مصر بمدينة القاهرة حيث كانت العاصمة وكان يجلب إليها المساجين من كافة مدن مصر والشام، وتركزت معظم سجون الشام في دمشق.

4- خصصت القلاع والجباب لحبس الأمراء ومن أشهرها قلعة صلاح الدين في جبل المقطم بالقاهرة، وقلاع ثغر الإسكندرية في مصر، أما قلاع الشام فأشهرها قلاع دمشق والكرك وحلب والمرقب وصفد وحمص.

5- كانت حالة السجون يرثى لها من حيث ضيقها ورائحتها وعدم الاهتمام بالمساجين، رغم أنه في بعض الحالات كان بعض السلاطين يحاولون إصلاح أحوالها وإغلاق بعضها.

6- كانت الجباب من أشنع أنواع السجون، حيث يُدلى السجين تحت الأرض في جب عميق من خلال فتحة ضيقة أعلى الجب، ويمكث في الظلام الدامس والروائح الكريهة لا يعرف الليل من النهار.

7- استحسن السلاطين نفي الأمراء الذين يخشون تمردهم إلى القلاع البعيدة عن العاصمة مثل قلاع الإسكندرية والكرك، وسجون دمياط والواحات وقوص وأسوان.

8- شهدت السجون في ذلك العصر أشكالاً من التعذيب القاسي مثل عصر الأعضاء والضرب بالمقارع والعصي وسلخ الجلد وحرق الأصابع، كما تنوعت أشكال الإعدام من الشنق والشنكلة والتوسيط والخنق والتغريق والتسمير وغيرها.

9- انتشرت حالات الوفاة الناتجة عن سوء أحوال السجن والموت تحت التعذيب.

التوصيات:

يوصي الباحث الإخوة القائمين على السجون في عصرنا الحالي عدة توصيات، وذلك لنستفيد من أخطاء من سبقونا، في محاولة للوصول إلى الوضع الأمثل، ومنها:

1- وجود مراقبين من مؤسسات حقوقية مثل الصليب الأحمر في السجن.

2- الاعتناء بصحة المعتقلين ومعالجة المرضى منهم.

3- الاعتناء بجودة الطعام والشراب.

4- تمكين أهل المساجين من زيارتهم.

5- السماح للسجناء للعمل وهذا الأمر فيه منفعة للسجناء وللمجتمع.

6- إيجاد برامج وعظية للسجناء يقوم بها دعاة ومشايخ، وكذلك أداء صلاة الجمعة في السجن.

7- توفير مكتبة ثقافية في السجن.

8- السماح للسجناء بأخذ إجازة من السجن لزيارة زوجته وأهله في الأعياد والمناسبات.

9- وأخيراً نوصي القائمين على السجون بتقوى الله تعالى، وعدم تعريض السجناء لأي شكل من أشكال الإيذاء الجسدي أو النفسي، سوى ما سمح له الشرع الإسلامي في العقوبات، لمن ارتكب جرماً يستحق عليه عقوبة حبس أو ضرب أو غيرهما، وهذا ما أمرنا به الشرع الحكيم، وما نصَّت عليه الاتفاقات الدولية، ومنها المادة الخامسة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي تنص على: "ألا يُعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو المُحطَّة بالكرامة" [1].

[1] - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الموقع الرسمي للأمم المتحدة: www.un.org.

abstract

This thesis addressed the prisons in Egypt and the Levant in the two Ayyubid and Mamluk States and came in 3 chapters:

Chapter I : dealt with types of prisons and their names, where the prisons were divided into three sections:

Section I: cities' prisons: where it first addressed the prisons in Egypt, whether in Cairo or the regions, and secondly cities' prisons in the Levant, both in Damascus and other cities, and Section II: castles prisons, which spread in Egypt, including Cairo Citadel, the castles of Alexandria and others, as well as the castles that have spread in the cities of the Levant , and Section III: Wells prisons that were dug in the ground for the detention of political and war prisoners, and were ones of the most heinous and the most difficult prisons. Each section also included the names and locations of prisons and the names of some of the people imprisoned there.

The second chapter entitled "The prisons' administration," it provided detailed information on the prisons' administration, which divided the prisons according to their management, into three sections: the prisons under the administration of the Sultan, the prisons under the administration of the governor and the prisons under the administration of the judges. It then talked about the names of the prisons' staff and the nature of their work, then tax imprisonment and confiscations, the conditions of prisoners in terms of food and drink, clothing, health care and communication with the outside community, their condition at the time of famine, how to spend their time either concerning worship or play and entertainment, or authoring, writing, poetry, and also spoke about the use of the prisons for forced labor by the management of prisons and how to transfer from one place to another. It also showed the efforts of the princes to improve prison conditions, and finally the classification of prisoners into categories: The first category are criminals who committed crimes such as murder, theft, robbery, fraud, forgery, rape, adultery, espionage. Type two is political prisoners and type III are prisoners of ideological differences and those accused of heresy and the fourth and final category: the war prisoners

In the third chapter,. dealt with the sanctions that were practiced in the prison and how to get out of prison, where it addressed the types of sanctions with at first death and its types such as beheadings, intermediation, crucifying, drowning, strangling, starvation, and hangings. The other type of punishment is torture and its types, including beatings by sticks, chaining, squeezing, defamation, amputation and skinning.

And finally how to get out of jail, whether by pardon or release or escape of prisoners forced out by the rebels or bandits, and finally the celebrations that accompanied the exit of prisoners.

المصادر والمراجع

المصادر:

§ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بـن عبـد الواحـد الشيباني الجزري، عز الدين (ت 630هـ/1233م):

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجـود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ-1994م.**

§ ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بـن عبـد الكـريم الشيباني الجزري (ت: 606هـ/1210م):

- **جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط1.**

§ ابن أجا، محمد بن محمود الحلبي (ت 881هـ/1477م):

- **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، تحقيـق: محمد دهمان، دمشق: دار الفكر، ط1، 1406هـ-1984م.**

§ الأصبهاني، عماد الدين الكاتب محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد، أبو عبد الله (ت 597هـ/1201م):

- **البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين، عمان: مؤسسة عبد الحميد شومانن ط1، 1987م.**

§ الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بـن أبـي الثنـاء الألوسـي (ت 1342هـ/1924م):

- **غاية الأماني في الرد على النبهاني، تحقيق: أبو عبد الله الداني آل زهوي، الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1422هـ-2001م.**

§ ابن الأنباري، محمد بن القاسم بـن محمـد بـن بـشار، أبـو بكـر الأنبـاري (المتـوفى: 328هـ/940م):

- **الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسـالة، ط1، 1412هـ-1992م.**

§ ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت930هـ/1524م):

- **بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة: دار ومطابع الشعب، 1960م.**

§ ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (توفي بعد 736هـ/1335م):

- **الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية (الجزء الثامن من كتاب كنز الدرر وجـامع الغـرر)،**

تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، المعهد الألماني للآثار - قسم الدراسات الإسلامية، 1391هـ-1971م.

- **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (الجزء التاسع من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر) تحقيق: هانس روبرت رويمر، القاهرة، المعهد الألماني للآثار - قسم الدراسات الإسلامية.**
- **الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب (الجزء السابع من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر) تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، المعهد الألماني للآثار - قسم الدراسات الإسلامية، 1391هـ-1972م.**

§ الأصفهاني، أبو فرج:

- **الأغاني، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، 1371هـ-1952م.**

§ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي:

- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله r وسننه وأيامه، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.**

§ البصروي، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدين الدمشقي العاتكي الشافعي (ت 905هـ/1500م):

- **تاريخ البصروي، تحقيق: أكرم حسن العلبي، دمشق: دار المأمون للتراث، ط1، 1408هـ.**

§ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت 779هـ/1377م):

- **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ.**

§ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ/1094م):

- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1403هـ.**

§ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت 458هـ/1066م):

- **السنن الكبرى، تحقيق: محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية. ط3، 142هـ-2003م.**

§ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت 874هـ/1470م):

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.**
- **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد عز الدين، القاهرة، عالم الكتب،**

ط1، 1410هـ-1990م.

- **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل أحمد، القاهرة: دار الكتب المصرية.**
- **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: تحقيق: محمد أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.**

§ الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ/1038م):

- **فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ-2002م.**

§ ابن الجارود، أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري (ت: 307هـ/920م):

- **المنتقى من السنن المسندة، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية، ط1، 1408هـ-1988م.**

§ ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (ت 614هـ/1217م):

- **رحلة ابن جبير، بيروت: دار ومكتبة الهلال.**

§ الجمحي، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت 232هـ/847م):

- **طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، جدة، دار المدني.**

§ الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين الجندي اليمني (ت 732هـ/1332م):

- **السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد الأكوع الحوالي، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ط2، 1995م.**

§ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ/1201م):

- **صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1421هـ-2000م.**

§ الحموي، أبو الفضل محمد بن علي بن نظيف:

- **التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، تحقيق: أبو العبد دودو، دمشق: مطبعة الحجاز.**

§ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت 900هـ/1495م):

- **الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980م.**

§ الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين (ت 789هـ/1387م):

- **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1419هـ.**

§ الخشاب، إسماعيل بن سعد:

- **أخبار أهل القرن الثاني عشر، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين وعماد أبو غازي، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ط1، 1990م.**

§ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ/1406م):

- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، ط2، 1408 هـ - 1988 م.**

§ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ/1282م):

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.**

§ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِستْاني (ت 275هـ/889م):

- **سنن أبي داود، تحقيق: محمد عبد الحميد، صيدا: المكتبة العصرية.**

§ ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (ت 281هـ/894م):

- **الفرج بعد الشدة، خرجه وعلق عليه: أبو حذيفة عبيد الله بن عالية، القاهرة: دار الريان، ط2، 1408هـ - 1988م.**

§ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ/1347م):

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر التدمري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1413هـ-1993م.**
- **سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث، ط1427هـ-2006م.**
- **العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية.**

§ الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ/1268م):

- **مختار الصحاح، تحقيق: يوسف محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط5، 1420هـ-1999م.**

§ الزبيدي، مرتضى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض (ت 1205هـ):

- **تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.**
§ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ/1144م):
- **الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي البجاوي ومحمد إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، ط2.**
§ سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر (ت 884هـ/1478م):
- **كنوز الذهب في تاريخ حلب، حلب، دار القلم، ط1، 1417هـ.**
§ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت 771هـ/1370م):
- **معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد النجار وآخرون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1993م.**
§ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ/1497م):
- **التبر المسبوك في ذيل السلوك، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.**
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: دار مكتبة الحياة.**
- **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار معروف وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ-1995م.**
§ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ/845م):
- **الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410 هـ-1990 م.**
§ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م):
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ-1998م.**
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1378هـ-1967م.**
§ أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت 665هـ/1267م):
- **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1418هـ-1997م.**

- **الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري)، تعريف وتـــصحيح: محمد الكوثري، مراجعة: عزت الحسيني، بيروت: دار الجيل، ط1، 1947م.**
§ ابن الشحنة، أبو الفضل محمد:
- **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دمشق: دار الكتاب العربي، 1984م.**
§ ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بـــن علـــي بـــن إبـــراهيم الأنـــصاري الحلبـــي (ت 684هــ/1285م):
- **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، المكتبة الشاملة.**
§ ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين بـــن شداد (ت 632هــ/1335م):
- **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الـــدين الـــشيال، القـــاهرة: مكتبـــة الخانجي، ط2، 1415 هــ - 1994 م.**
§ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت1250هــ/1835م):
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت: دار المعرفة.**
§ الصرفي، رزق الله منقريوس:
- **تاريخ دول الإسلام، مطبعة الفجالة بمصر، 1908م.**
§ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هــ/1363م):
- **أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ط1، 1418هــ-1998م.**
- **الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحيـــاء التـــراث، 1420هــ-2000م.**
§ الصيرفي، علي بن داود (900هــ/1495م):
- **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حـــسن حبـــشي، مطبعـــة دار الكتـــب، 1971م.**
§ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبـــو القاســـم الطبرانـــي (ت 360هــ/971م):
- **المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2.**
§ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالـــب الآملـــي، أبـــو جعفـــر الطبـــري (ت 310هــ/923م):
- **تاريخ الرسل والملوك، بيروت: دار التراث، ط2، 1387هــ.**
§ ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي (ت

853هـ/1449م):
- **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 هـ - 1998 م.**
- **إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق: محمد دهمان، دمشق: دار الفكر، ط2، 1404هـ-1984م.**

§ ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: 739هـ/1339م):
- **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ-1992م.**

§ ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ/940م):
- **العقد الفريد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ-1984م.**

§ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين (ت 660هـ/1262م):
- **زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1996م.**

§ العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت 380هـ/990م):
- **الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف.**

§ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ/1176م):
- **تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995م.**

§ العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1449م):
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، صيدر أباد، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2، 1392هـ-1972م.**
- **إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1389هـ-1969م.**
- **رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1418 هـ - 1998 م.**
- **الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت: دار الكتب**

العلمية، ط1، 1415هـ-1995م.

§ العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت1111هـ/1700م):

- **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ-1998م.**

§ آل عقدة، أبو عاصم هشام بن عبد القادر:

- **مختصر معارج القبول، الرياض: مكتبة الكوثر، ط5، 1418هـ.**

§ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هـ/1678م):

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1406 هـ - 1986 م.**

§ ابن العميد، المكين جرجس بن العميد أبي إلياس بن أبي المكارم (توفي بعد 672هـ/1273م):

- **أخبار الأيوبيين، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.**

- العمري، ابن فضل الله، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت 749هـ/1348م):

- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط1، 1423هـ-2003م.**

§ العيني، بدر الدين، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (ت 855هـ/1451م):

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1412هـ-1992م.**

§ الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت 1351هـ/1933م):

- **نهر الذهب في تاريخ حلب، حلب، دار القلم، ط2، 1419هـ.**

§ الغزي، نجم الدين، محمد بن محمد (ت1061هـ/1651م):

- **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ-1997م.**

§ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت 732هـ/1332م):

- **المختصر في أخبار البشر، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ط1.**

§ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (735-807هـ/1335-1405م): تاريخ ابن الفرات، تحقيق: حسن الشماع، البصرة، د.د.ن، 1970م.

§ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى:

170هـ/787م):
- **كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.**
§ ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد بـن قاضـي شـهبة الأسـدي الدمـشقي (ت 851هـ/1447م):
- **تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، دمشق: المعهـد الفرنـسي للدراسـات العربية، 1414هـ-1994م.**
§ القاضي التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علـي (ت 384هـ/994م):
- **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 1391هـ.**
§ ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي (ت 555هـ/1160م):
- **تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، ط1، 1403هـ-1983م.**
§ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الـدين القرطبي (ت 671هـ/1273م):
- **الجامع لأحكام القرآن -تفسير القرطبي، تحقيق : أحمـد البردونـي وإبـراهيم أطفـيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م.**
§ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 682هـ/1283م):
- **آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر.**
§ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت821هـ/1418م):
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت، دار الكتب العلمية.**
§ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابـن قـيم الجوزيـة (ت 751هـ/1350م):
- **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، مكتبة دار البيان.**
§ الكتبي، ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شـاكر الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ/1363م):
- **فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ط1.**
§ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بـن كثيـر القرشـي البـصري ثـم الدمـشقي (ت 774هـ/1273م):
- **البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ-1988م.**
§ مالك، بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت 179هـ/795م):

- **الموطأ، تحقيق: محمد الأعظمي، أبوظبي: مؤسسة زايد،ط1، 1425هـ-2004م.**
§ المبرد، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي (ت 909هـ/1504م):
- **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: عبد العزيز عبد المحسن، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1420هـ-2000م.**
§ مجهول (توفي بعد 372هـ/983م):
- **حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: السيد يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط 1423هـ.**
§ مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي، أبو اليمن، (ت 928هـ/1522م):
- **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان نباتة، عمان، مكتبة دنديس.**
§ المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت 742هـ/1342م):
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ-1980م.**
§ المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ/957م):
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت: الشركة العالمية للكتاب –مكتبة المدرسة الدار الإفريقية العربية، ط2، 1990م.**
§ المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي (ت 610هـ/1214م):
- **المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي.**
§ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت 845هـ/1442م):
- **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: ج1 جمال الشيال، ج3،2 محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ولجنة إحياء التراث الإسلامية، ط1.**
- **المقفي الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1411هـ-1991م.**
- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ.**
- **السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1،**

1418هـ-1997م.

- **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: فردناد واسطون فيلد، جوتنجن، ألمانيا، 1847م.**

§ ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ/1311م):

- **لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ-1993م.**

§ المنهاجي الأسيوطي، شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، القاهري الشافعي (ت 880هـ/1476م):

- **جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، تحقيق: مسعد السعدني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1996م.**

§ ابن الموفق، موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي (ت 615هـ/1218م):

- **مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1415هـ.**

§ ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، (ت 842هـ/1439م):

- **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1993م.**

- **الرد الوافر، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1393هـ.**

§ ناصر بن خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القباديياني المروزي (ت 481هـ/1088م)

- **سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، بيروت: دار الكتاب الجديد، ط3، 1983م.**

§ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت 303هـ/916م):

- **المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406هـ-1986م.**

§ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت 430هـ/1039م):

- **معرفة الصحابة، تحقيق: عادل العزازي، الرياض: دار الوطن للنشر، ط1، 1419هـ-1998م.**

§ النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت 927هـ/1521م):

- **الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1،**

1410هـ-1990م.
§ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت 733هـ/1332م):
- **نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 1423هـ.**
§ ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213هـ/828م):
- **السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1375هـ-1955م.**
§ ابن واصل، محمد بن سالم، جمال الدين (ت697هـ/1298م):
- **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال وآخرون، د.د.ن.**
§ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت 749هـ/1348م):
- **تاريخ ابن الوردي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1996.**
§ وكيع، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي (ت306هـ/919م):
- **أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز المراغي، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1366هـ-1947م.**
§ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت 768هـ/1366م):
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط2، ص1413هـ-1993م.**
§ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ/1229م):
- **معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط2، 1995م.**
§ ابن أبي يعلى، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت 526هـ/1131م):
- **طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة.**
§ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت بعد 292هـ/905م):
- **البلدان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ.**
§ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت 182هـ/798م):
- **الخراج، طه عبد الرءوف سعد وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.**

§ اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت 759هـ/1358م):
- **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1406هـ-1986م.**
§ اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت 726هـ/1325م):
- **ذيل مرآة الزمان، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ط2، 1413هـ-1992م.**

المراجع العربية:

- الأسطل، إسماعيل، حقوق الإنسان والقانون الإنساني بين الشريعة والقانون، غزة: مطبعة شبير، ط1، 1425هـ/2004م.
- البخيت، محمد عدنان: مملكة الكرك في العهد المملوكي، الأردن: المعهد الدبلوماسي الأردني، ط1، 1976م.
- بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1985م.
- الحجاجي، محمد عبده: قوص في التاريخ الإسلامي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م.
- حسين، حسن عبد الوهاب: التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1997م.
- الحويري، محمود محمد: أسوان في العصور الوسطى، مطبعة القاهرة الجديدة.
- دهمان، محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط1، 1410هـ-1990م.
- الزحيلي، وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق: دار الفكر، ط4.
- الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- زكار، سهيل: فلسطين في عهد المماليك، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني- الدراسات التاريخية، ج2، ط1، بيروت، 1990م.
- الساطع، أكرم: حصون وقلاع، دمشق: وزارة الثقافة.
- سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1982م.
- سعد، محمود توفيق: الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، د. د. ن.

- سعيد، محمد رأفت: المتهم وحقوقه في الشريعة الإسـلامية، الزرقـاء، الأردن: مكتبـة المنار، 1403هـ-1983م.
- سليم، محمود: موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، القاهرة: مكتبة الآداب، ط2، 1384هـ-1965م.
- السيد، محمود: تاريخ القبائل العربية في الدولتين الأيوبيـة والمملوكيـة، الإسـكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1998م.
- شاكر، مصطفى: فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني- الدراسات التاريخية، ج2، ط1، بيروت، 1990م.
- الشهابي، قتيبة: معجم دمشق التاريخي، دمشق: وزارة الثقافة، 1999م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والـشام، القـاهرة: دار النهـضة العربية، ط2، 1976م.
- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة: دار النهضة العربية، 1992م.
- نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، مطبوع ضمن موسـوعة الحـضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987م.
- عباس، إحسان: شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج1: ط1، ج2: ط3، 1988م.
- عبد الرحمن، عمار: العمارة الإسلامية في دمشق، مركز الباسل.
- العش، أبو الفرج: آثارنا في الإقليم السوري، دمشق: المطبعة الجديدة، ط1، 1960م.
- عطا الله، محمود علي: نيابة غزة في العهد المملوكي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1، 1406هـ-1986م.
- العلي، إبراهيم محمد: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة، دمـشق: دار القلم، ط1، 1421هـ-2000م.
- العمايرة، محمد عبد الله: المعجم العسكري المملـوكي، عمـان: كنـوز المعرفـة، ط1، 2011م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.
- منصور، إسحاق إبراهيم: الموجز في علم الإجرام والعقاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 1989م.
- الموسوعة الشعرية، موقع الكتروني: معجم الشعراء العرب.

- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت: الموسوعة الفقهية الكويتية، ج1-23: ط2، دار السلاسل بالكويت، ج24-38: ط2، مطابع دار الصفوة بالقاهرة، ج39-45: ط2، طبع الوزارة.
- عزب، خالد: أسوار وقلعة صلاح الدين، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2006م.
- غوانمة، يوسف: التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2، 1982م.
- كمال، أحمد عادل: أطلس تاريخ القاهرة، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ/2004م.
- وزارة الثقافة السورية: صومعة دمشق، 2005م.
- الصوافي، طالب: القلاع والحصون في شمال فلسطين، عكا: مؤسسة الأسوار، ط1، 1420هـ/2000م.
- اليوسف، عبد الرحمن: وجود تطبيق الحدود الشرعية، الكويت: مكتبة ابن تيمية، ط2، 1404هـ/1984م.
- الشهابي، قتيبة: معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1995م.

المراجع المعربة:

- فولكف، أولج: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة (969-1969)، ترجمة: أحمد صليحة، القاهرة: الهيئة المصرية العام للكتاب، 1986م.
- فييت، جاستون: القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة: مصطفى العبادي، بيروت: مكتبة لبنان بالاشتراك مع مؤسس فرنكلين للطباعة والنشر، 1968م.
- راسل، الأخوين ألكسندر وباتريك: تاريخ حلب الطبيعي في القرن الثامن عشر، ترجمة: خالد الجبيلي، ط1، 1997م.
- هنتس، فالتز: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، عمان: الجامعة الأردنية، 1970م.
- علماء الحملة الفرنسية: كتاب وصف مصر، ترجمة: زهير الشايب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1978م.

الأبحاث:

- أبو الشعر، هند: بحث واقع الأوقاف في نيابة دمشق في العهد المملوكي المتأخر (801-915هـ/ 1398-1509م) كتب المذكرات واليوميات مصدراً، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام: الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين- 7-21 شعبان 1427هـ الموافق 10-14 أيلول 2006م.
- قراجة، نسرين وميساء نعال: المعالم الأثرية في مدينة حلب، رسالة ماجستير، جامعة حلب، 2005م.
- النوايسة، يونس: تنمية السياحة في محافظة الكرك، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2011م.
- وافي، ناشد، ألفاظ الحضارة في بدائع الزهور لابن إياس- رسالة دكتوراه، جامعة حلوان، 1431هـ/2010م.

المقالات:

الجمال، علاء: قلعة صلخد معلم أثري خالد، موقع: www.esyria.sy.

الملاحق

ملحق رقم (1)

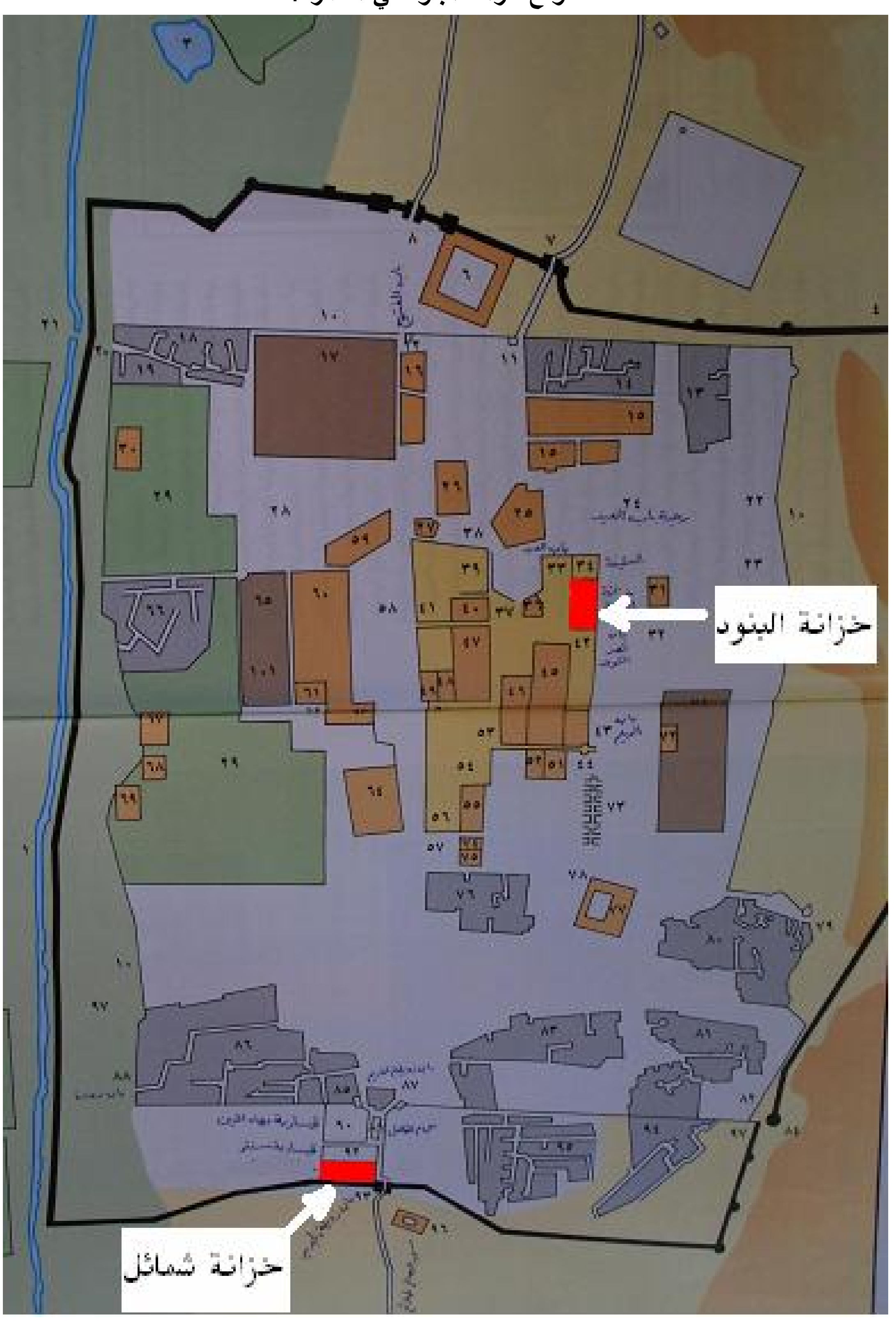
أسماء بعض من تم قتله أو مات في سجن الإسكندرية

المعتقلون	طريقة الموت	السنة	المصدر
شمس الدّين سنقر الألفي الظَّاهِرِيّ	الوفاة	680	الوافي بالوفيات 15/ 297
طغاي الحسامي الناصري	الوفاة	718	الدرر الكامنة 2/ 384
صلاح الدين طرخان ابن بدر الدين بيسرى	الوفاة	735	النجوم فى 9/ 306
سيف الدين تنكز	القتل	741	العبر 4/ 121
سيف الدين قوصون وعلاء الدين الطنبغا وبرسبغا	القتل	742	الوافي بالوفيات 10/ 72
سيف الدين بشتك	القتل	742	النجوم 10/ 74
الأمير أيتمش عبد الغنىّ والأمير تمر الموساوى الساقى والأمير قرابغا والأمير صمغار	القتل	748	النجوم 10/ 186
سيف الدين أرغون الكاملي			العبر 4/ 162
الْأَمِير الْكَبِير سيف الدّين صَرَغَتْمُش الناصري	القتل	759	السلوك 4/ 239
أسندمر وابن قوصون وألطنبغا اليلبغاوىّ وجماعة أخر من الأمراء اليلبغاوية		768	النجوم 11/ 48
سيف الدّين أسنَدمُر	الوفاة	769	السلوك 4/ 320
علم المحمدىّ وأيدمر الشمسىّ وطيبغا الصّفوىّ ألجاى ومغلطاى البدرىّ الجمالىّ وصربغا السيفىّ وطشتمر الصالحىّ وبلاط الكبير السيفىّ ألجاى وحطط اليلبغاوىّ وإياس الماردينىّ وبلّوط الصرّغتمشىّ ويلبغا المنجكىّ وقرابغا أبو جركتمر وحاجىّ خطاى والد غريب			النجوم 11/ 151
أينبك	الوفاة	780	إنباء الغمر 1/ 154 النجوم 11/ 158
زين الدين بركه الجوبانىّ	القتل	779	النجوم 11/ 183
كمشبغا	الوفاة	792	النجوم 12/ 100
كمشبغا بن عبد الله الحموىّ اليلبغاوىّ	الوفاة	801	النجوم 13/ 9
الْأَمِير قرا يشبك والأمير أقبغا جركس والأمير أسندمر الناصري والأمير سودن الحمصي	القتل	**811**	السلوك 6/ 290
الأمير سيف الدّين يلبغا	القتل	**811**	النجوم 13/ 171
الأمير سودون الماردانىّ	القتل	**811**	النجوم 13/ 172
الأمير الكبير ركن الدين بيبرس بن عبد الله والأمير بيغوت نائب الشّام	القتل	**811**	النجوم 13/ 172

جانبك القرميّ، وأسندمر الحاجب، وسودون البجاسيّ، وقانى باى أخى بلاط	القتل	814	النجوم 13/ 121
الأمير خيربك نائب غزّة	القتل	814	النجوم 13/ 129 إنباء الغمر 2/ 490
يشبك الموساوي وقنباي رأس نوبة وكمشبغا المزوق	القتل	814	إنباء الغمر 2/ 482
تمراز الناصري	القتل	814	إنباء الغمر 2/ 482
طوغان الدويدار وسودون المحمدي ودمرداش المحمدي واسنبغا الزردكاش	القتل	818	إنباء الغمر 3/ 53 . النجوم 14/ 26
سنقر الرومي	الوفاة	818	إنباء الغمر 3/ 55
الأمير محمد زين الدين فرج ابن السلطان الملك الناصر فرج	الوفاة	820	النجوم 14/ 146
مجموعة من الأمراء منهم قجقار القردمي	القتل	824	إنباء الغمر 3/ 245
المظفر أحمد بن المؤيد	الوفاة	825	النجوم 14/ 230
محمد بن الناصر فرح بن الظاهر برقوق	الوفاة	833	إنباء الغمر 3/ 450
سرداح بن مقبل	الوفاة	833	إنباء الغمر 3/ 445
تمراز المؤيدي نائب صفد	القتل	841	النجوم 15/ 213
سيف الدين قرقماس بن عبد الله الشعبانى الناصرى المعروف بأهرام ضاغ	القتل	842	النجوم 15/ 466

ملحق رقم (2)

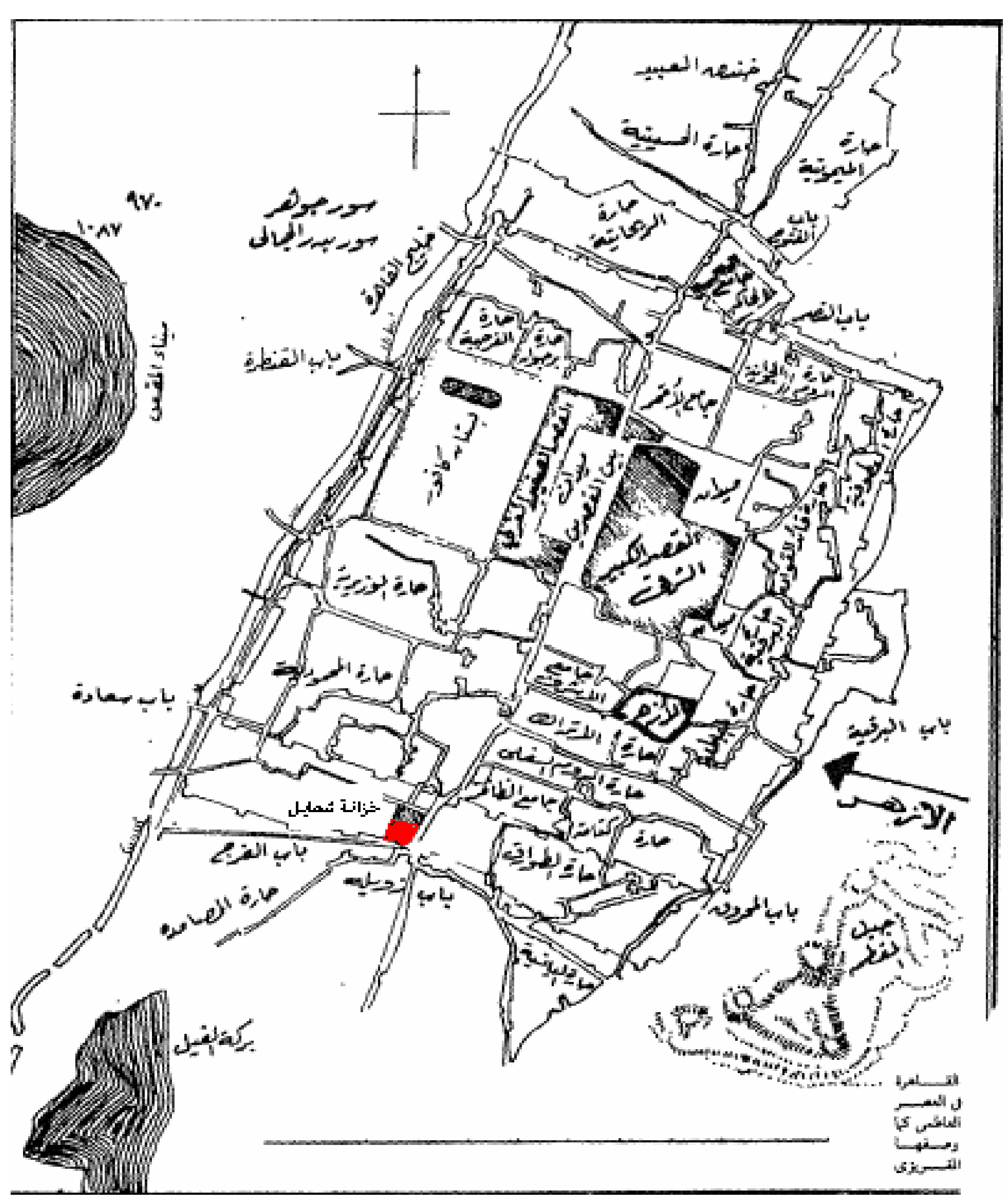
موقع خزانة البنود في القاهرة.



المصدر: (كمال: أطلس مدينة القاهرة، ص78).

ملحق رقم (3)

موقع خزانة شمائل:



المصدر: أحمد: تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص210.

ملحق رقم (4)

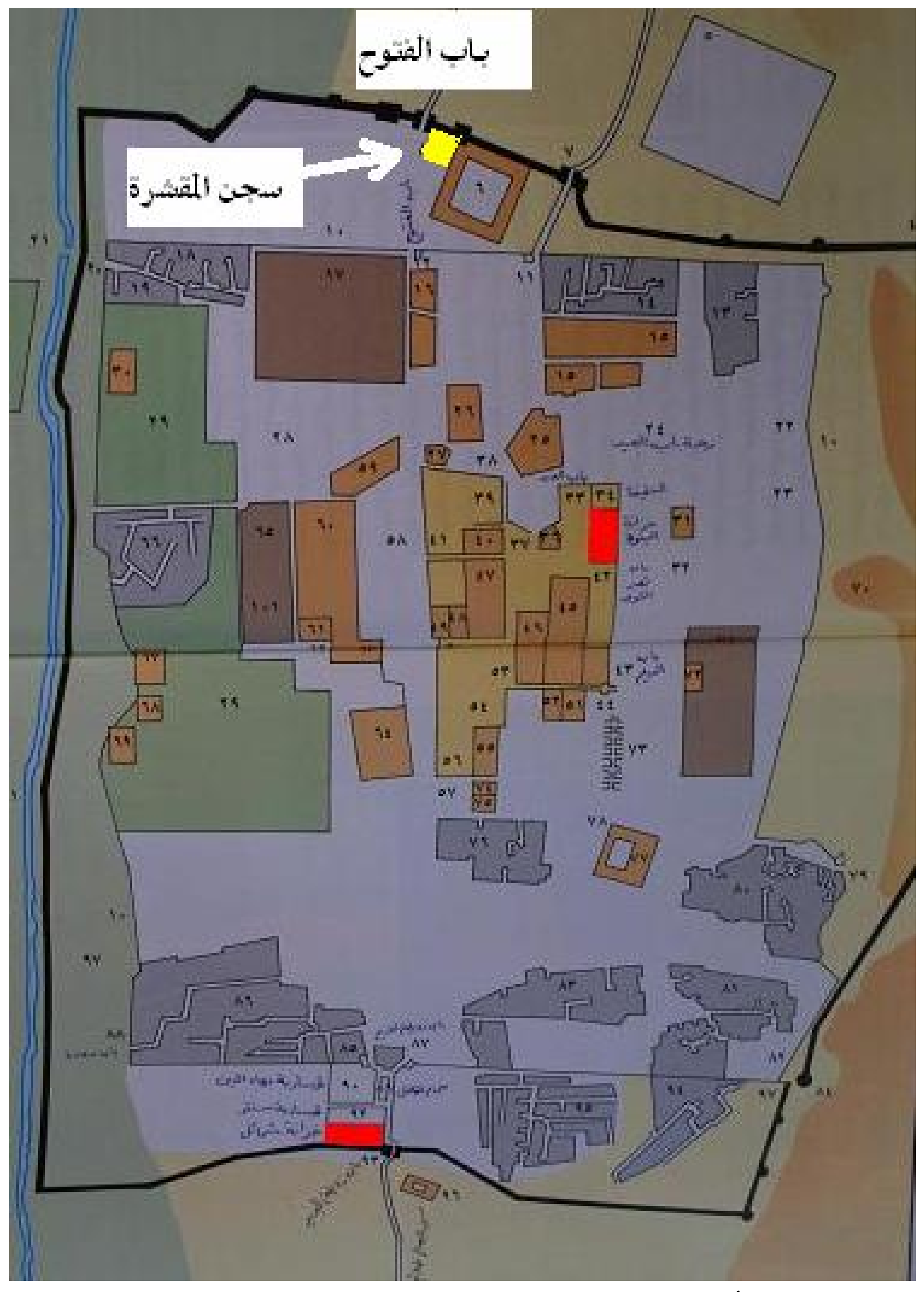
موقع حبس المعونة، وسجن الرحبة في القاهرة.



المصدر: (كمال: أطلس تاريخ القاهرة، ص90).

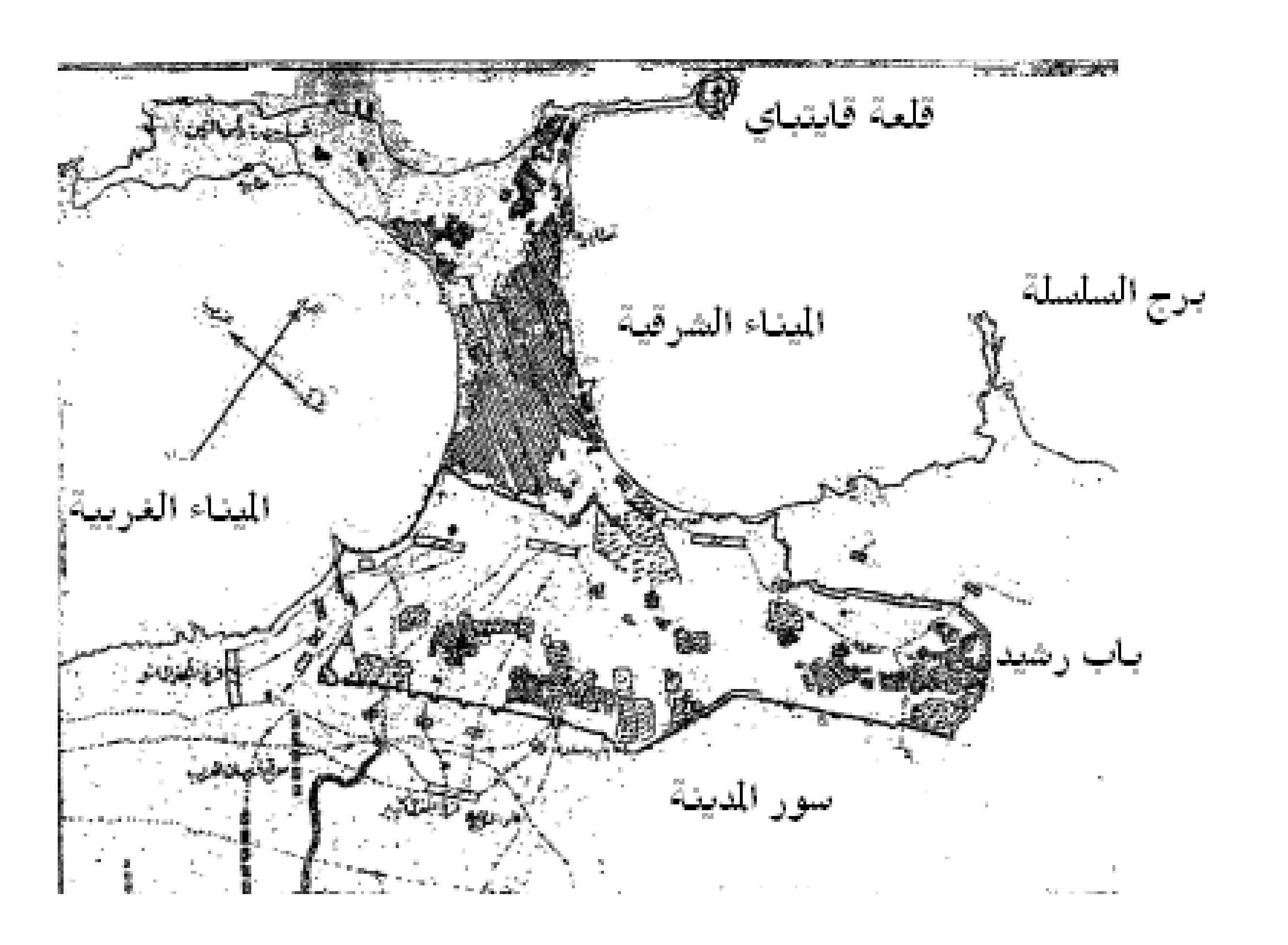
ملحق رقم (5)

موقع حبس المقشرة في القاهرة.



المصدر: (كمال: أطلس تاريخ القاهرة، ص78).

ملحق رقم (6)



خريطة الإسكندرية يظهر عليها موقع برج السلسلة، وبرج قايتباي: المصدر: (علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ج3، ص363).

ملحق رقم (7)

بعض صور القلاع.



قلعة دمشق. المصدر : http://users.stlcc.edu/mfuller/medieval/Damascus.html



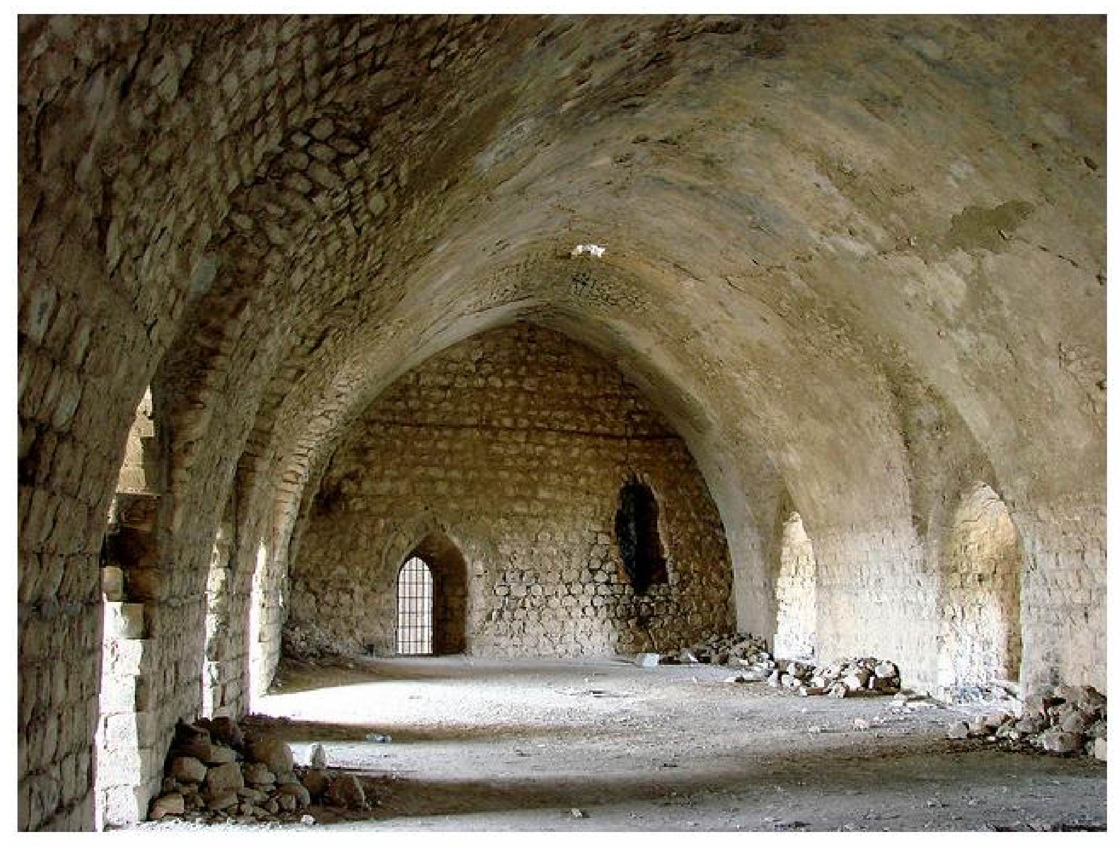
قلعة المرقب بانياس المصدر: http://www.castles.nl



قلعة المرقب بانياس المصدر: http://www.castles.nl



قلعة المرقب بانياس المصدر: http://www.castles.nl



قلعة المرقب بانياس المصدر: http://www.castles.nl



قلعة المرقب بانياس المصدر: http://www.castles.nl



قلعة صلاح الدين بالقاهرة المصدر: http://www.castles.nl



قلعة صلاح الدين بالقاهرة المصدر: http://www.castles.nl

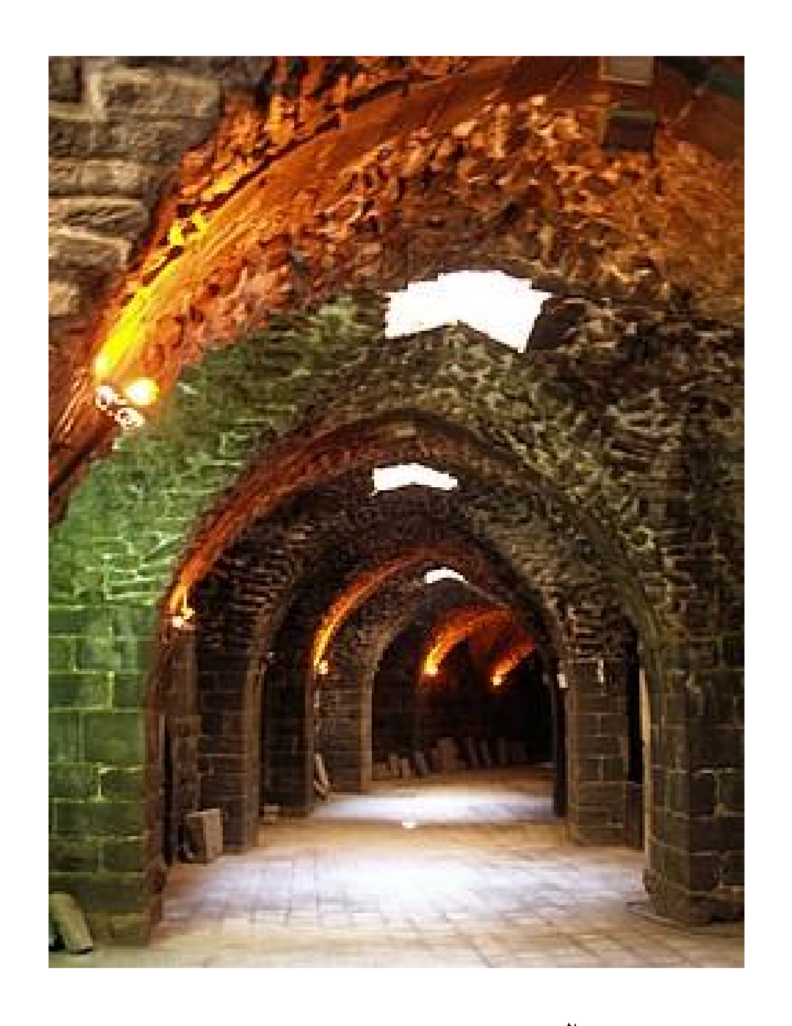
قلعة بصرى



قلعة بصرى المصدر: http://www.castles.nl



المصدر: http://www.castles.nl



المصدر: http://www.castles.nl



المصدر: http://www.castles.nl

قلعة الكرك



من موقع : HTTP://WWW.SWISSJOUR.COM



صورة تظهر خفاش في سجن جب قلعة الكرك. http://www.flickr.com/

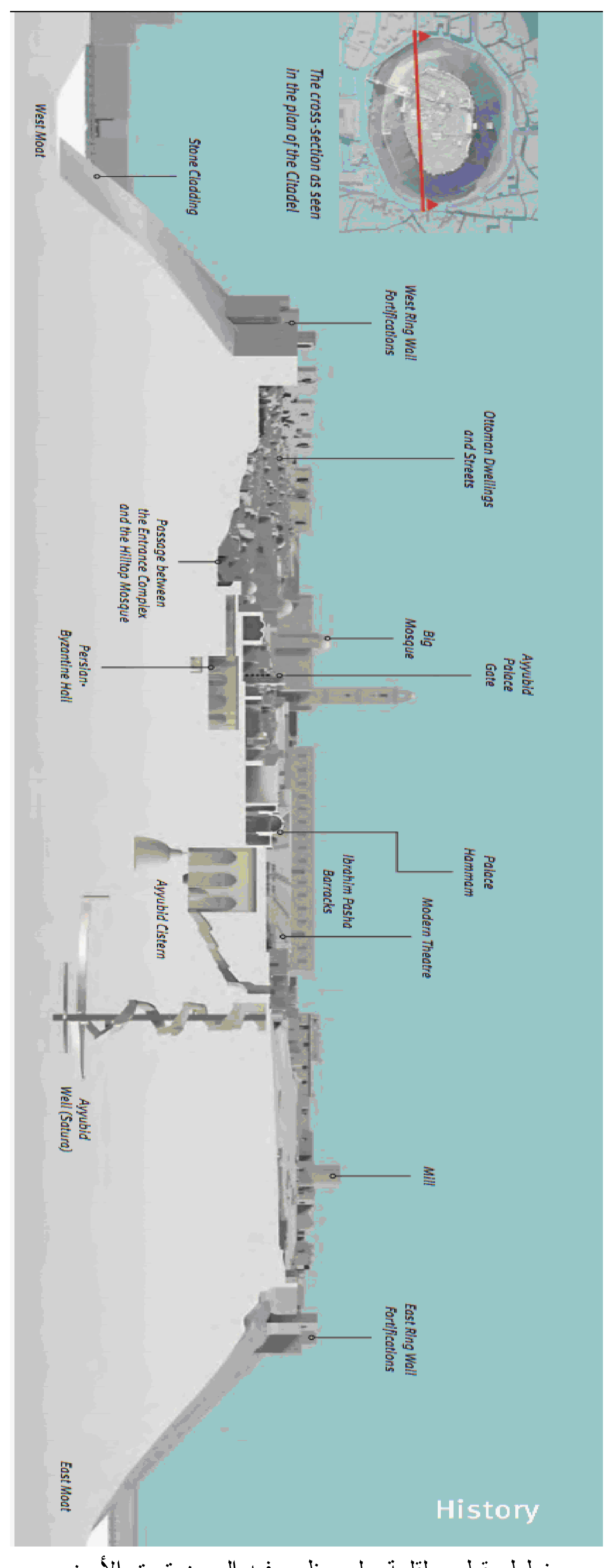


المصدر: http://www.castles.nl

قلعة تدمر



المصدر من بحث: د. وليد أسعد: تدمر عروس الصحراء. مدير آثار ومتاحف تدمر.

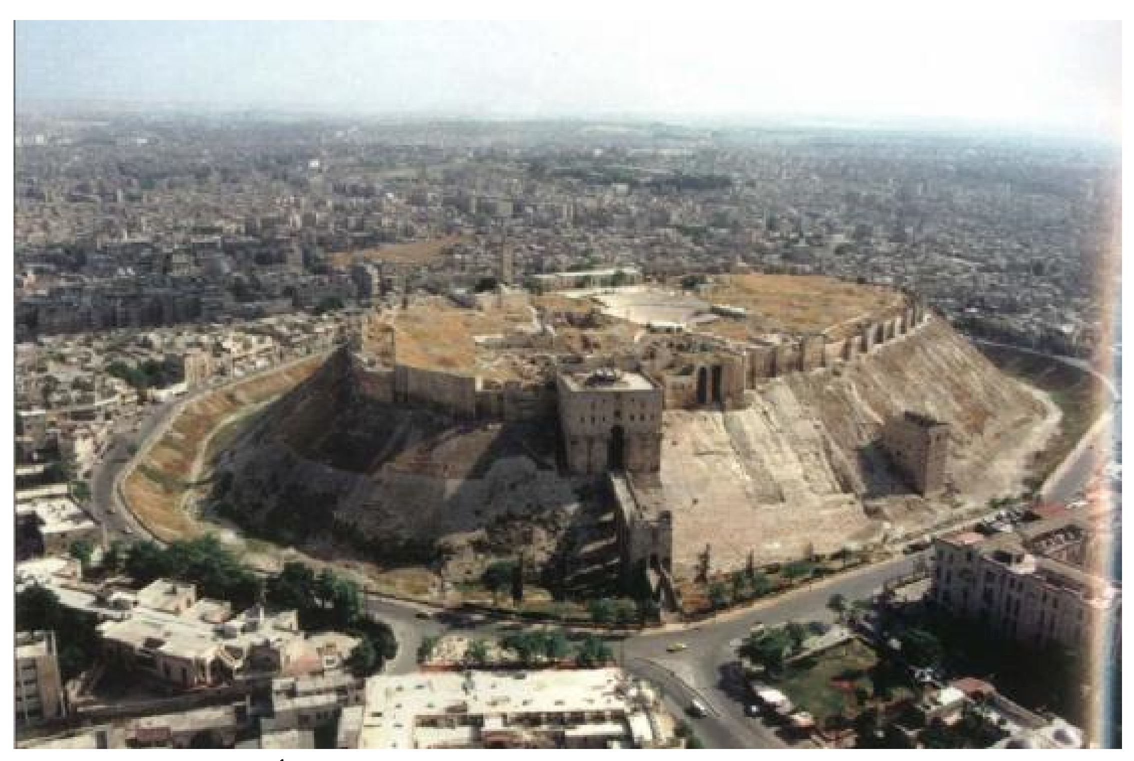


مخطط مقطعي لقلعة حلب يظهر فيه السجن تحت الأرض.

المصدر: Julia Gonnella: the citadel of Aleppo



مخطط تفصيلي لقلعة حلب المصدر: Julia Gonnella: the citadel of Aleppo

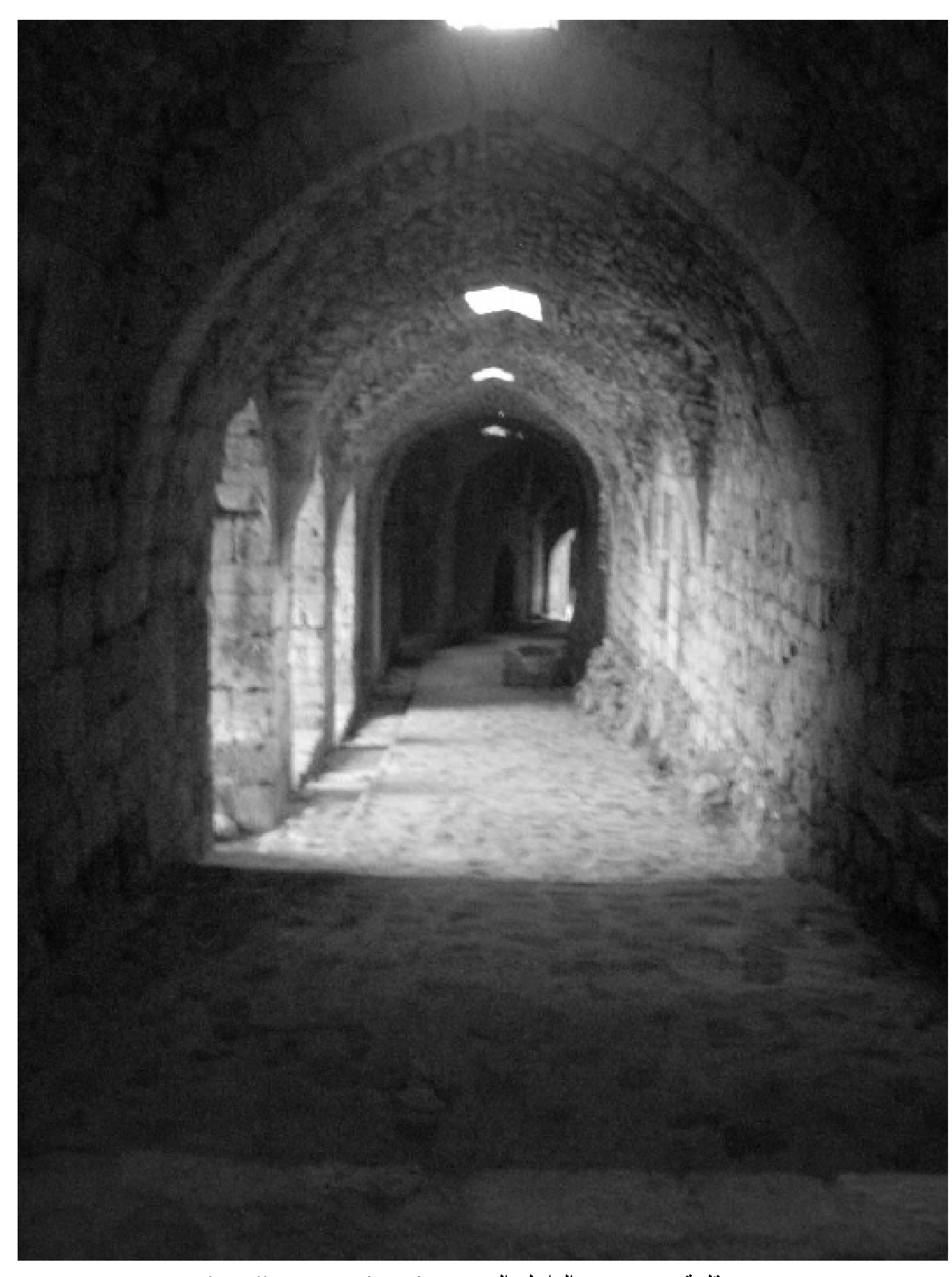


قلعة حلب. المصدر: قنصة، خلدون: نبذة تاريخية عن قلعة حلب، حلب: مؤسسة الأغا خان للثقافة، 2005م.

قلعة حمص.



المصدر : http://www.castles.nl



قلعة حمص من الداخل المصدر: http://www.castles.nl

ملحق رقم (8)

من أدوات التعذيب والقيود



الباشة والزنجير

المصدر: http://www.middle-ages.org